الكرباسه

تاريخ

مقدرات العراق السياسية

المجلد الاول

تاريخ سياسي يبحث عن تطور علاقات الدول الاوربائية في العراق
وعن سر القضية العربية والثورة الحجازية والقضية العراقية
وعن ثورات العراق عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ م
مفصلاً ومستنداً الى وثائق رسمية وخصوصية

تأليف
محمد طاهر العمري الموصلي

طبع على نفقة
(محمود حلمي)
صاحب المكتبة العصرية في بغداد

طبع في المطبعة العصرية — بغداد
١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ

« مقدرات العراق السياسية »

تمهيد

سبحان من يحيي ويميت ويبعث ويعيد ، مجدد عهد السلف في اجيال الخلف ، باعث العرب من مرقد الجمود الى حب النهوض وهو على كل شيء قدير .

وبعد فلما رددت النظر في كتبي واوراقي المبعثرة وجدت فيها ما ترغب فيه النفوس العربية في هذا الزمن من الحوادث التاريخية والوقائع المستجدة فاقتطفت اللازم منها لتأليف تاريخ سياسي يبحث عن تطور علاقات الدول الاجنبية في بلادنا وعن القضية العربية نبذة وعن القضية العراقية خاصة . وقد ضممت الى ما اقتطفته من الكتب والرسائل والجرائد الشرقية والغربية بعض الوثائق الرسمية والخصوصية وبعض ما شاهدته واطلعت عليه وحصلت لدي القناعة فيه رجاء ان يكون كتابي هذا دليل المتتبع لسير القضية العراقية وسميته (تاريخ مقدرات العراق السياسية) واردت اهداءه الى النشء الجديد ليعرفوا ما كان لهم وما عليهم .

اكتب هذا لشبان العراق الذين سيؤلفون الادمغة المقبلة ليتتبعوا حالاً واستقبالاً ما قدر الله على بلادهم من الحادثات السياسية ليتعظوا منها وينهضوا بهذه الامة التعيسة الحظ .

اكتب هذا لافهم كثيراً من بني قومي خطورة العراق الجغرافية والاقتصادية والسياسية التي استوجبت طمع الدول الاوروباوية في بلادنا وسلسلة تشبثات الامم الغربية للاستيلاء على ديارنا ليدرك بنو وطني ماهية حالة القطر وواجباتهم نحوه فينهضوا به ويوجدوا كياناً سياسياً واجتماعياً له ويعملوا على انقاذه من ورطة الذل والهوان .

اكتب هذا ولم اكن مدعياً بكماله ، بل وددت ان يكون مقدمة لمن يريد تدوين تاريخ العراق السياسي ومشجعاً لحملة الاقلام من ذوي الحنكة والخبرة ليؤلفوا الانفع والاصلح والاصح ويفيدوا بذلك رجال الحال والاستقبال .

ويتناول هذا الكتاب البحث عن نزاع الدول الاجنبية على بلادنا وعن خطيئات تركيب الادارية والعسكرية والسياسية التي استوجبت ضياع الملك ويبحث متسلسلاً عن سير القضية العربية وتطوراتها واتفاق جلالة ملك الحجاز الحسين بن علي مع دولة بريطانيا العظمى واسباب وكيفية نشوب الثورة الحجازية مفصلاً ومستنداً على وثائق رسمية ويبحث عن حركات الجيش الحجازي الى ما بعد عقد الهدنة وعن مقاولة تسليم المدينة المنورة وعن التشبثات السياسية التي قام بها جلالة ملك الحجاز للحصول على استقلال البلاد العربية وعن العهود الرسمية التي اعطيها الحلفاء لجلالته وعن تشبثات احرار العراق وجمعياتهم في سبيل استقلال القطر بعد الهدنة (من مضابط واحتجاجات وغيرها) وعن قيام الكويان والشيخ محمود وثورات العمادية والعقر ودير الزور والفرات وتلعفر وواقعة نبي الله جرجيس وغيرها من الوقوعات وعن كيفية تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة بعد تشريف فخامة المندوب السامي السر برسي

كوكس وعن ترشيح جلالة الملك فيصل الاول لعرش العراق ومراسم استقباله وتتويجه و . . . الخ مفصلاً ثم يبحث عن وضعية العراق الادارية والاقتصادية والسياسية في الوقت الحاضر وعن العبر السياسية من تاريخ مستملكات الدول الاوروباويه وعن الخطة التي يجب اتباعها لتأمين مستقبل باهر للامة والبلاد.

وقد اعتنيت بجمع الوثائق الرسمية والخصوصية من المنابع الصحيحة ودرجت كل ما يفيد القراء ويعود للشبان بالنفع والانتباه هذا مع كوني اعترف بقصر باعي وقلة بضاعتي فارجو عفو القراء الكرام عما اخطأ به الفكر وزل به القلم .

الموصل : ٧ تشرين الثاني سنة ١٩٢١

محمد طاهر العمري

الفصل الاول

وجه تسمية العراق والجزيرة :

اختلف علماء التاريخ واللغة فيوجه تسمية (العراق) عراقاً فقيل ان كلة (عراق) مأخوذة من عراق القربة وهو الخرز المثنى الذى فى اسفل القربة والعراقان الكوفة والبصرة سميتا بذلك لانهما اسفل ارض العرب ويقال ان كلة العراق مأخوذة من عروق الشجر والعراق من منابت الشجر وانه سمى لتواشج عرق الشجر فيه وقيل انه سمى لوقوعه بين الريف والبحر اولانه على عراق دجلة والفرات اى شاطئهما وقال الاصمعى ان العراق تعريب (ايراق شهر) بمعنى كثير النخل والشجر والارجح انه تعريب كلة (ايراق) الفارسية ومعناها (البعيد) .

ولقد سميت (الجزيرة) جزيرة لوقوعها بين نهرى الرافدين اى دجلة والفرات . ويقال لها (بلاد مابين النهرين) ايضاً والجزيرة هى شمال العراق ولا شك فى ان العمران القديم يشمل الجزيرة مع العراق ايام قامت فى تلك البلاد امم مختلفة ظهرت آثارها تدريجاً على مرور الايام ولم تزل علماء الآثار القديمة تستخرج من بطون اراضى العراق آثاراً تزيد التاريخ جلاءً ووضوحاً .

الامم القديمة فى العراق واشهر مدنها :

كان فى الازمنة القديمة المظلمة امارات ومشيخات فى العراق تقطن حوالى الرافدين وكان لكل امارة هيكل تنتسب اليه وحاكم هو رئيس كهنة

الهيكل يسمى (بابتس) يساعده نائب . ولقد ظهر لدى علماء التاريخ ان من تلك الامارات (السومريين) و (الارامين) و (الا كاويين) احفاد سام الذين سنوا الشرائع واسسوا الاديان واللغة فكتبوها بالخط المسمارى وحكموا العراق عدةسنين حتى طمحت عيونهم الى التغلب على تلك الامارات فاستقل رئيسهم (سرجون) بمملكة (بابل) وذلك كان قبل الميلاد سنة (٣٨٠٠) ثم خلفه ابنه (نرام سين) فوسع ملكه وامتد سلطانه من بلاد فارس الى البحر المتوسط فشبه جزيرة (سينا) فارتقت مملكة بابل واشتهرت بعمرانها الى ان نشأت الدولة السامورابية او الحورابية فزادت البلاد ارتقاءً والحضارة اتساعاً والشرائع انتظاماً واتخذت (بابل) عاصمةً لها وعرفت دولتهم بالدولة البابلية الاولى وحكم فيها احدعشر ملكا بمدة ثلاثة قرون بين القرن الرابع والعشرين والحادى والعشرين قبل الميلاد فتوسع ملكهم الى شمالى العراق والجزيرة ويرى البعض من المؤرخين ان الحورابيين . نشأوا من جزيرة العرب مباشرة عن طريق (عمان) وعلى كل فقد ثبت أنهم اول دولة عربية اسست فى العراق وافاضت نور الحضارة على معظم البلاد الشرقية .

وقد اظهرت الحفرات المستخرجة من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام بتسعة عشر قرناً وتمدن (بابل) و (آشور) مايثبت ان العرب اسبق الامم الى المدنية والعلم واول من وضع الشرائع وسن القوانين وان شريعة (حمورابى) التى وجدت منقوشة على مسلة من حجر يعود تاريخها الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد اى قبل شريعة موسى (عليه السلام) بتسعة قرون وهى تبحث فى طبقات الامم والاحوال الشخصية والقوانين التجارية والمدنية والجنائية .

ويرى بعض الأثريين ان الانسان كان يعيش فى الازمنة الاولى فى جبال سوريا وحواليها ثم انحدر الساميون من عمان الى سهول العراق واتى السومريون كغزاة وفاتحين فادخلوا الى الديار العراقية انواع كتاباتهم التى كانو يرسمونها على الواح طينية لينة بقلم حديدى وتعرف تلك الكتابات اليوم بالخط المسمارى التى تعتبر اول كتابة عرفها التاريخ . ولم يكن للخط المسمارى حروف هجائية معلومة بل كانت مؤلفة من (٦٥٠) علامة مع معانى متعددة وتركيب متنوع . وقد توصل العلم الأثرى الحديث الى معرفة ثلاثين الف نوع من تلك المعانى والمركبات .

ويرى بعض العلماء الأثريين ان الساميين قدموا الى العراق فى المدة التى تتراوح بين (٣٠٠٠) الى (٢٥٠٠) سنة قبل المسيح واسسوا عاصمتهم فى آشور (الشرقاط) وكان آشور اسم الهٓ ووطن الساميين وبقيت مدينة آشور (اى الشرقاط) مركزا مهما الى سنة (٨٠٠ ق. م) حيث اصبحت مدينة كالح (اى النمرود) مركزا عظيما ولكن لمدة قصيرة . فتخلت هذه المدينة عن عمرانها وعظمتها لمدينة (نينوى) التى اكتسبت الاهمية الكبرى فى تلك الاقطار .

واشهر الملوك الذين وسعوا نطاق البنيان والعمارة فى نمرود هوشلمناصر الثالث واسور ناصر بال ويوجد فى نمرود قطع مرمر كبيرة ورسوم ثيران مجنحة ضخمة وفى شمال نمرود محل بناء مرتفع قديم قد شيد باقامة سطوح متعددة .

اما الملوك الذين اشتهروا بالبناء والعمارة فى نينوى فهم ساركون

(سارجون) وسنحاريب وغيرهم وكان قد بنى سارجون قصراً واسعاً وفخماً فى (خورصاباد) .

ولقد عثر الأثريون على لوحات كثيرة تعود الى عهد حمورابى (قبل الميلاد سنة ٣٠٠٠) فيها دستور كبير بحروف منخفظة وتقارير الامور الرسمية والاناشيد الدينية التى كانت ترتل فى الهياكل والنصوص الالهية واسماء الالهة مع خدمهم وحيواناتهم وغير ذلك من الآثار الكتابية التى اصبحت فى الحال الحاضر موضوع الدرس والتدقيق .

ولاشك فى ان اغلب التلال والروابى الكثيرة فى القطر العراقى ماهى الا انقاض التمدن القديم . وتوجد آلاف من هذه التلال منتشرة فى انحاء البلاد العربية ولا سيما فى سوريا والعراق مملوءة من الآجر والاوانى الخزفية والانقاض المتنوعة كما ان ارتفاع كل تل يدل على مدة الزمن الذى فيه كانت خطورة تلك الاماكن . فالتل المنخفض ينبئ على ان المدينة التى فى بطنه كانت قد دكت ولم تشيد ثانية . ويدل التل المرتفع على ان المدينة التى فى احشائه كانت قد توسعت وشيدت ثانية وربما مرارا عديدة بعد هدمها . وتحتوى هذه التلال على آثار الانسان الذى عاش منذ الازمنة الاولى وقد يمكن الاطلاع على تلك الآثار القديمة بواسطة قطع الاجر والاوانى الخزفية الموجودة على سطح التلال تحت عمق بعض الاقسام وهذه التلال عبارة عن طبقات بيوت واسعة شيدت فى الزمان القديم وهى احسن تاليف لتاريخ البشرية الاولى .

وكانت قد اجريت الحفريات فى بعض من هذه التلال كخورصبادونينوى ونمرود والشرقاط ونيبور واور لكنها لم تكن سوى حفريات بسيطة

ولكن وصلت الى العراق اخيراً لجنة اثرية امريكية لاجراء الحفريات فى العراق وقد تم الاتفاق معها على ان تكون المصاريفات كلها على اللجنةالمذكورة بشرط ان تستملك نصف الآثار المكتشفة واما النصف الباقى فيحفظ فى دار الآثار فى بغداد .

ونظراً لافادة البروفسور البرت كلهى احد منتسبي اللجنة المذكورة قد تخصص للحفريات فى بلدة (اور) القديمة (بجوار سوق الشيوخ) مدة ست سنوات ومع كل ذلك لا تكفى هذه المدة بل تحتاج هذه الحفريات الى شغل مائة سنة لاكتشاف الآثار تماما . لان الشغل فى هذه التلال عظيم جداً وان المواد التى ستكشف هى غزيرة بدرجة انها تحتاج الى (٢٥) بعثة اثرية للقيام بمهام الحفريات العراقية فى مدة تستغرق نحو (٢٥٠٠) سنة .

درس الى الان العلماء الأثريون ما يقارب مليون لوحة وبقى ملايين متعددة من هذه اللوحات محفوظة فى بطون هذه التلال وقد وجد فى سبع مكتبات من هذه الآثار ما يزيد على مائة الف لوحة .

وقد ظهر من تتبعات وتدقيقات تلك الآثار انقد سيطرت سلالة ملوك « اور » فى العهد الثالث قبل زمن حمورابى وكان « اورنكور » احدهولاء الملوك مشيداً عظيماً . وقد اكتشف الأثريون فى الهياكل المهدومة والاحجار القديمة لوحات متعددة من عهد هذا الملك وقطع آجر مختومة باسمه فى محل « تللو » بالقرب من « نيبور » فكانت تحتوى على وثائق اشغال الملك ووصولات ايراداته واوراق الدفع .

ويرى العلماء الأثريون انه بعد حمورابى يأتى عهد الكاسانيين الذين سيطروا على الديار العراقية منذ « ٢٠٠٠ الى ١٠٠٠ سنة ق . م » وقد اكتشف العلماء سجلات عديدة تبحث عن هذا العهد .

وعثر الأثريون فى نينوى على مكتبة اسور ناصر بال التى كانت تحتوى على ثلاثين الف لوحة من مؤلفات ادبية واناشيد وداعية ورسائل ملوكية وسجلات حكومة ملوك الآثوريين . وقد تأكد ان مدينة نينوى هدمت سنة ٦١٢ ق . م .

فخلف الكلدانيون عهد الآشوريين . وكانت « كلدو » مدينة بالقرب من خليج العجم فاتى من هناك (بالناصر) وابنه (بنو ختنصر) . وفى عهد (بالناصر) تلاشت المملكة البابلية وحكمها الفرس تحت عهد (كورش) . والملك (بنو ختنصر) هو الذى جمل مدينة بابل وشيد فيها البساتين المعلقة المشهورة وبنى القصور الفخمة ونشاهد فى آثار بابل التى قد حفرت جيداً اساسات من آجر وباب اشتار نسبة الى الالهة اشتار وفى عهد هارون الرشيد قد حولت ملايين من قطع الآجر هذه من محلها لتشييد ابنية جديدة فى ذلك الزمان الا انه قد يمكن اكتشاف تلك القطع الآجر .

هكذا كانت ممالك بابل وآثور والكلدان رفيعة المقام كثيرة العمران تنازعها مملكة الفرس الحكم الى ان استتب لها ذلك فنشأت حكومة « الاكاسرة » المشهورة فى التاريخ وهكذا كانت بلاد العراق مهداً للمدنية القديمة وحلية للحضارة التى لم يكد يجاريها فيها مجار سوى مصر القديمة . ولما انفجر سد العرم فى اليمن وخشى الناس الهلاك رحلت قبائل كثيرة

منها الى جهات « حوران » فعرفوا « بالغساسنة » وكانوا عمال قياصرة الروم زمناً طويلاً .

ورحلت قبائل « ربيعة » و « بكر » و « مضر » و « اياد » الى شمال ما بين النهرين فقيل لمواطنهم « ديار بكر وربيعة ومضر » ورحل « بنو لخم » و « جذام » الى جنوبى الجزيرة فسكنوا العراق ونشأت منهم « دولة المناذرة » عمال الفرس الذين انبأنا التاريخ بمآثرهم واشتهر منهم « النعمان بن المنذر » وهكذا كانت الحكومات العربية قبل الاسلام الى عهد الخلفاء فالامويين فالعباسيين فازهرت مدنية العرب فى العراق وبلغت اوج مجدها الشامخ .

كان العراق مشهوراً بعمرانه من القديم كما ان عواصمه ومدنه كانت جسيمة ومعمورة منها « بابل » و « نينوى » و « نضر — نيبور » وما شاكلها من المدن التى اسسها الحمورابيون والآثوريون والكلدانيون وكذلك مدينة « سلوقية » التى بناها « سلفقوس نيقاتور » احد قواد اسكندر الكبير المكدونى اليونانى على ضفة دجلة الغربية قبل الميلاد سنة ٣٠٧ واطلق عليها اسم « بابل » لانها خلفتها ثم خربها الاشكانيانيون سنة « ١٤٠ ق . م » على أثر بنائهم بلدة « مدائن » وكذلك « طيسفون » لتى بناها « وردانوس » ملك الفرس فى محل « طاق كسرى » الحالى من المدن الشهيرة العراقية بلدة « عقرقوف » المسماة « برج النمرود » او برج بابل » وبلدة « اسكندرية » التى بناها الاسكندر المكدونى فى ض بابل « في محل قربة الاسكندرية الحالية » وبلدة « الحيرة » التي بناها

اللخميون ملوك العرب المناذرة فى محل بلدة « النجف » الحاليه و « مدائن كسرى » التى فيها ايوان كسرى المشهور وهى من اطلال « طيسفون » وكذلك مدينه « فيروز سابور » القديمه التى سميت « الانبار » لكونها كانت مخزن الطعام عند الفرس وهى بجهه « الفلوجه » . ولاشك فى ان هذه المدن هى البعض من اشهر مدن العراق عمراناً وحضارة وما عدا ذلك تجد اذا سرت فى بر الجزيرة والعراق ملايين من التلال التى تشهد ان كلاً منها كانت مدينه معمورة كما ذكرنا آنفاً .

ولما فتح الاسلام العراق فى السنه الثالثه والرابعه عشرة هجريه اتخذوا « الحيرة » حاضرة لملكهم ثم انتقلوا الى « الانبار » واول المدن التى بناها امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه البصرة سنه ١٤ هـ — سنه ٦٢٩ م ثم بنى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه « الكوفه » فى عهد ذلك الخليفه ثم بنى الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد الدوله الامويه مدينه « واسط » لتوسطها بين البصرة والكوفه « على شط الحى » ثم اختط عبدالله السفاح العباسى مدينه « الهاشميه » بقرب الكوفه ونقل كرسى الخلافه اليها من « الحيرة » ثم بنى ابو جعفر المنصور الخليفه العباسى مدينه (بغداد سنه ١٤٦ هـ — ٧٦٣ م) وجعلها عاصمة ملكه ثم بنى المعتصم بالله بلدة (سامرا) على انقاض مدينه (القاطون) وهكذا اشتهرت العراق بمدنها وعمرانها وامتازت كل مدينة من تلك المدن بخصائص كثيرة اهمها الآداب والعلوم والحضارة والصناعه والتجارة والزراعه فضلاً عن جودة موقعها الجغرافى والعمرانى والاقتصادى وما كان اسباب هذا العمران

الا وجود وسائله المنحصرة بالامن والتجارة والصناعة والزراعة نظراً لمناخ العراق الطبيعي وموقعه الجغرافي اذ ان العراق كان ولم يزل نقطة اتصال الشرقين الاقصى والادنى .

خطورة العراق التجارية والاقتصادية واستيلاء الامم المختلفة عليه :

لاشك فى ان الطبيعة قد خصت اقليم العراق بميزات بخلت بها على كثير من الاقاليم فانها اجرت فى ديارنا انهارا وشطوطا واسالت فيها المياه العذبة فجعلت مزارع قطرنا من اجود المزارع واخصبت اراضينا واتخذ الناس تلك الأنهر طرقا طبيعية للملاحة والزراعة والتجارة وقد اودعت الطبيعة بطون الديار العراقية كنوزاً من المعادن مما ادت تلك الزراعة والصناعة والتجارة الى العمران السالف ذكره من القديم وهذا الذى جعل البلاد العراقية مطمحاً للفاتحين والطامعين وكان قد جعل سكانها على جانب عظيم من الزهو والترف . ولا شك فى ان العراق ، ملتقى آسيا العليا والسفلى وخليج فارس وبحر الهند وبلاد العجم كان محطة قوافل الشرق والغرب ومجتمع الملاحين الذين يأتون من بلاد افريقية والعرب والهند بالجواهر والاحجار الكريمة والشراب والمنسوجات الصوفية والعطور والتوابل والابانوس والخيزران وغيرها من البضائع الثمينة فيبيعونها ويشترون من العراق المنسوجات القطنية والصوف والكتان والأثاث والاسلحة والجواهر والخواتم والسجاد وما اشبه ذلك فكانت تدخل العراق ثروة لا يستهان

بها وهكذا كان العراق من اهم المراكز التجارية والاقتصادية ومن اجمل المنابع للثروة والرفاه فكيف لايطمح الفاتحون الى الاستيلاء عليه ؟.

وقد نظر الفرس بعين الطمع الى الديار العراقية فحمل (كيخسرو) على بابل سنة ٥٣٨ ق . م حملة شعواء وضربها ضربة قضت على كيانها لما رأى من خصب هذه البلاد مايحير الالباب . فدخل (كيخسرو) بابل وجامل الاهالي ونشط وسائل العمران وحذا حلفاؤه من ملوك الفرس حذوه فازدادت ثروة العراق وتوسعت بلاد الفرس حتى بلغت المملكة فى عهد (دارا) سنة ٥٢١ — ٤٨٥ قبل الميلاد شرفات العز والرفاه .

وقد اهتم الساسانيون بحفر الترع وكرى الأنهر لتنشيط الزراعة وقد قام بشيء كثير من تلك الاعمال (كسرى انوشروان) سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م فانه اشتهر بترقية الزراعة ومهد طرق التجارة وحسن مالية الدولة . وهكذا حكمت الديار العراقية قروناً عديدة من قبل الفرس رغماً عن وجود رقيب آخر لها الا وهى دولة الرومان . اذ كانت الدولتان الرومية والفارسية تتنازعان النفوذ الاقتصادى وتتوسلان بالوسائل لتوسعا نطاق ثروتهما وتجارتهما الى بلاد الهند : بل كانتا تتنازعان سيادة العالم فكانت دولة الرومان ربة الحل والعقد فى الغرب وفى سورية وكانت دولة الفرس ام الامر والنهى فى الشرق والعراق . ولم يفكر احد ان كلا من تينك الدولتين كانت تحمل جراثيم الوهن والاضمحلال فى قلبها لما استولى عليها من العجز والتراخى ولم يدر فى خلد احد فى ان قوة تصدر من الحجاز يخضع لها القياصرة وان جيشاً ينبعث من (ام القرى) تحنى له رؤس الاكاسرة فكان العامل الوحيد

فى هذا الأنقلاب العظيم هو (النور المحمدى) وظهور الاسلام . ولم يجهل العرب الفاتحون بعد الاسلام خطورة العراق الاقتصادي واهميته التجارية ودرجة ثروته المهولة نظراً الى موقعه الجغرافى البديع فاوفد امير المؤمنين ابو بكر الصديق رضى الله عنه جيشاً فى بادىء الامر تحت قيادة خالد بن الوليد سنة (١٢ هـ) للاستيلاء على العراق فضبط المشار اليه (الابلة) (بجوار البصرة) ثغر العراق وجميع مدن الفرات وفى ضمنها (الحيرة) وجوارها وبعد ذلك ارسل امير المؤمنين عمر سنة ١٤ و ١٥ هـ جيشاً آخر بقيادة سعد بن ابى وقاص ففتح العراق وبقى القطر تحت حكم العرب حتى اصبحت عاصمته بغداد فىعهد العباسيين رومية الشرق يأمها الناس من كل جانب للارتزاق ولتحصيل العلوم واكتساب المعارف والحضارة والصناعة وللوقوف على اسرار العمران وهكذا كان العراق فى اوج العلى بينما كانت اوروبا فىحضيض الجهل والظلمات ...

ولم يمض عام (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) الا وقدر الله ان يهجم على العراق (هولاكو) فعاث فيه شراً وفساداً وفتح بغداد ونكل بالخليفة المستعصم بالله وقتله شر قتلة واعمل بالعراقين السيف والنار فقتل منهم ما ينوف على المليون نسمة بعد ان احرق المدن وفتك بالعمران وخرب الديار وهكذا دام الدمار حتى تلاه دمار آخر على عهد تيمورلنك سنة (٧٩٥ هـ — ١٢٩٢ م) اذ انه ضبط بغداد لاول مرة ثم عاد اليها سنة (٨٠٣ هـ — ١٤٠٠ م) وبعد حصار دام اربعين يوماً اجتاحها وجعل عاليها سافلها وافقر اهلها واقفر منازلها وقتل نفوساً كثيرة وخرب مرافق ثروة عاصمة العراق الجميلة .

ثم نصب الاتراك عينهم على العراق فاحتل السلطان سليمان القانونى بغداد سنة (٩٤١ هـ ٣١ كانون الاول ١٥٣٤ م) فاسترجعه الايرانيون فى تلك السنة وبقيت بيدهم بضع سنوات حتى استردها منهم السلطان مراد الرابع سنة (١٦٣٨ م — ١٠٤٨ هـ) وبقيت الديار العراقية تحت حكم الاتراك الى ان ظهرت الحرب العامة فاستولى عليها الانكليز سنة ١٩١٤ -- ١٩١٨ م .

تطور علاقات الدول الاوروباوية بالديار العراقية :

هكذا كان قد قدر الله تعالى على العراق ان يكون هدفاً لمطامع الدول القوية ومرمى هجماتهم نظراً الى اهميته الاقتصادية والسياسية والى كنوز ثروته الطبيعية ولن تتأخر امة من الامم الراقية عن طرق ابواب ديارنا للاستفادة منها وقد قال حضرة الفاضل يوسف افندى غنيمة فى محاضرة القاها على مسامع الناس فى المعهد العلمى ببغداد فى هذا الصدد :

فاز البرتغاليون ذلك الفوز العظيم فى الملاحة والتجارة فى اوائل القرن السادس عشر فارادو ان يجعلوا العراق مخرجاً لمصنوعاتهم ومتجراً لهم فقبضوا على زمام امور الملاحة فى خليج فارس وشط العرب فبعثوا باسطولهم سنة ١٥٠٩ م الى خليج فارس تحارب اساطيل امراء العرب ولم ينل البرتغاليون الفوز النهائى الا على يد (الفونس دلبوكرك) سنة ١٥١٥ فاستولى هذا على مضيق هرمز استيلاءً قطعياً ولا شك فى ان للمضيق المذكور اهمية تجارية وسياسية جلبت اليه الانظار الامم العظيمه اذ كان يقول الفرس : (ان مضيق هرمز فص خاتم العالم باسره .) وبقى نفوذ البرتغاليين على

بسواحل الخليج وشط العرب حتى سنة ١٧٥٧ م اذ نزحوا من تلك الديار ولم يعودوا اليها .

ثم اراد الهولانديون اقامة نفوذ تجارتهم على سواحل خليج فارس بعد البرتغاليين فاجتهدوا ثم صرفوا النظر عن ذلك سنة ١٧٥٢ م .

وأرادت فرانسة تأسيس علاقات تجاريه لها فى العراق فعينت رئيس الكرمليين قنصلا لها فى بغداد سنة ١٦٧٩ م على عهد لويس الرابع عشر ثم تعين مطران بابل اللاتيني قنصلا فى بغداد سنة ١٧٤٠ م ثم ارسلت فرانسة بعثة سياسية الى العراق سنة ١٧٩٦ م فعينت المسيو (جان باتست روسو) وكيل الشركة الهندية الافرنسية فى البصرة معتمداً لها هذا وان ولاية البصرة وبغداد كانوا قد روجوا مصالح الاوروباويين وعاونوهم فى مشاريعهم الاقتصادية وكانت علاقات العراق السياسية والتجارية اذ ذاك مرتبطة بالانكليز نظرا لتوسع معاملاتهم الاقتصاديه فى خليج فارس والعراق .

واول اسطول انكليزى رسا فى مياه الهند كان بقيادة (فرنسيس درك) وذلك سنة (١٥٧٨ م) ولكنه لم يتمكن من الوصول الى الشواطئ الهندية . وفى السنة التالية جاء الهند فى المراكب البرتغالية القسيس (توماس ستغنس) فكتب رسائل الى انكلترة كان لها وقع على التجار هناك وحركت بعضهم الى الظعن الى ديارنا وفى سنة (١٥٩٩) تأسست (شركة تجارة الهند الشرقية الانكليزية) وفى ٣١ تشرين الثانى سنة ١٦٠٠ منحت

الملكة (اليزابت) هذه الشركة امتياز حرية التجارة فى الهند الشرقية وافريقية وآسيا وخولتها حقاً لسن القوانين والحكم فى الجزاء وكان راس مال الشركة بادئ بدء (٧٢٠٠) ليرة انكليزية وكانت ارباحها تقسم فى كل سفر وتبلغ ماية بالمائة . ولما كانت سنة (١٦١٢) بلغ رأس مالها (٤٠٠ الف ليرة) وازدادت اهمية هذه الشركة فأيد امتيازها الملك (جمس الال) سنة ١٦٠٩ واتسع نطاق اعمالها ولبست لباس السياسة فى الهند وبلاد المغول وخليج فارس والعراق واوفدت الوفود والممثلين الى الملوك الامراء وقاومت البرتغاليين فى الخليج واستولت سنة ١٦٢٢ على مضيق هرمز ولعبت دورا مهما مع الهولانديين وكان لها وكالة فى (بندر عباس) اغلقت سنة ١٧٦١ وفتحت وكالة سنة ١٧٦٣ فى (بوشهر) ومنحهم شاه العجم كريم خان فى (بندر بوشهر) امتيازات خطيرة فسمح لهم ان يشتروا اراضى بقدر كفايتهم وان يفتحوا وكالات فى كل مرافى الخليج وان يضعوا مدافع فى وكالاتهم وعفاهم عن المكوس ومنع غيرهم من الاورباوئيين ان يجلبوا البضاعات وامر بمساعدتهم فى تحصيل ديونهم وعفا الدلالين والخدمة وكل من انتسب الى وكالاتهم من دفع الضرائب والرسوم .

وقد جاء ذكر اسفار اهالى لندن وتجارها الى العراق منذ سنة ١٥٨١ ومنهم (جون نيوبرى) وكانت (القرنة سنة ١٥٨٣ دار مكس وكان لشركة الهند الشرقية الانكليز وكالة فى البصرة ستة ١٦٣٩ دامت ثلاث سنوات وكان رئيس الوكالة يشغل منصب القنصلية البريطانية وله امتيازات جمة

وحرسه الخاص وله مـدافع امام داره ويتقدمه فى سيره فى الطريق خيـالة بأيديهم دبابيس مفضضـة . وكان لقنصليـة البصرة وكيل فى بغداد من سكان العراق وفى سنـة ١٧٩٨ ارسلت الشركة وكيلا انكليزيا فى بغداد عين قنصلا وفى سنه ١٨٠٢ اعترف الباب العالى بالنيابة السياسيه الانكليزيه رسميا فى بغداد . وفى سنة ١٨٢٠ م كان يرسوا امام القنصليه الانكليزيه فى بغداد مركب يرفع العلم البريطانى .

ولقد ازدادت خطورة العراق الاقتصاديه وعلاقات الاجانب فيه بمناسب الحركة الكونيه العظمى التى اخذت ديارنا بتيارهـا وقلبت العـالم الاروبى ونفضت عنـه غبـار القرون الوسطى ودفعتـه يجرى فى مضمار الاختراعات والاكتشافات ويسخر البحار والكهرباء فى سبيل نقل الاخبار والاموال فانقلبت اساليب الصناعة والزراعة فخرج الاوروبيون فى طلب المواد الاوليه لمعاملهم الكبرى وكان العراق من الاقطار التى الفتت انظارهم لشهرة وكثرة مواشيه وجودتها ونظرا الى اتساع المعامل عندهم طـافوا بلادنا بمصنوعات معاملهم المختلفة وساهم المتضاربة الانواع فوجدوا فى العراق سوقا رائجة وعلموا ان العراق من الاهمية بمكان يجمع بين قطرين عظيمين يسكنهم ملايين من النفوس .

ومما زاد العراق خطورة شوق الاوروباويين الى تأسيس المعاهد الاقتصاديه ونزوع الأثريين الى استطلاع الاثار العتيقة المدفونه فى اراضينـا من بقايا لحضارات الغـابرة . فان البعثه العامية الأثريه توالت فى العراق منذ القرن التاسع عشر وبينها الانكليزيه والفرنسيه والالمانيه والامريكيه فعرفت بكتاباتها هذا القطر للاوروبيين والامريكان .

ولا نغفل عن ذكر التربيه" والتهذيب والمدارس وغيرها من المؤثرات التى غيرت طرز معيشتنا وانظمه" بيوتنا وجعلت الميل فى قلوبنا الى الكماليات فى ترتيب لباسنا واثاث بيوتنا اذ ان العراقى فقد زهو العيش بعد انقراض الدلة العباسيه" ونسى ماكان عليه الاجداد من الترف والرخاء فعاد يقتبس من الاوروبى فى هذا القرن ما اعطاه فى القرون الوسطى فرجعت الوديعه" الينا بحلة قشيبه" وقد عالجتها الايادى العاملة فى غضون سته" قرون حتى جعلتها موافقه" لروح العصر الحاضر وفقا لناموس النشؤ والارتقاء وحملنا هذا التغير الى توريد البضاعات من معامل الغرب وافضى بنا الى اتساع التجارة واحتكاك الاجانب فى هذه البلاد .

وقد قام الكولونيل جسنى سنه" ١٨٣١ بفحص اسفل الفرات فوجده صالحاً للملاحه" فارادت انكلترا ان تجرى التطهيرات اللازمه" فى النهر المذكور وفقا لاقتراحات جسنى فخصص مجلس العوام عشرون الف ليرة لجعل هذا الطريق يجمع بين سوريا والهند عن طريق خليج فارس وفى سنه" ١٨٣٥ اتت البعثه" برئاسه" الكولونيل المومى اليه ومعاونه (هنرى لنج) ومعهم باخرتان (دجلة) و (الفرات) فوصلا سالمين الى (بيره جك) غير ان الباخرة (دجلة) غرقت فى نهر الفرات على اثر عاصفه" ثارت هناك واما الباخرة (فرات) فوصلت البصرة ثم (بوشهر) وفى سنه" ١٨٣٧ ركت هناك .

وفى سنه" ١٨٣٧ خلف لنج الكولونيل جسنى فى رئاسه" البعثه" المذكورة وقام بفحص مجرى دجلة من بلاد ارمنه" حتى الخليج الفارسى وفى سنه"

١٨٣٩ بعث الشركة الهندية الشرقية بثلاث سفن تجارية وفى السنة التالية وصلت هذه السفن بغداد . وفى سنة ١٨٤١ وصلت الباخرة (نمرود) الى (مسكنة) على الفرات .

وفى خريف سنة ١٨٦٠ تألفت شركة الملاحة فى دجلة والفرات لمؤسسها (لنج) وبعد ذلك انزلت الباخرة (لندن) وقطعت دجلة سنة ١٨٦٢ . وفى سنة ١٨٦٧ زاد مدحت باشا الوالى الشهير عدد البواخر العثمانية وودع ادارتها بعهدة (الادارة النهرية) حتى اشتراها السلطان عبد الحميد فسميت (الادارة الحميدية) وفى سنة ١٩٠٧ نشأت فكرة ضم المراكب العثمانية الى المراكب البريطانية الا ان المفاوضات فى هذا الشأن تركت سنة ١٩١٠ بعد ان دقق القضية مجلس الوزراء التركى على عهد وزارة حسين حلمى باشا .

وكانت انظار روسية تطمح الى مد نفوذها فى خليج فارس منذ عهد بعيد وقد جاءت وصية القيصر بطرس الاكبر منشطة لهذه الفكرة الا ان اعمال روسية الاقتصادية والتجارية فى هذه الديار لم تكن واسعة يعتمد عليها فى تحقيق هذه الامنية واول مرة اسست روسية فى بغداد قنصلية لها سنة ١٨٨١ ثم ارتفعت هذه عام ١٩٠١ الى مصاف القنصليات العامة وفى هذه السنة عينها انشئت شركة الملاحة الروسية فى البصرة وانشئ فرع لها فى بغداد وكان فى كل شهر تأتى الى البصرة سفينة روسية فيها امتعة مسقوفية اخصها البترول والواح الخشب والسماورات واوعية الشاى وكانت الاصدارات من العراق الى روسية تمر البصرة واما

الجلود وما اشبه ذلك فتنقل براً على ظهور الدواب وهكذا كانت تزداد علاقات روسيه بالعراق تدريجاً حتى ظهور الحرب العامه .

٤ تنازع الجرمن والانكليز النفوذ فى بلادنا :

خلق البشر طماحاً طماعاً حريصاً على التغلب والتفوق فاخذ يتنازع البقاء منذ عهد هابيل وقابيل وبهذا اقتضت سنه الكون ان حياة قوم بموت قوم آخرين ولو تتبعنا اسباب الحروب فى الكون ولاسيما فى القرون الاخيرة لوجدناها اسباباً اقتصاديه محضه على الاغلب وكم سمعنا بعقد المؤتمرات فى العواصم الاوروبيه لنزع السلاح وتحديد النزاع ولم تكن النتيجه فى ذلك الا خيبه السعى وعكس الامل ومن ذلك ما نقل عن المارشال فوندرغولج باشا القائد الالمانى الذائع الصيت انه كان قد اجتمع فى (استقهولم) عاصمه اسوج مؤتمر لتشييد دعائم الصلح فى العالم وتحديد السلاح واحالة حل المشاكل السياسية الى محاكم صلحيه دوليه فما كانت نتيجه البحث والمناقشات الا حدوث نزاع ومضاربات بين الاعضاء انفسهم وصار ذلك سبباً لتداخل البوليس والاستعانه بالسلاح الذى كان القصد الغائه من وجه البسيطه .

وانا نعتقد ان حياة الامم كحياة الافراد . وبما ان طينه بنى الانسان مكونه من تراب الحرص وحب التغلب كان قلع النزاع من العالم من رابع المستحيلات .

ولما كانت نفوس الدول الغربيه لاسيما المانيا وانكلترة وفرانسه بازدياد عظيم سنه بعد سنه استهدفت هذه الدول بلاد الشرق لتمتلكها وتستثمرها فاوفدت اليها ابناءها بوسائل شتى لتأمين معيشتهم ولتستفيد من منابع ثروة

تلك البلاد ولتجعلها مخرجاً وسوقاً لتجارتها ومصنوعاتها فرسم كل من هذه الدول خطة تسير عليها الى مدة تمكن بها من امتلاك ما يقع داخل حوزتها من البلاد الشرقيـة وهكذا ظهرت (المسئلة الشرقية) من عالم العـدم الى الوجود تلك القضيـة التي كان موجـد امبراطورية الجرمن بسمارق يقول « ان المسئلة الشرقية لا تساوى عظم جندى بومرانى » فسبحان مغير الامور الذى جعل المانيا التى تعتبر الشرق لايساوى عظم جندى بومرانى من جهة تنصب عيون اطماعها الى ديارنا من الجهة الاخرى .

ولـما اخذت نفوس الالمـان بالازدياد وبدأت تتكاثر كل سنة ما ينوف على ٨٠٠ الف نسمة منذ حرب السبعين فكر رجال الحل والعقد من الجرمن فى عـدم وسعة المانيـا وضيقها تجاه هـذا السيل الولادى واخذوا يجتهدون فى امر امتلاك بلاد واسعة خارج المانيـا تمهيداً لاولادهم واحفادهم المقبلة سبل المعيشـة والرفاه ولاسيما كانت المانيـا تحتاج الى كثير من المواد الابتدائية لمصنوعاتهـا العظيمة فأصبحت مجبورة على طرق ابواب الديار الشرقية فكثرت سفنهـا التجارية والحربية تدريجاً الى ان تمكنت من توسيع نطاقها التجارى فكان الالمان قـد اختطوا لهم خطـة تكفل لهم مـستقبلهم الاقتصادى وتعينهم على مآربهم ومطامعهم الاستيلائية .

ولما كانت غاية المانيـا من تلك الخطـة هى الحصول على النفوذ فى بلاد الاناضول فالجزيرة والعراق ادركت ان ذلك لا يمكن الا بتأسيس العلاقات الودية مع تركيـا فاستهدفت مبدئياً اخـذ الدولة العثمانية بيدهـا لتتمكن من الحصول على مآربهـا السياسية . وقـد كانت هـذه الفكرة

مرتكزة بادمغة الالمان منذ عهد فردريك الكبير الا انها لم تخرج من القوة الى الفعل الا على عهد الامبراطور ويلهلم حيث ادركت المانيا عظم اهمية العراق وخليج فارس وعرفت ان الدولة التى يقع فى يدها مفتاح العراق والخليج تستطيع ان تكون صاحبة القول والفصل فى امور الشرق المتوسط وتمكن من الاستفادة فى منابع الثروة المذكورة فى هذه الاصقاع فلذلك استهدفت المانيا تمديد جسر نفوذها من ميناء (هامبورغ) الى الاستانة فالعراق فسواحل خليج فارس لتشيد دعائم خطتها السياسية المرسومة . هذا وان اول من اكتشف سر هذه الخطة هو السياسى الاستعمارى السير جونسون الانكليزى الذى صرح مراراً بخطر الجرمن على الشرق المتوسط .

ولاشك فى ان انكلترة كانت تعقب خطوات الرقى المادى والمعنوى الذى اخذ يزداد يوماً فيوماً فى بلاد الجرمن بعين الرقابة والقلق وكان من حسن حظ المانيا ان البارون مارشال (فون بيبرشتاين) وزيراً للخارجية سنة ١٧٩٠ فاراد أولاً امتلاك جزيرة (هليغولاندا) الانكليزية الواقعة على مقربة بضعة اميال من سواحل المانيا ليجعلها حصناً حصيناً للاسطول الجرمنى ومسنداً قوياً لجسر النفوذ الالمانى المتصور تمديده من المانيا الى خليج فارس وقد توفق المشار اليه على اخذها من انكلترة مبادلة بجزيره (زنجبار) وفقاً لتصورات بسمرق الشهير . فكان لهذه الموفقيه رنه عجيبه فى الصحف الاوروباويه وكانت الصحف البريطانية تقوم وتقعد غضباً والبعض منها تسلى ابناء التايمس على فقد هذه الجزيرة التى كانت بوضعيتها الجغرافية تشبه حساماً مشهوراً

على قلب المانيا . وقد كان من حسن التصادف ان (فون بيرشتاين) نفسه تمكن ايضا من اخذ امتياز تمديد السكة الحديدية البغدادية سنة ١٩١٠ بزمن سفارته فى الاستانة فأصبح المشار اليه هو الراكز قدمى جسر النفوذ الالمانى من ميناء همبرج الى خليج فارس فكادت تكون القدم الاولى للجسر المذكور مرتكزة على جزيرة (هليغولاند) ولاخرى على ضفاف خليج العجم الذى امسى مقبرة للسياسة الالمانية الشرقية بعد هذه الحرب الكونية .

فكان التاريخان المذكوران (اعنى ١٨٩٠ و ١٩١٠) علامتين على مبدأ ومنتهى جسر النفوذ الالمانى ودليلين الى غايات الخطة السياسية والاقتصادية الالمانية . فشخصت اعين البريطانيين نحو نوايا الالمان ولا يخفى ان جسر هليغولاند — خليج فارس السياسى الذى كان يروم الالمان نصبه لهو من اعظم الغايات السياسية والاقتصادية فأن هذا الطريق التجارى العظيم الشأن كان يستهدف ربط اوروبا بالهند ولو برز هذا المشروع من القوة الى العمل لكان يصل الانكليزى بومباى بعشرة ايام بدلا عن السياحة البحرية التى يختارها بمدة ثلاث اسابيع على الاقل . هذا وقد كان معلوم لدى متتبعى القيودات الاحصائية ان تجارة الالمانيا فى تركيا كانت قد ازدادت سنة ١٩١٠ اربعة اضعاف ما كانت عليه سنة ١٨٨٧ فأما تجارة انكلترة فكانت بالعكس قد نقصت نحو النصف بخلال تلك السنين . فلذلك كان تمديد جسر النفوذ الالمانى السالف ذكره الى الاناضول فخليج فارس خطراً عظيماً على تجاثر الانكليز وعلى بلاد الهند التى هى قلب انكلترة نفسها . وكان يقول احد ساسة الانكليز : « ان كل مائة كيلو متر من سكة

حديد بغـداد تمتد نحو خليج فارس تعـادل طرادا بحريا لكسر شوكتنا . »
فهكذا كانت انكلترة فى قلق من نوايا الجرمن .

ولما ادركت المانيا خطورة اراضى مابين النهرين الخصبة ، مركز مخازن الذخيرة فى العالم ، قصدت احيـاء واستثمار هذه البقاع المبـاركة واستدرار المنافع منها ، لاسيما من منافع البترول والفحم وغيرها من المعادن المكنوزة وارادت امرار جسر نفوذها السياسى من هذه البلاد الخطيرة الشأن التى تحقق انه كان يقطن فى كل كيلومتر مربع من اراضيهـا مائة وعشرة نسمات ككثـافة نفوس الالمان فى بلادهم . وقد ظهر لنا من مشروع الرى الذى اراد القيـام به فى عهـد تركيا المهندس الاختصاصى الشهير السير ويليـام ويلقوقس ان بمشروع الارواء الذى يفـكر اجراءه بثمـانيـة سنين تبلغ محصولات العراق الى ماينوف على المليون طن من الحنطة ومليونا كنتال من القطن عدا جلود المواشى وغيرها ، اما الان فأن خمس ملايين هكتار من الاراضى الخصبة فى العراق لن تزل تنتظر الايادى العاملة للاستثمار .

وكان قد شاع ان المانيا تنوى ارســال جم غفير من رعيتهـا لترطينهم واسكانهم على طول ســكة حديد بغداد بقصد استعمـار العراق فكان لهذه الاشاعات رنة سياسية فى ذلك الزمن .

اما انكلترا ، فأنها منذ زمن بعيـد رسمت لهاخطة تعاكس المانيـا لبسط نفوذهـا على بلاد الشرق وان اول من كشف هـذه الخطـة الانكليزية بسمارق المانيـا الاقتصـادى (فريد ريخ ليست) الشهير اذ نهض هذا فى منتصف القرن المـاضى قائلا « ان خـطة بريطـانيـا العظمى السيـاسـية

والاقتصادية هى ايجاد حلقة نفوذ لها تمتد من مستملكاتها الافريقية والاسياوية الى بلاد استراليا وادخال البحر المتوسط والاوقيانوس الهندى ضمن تلك الحلقة وجعل هذه البحار العظيمة بحيرات انكليزية » وفى الحقيقة ان انكلترا ركزت اقدام خطتها هذه فى اوربا وافريقية على جبل طارق سنة ١٧٠٤ وعلى جزيرة مالطة سنة ١٨١٤ وعلى السويس سنة ١٨٧٥ وعلى القاهرة سنة ١٨٨١ ولم تتمكن من اتمام حلقة الخطة المذكورة فى فلسطين والعراق الا فى اواخر الحرب العظمى عام ١٩١٨ وهكذا كانت انكلترة قد ركزت اوتاد نفوذها حول جزيرة العرب فاحاطتها بسلاسل سيطرتها السياسية والاقتصادية ولاشك فى إن (فريد ريخ ليست) كان قد عرف سياسة انكلترا هذه حق المعرفة فأوصى ساسة الالمان منذ القرن الماضى باشغال ميناء (عدن) وجزيرة سوقطرا فسبقت انكلترا الالمان واشغلت عدن سنة ١٨٣٠ وجزيرة سوقطرا سنة ١٨٣١ وهكذا احتلت بريطانيا اهم النقاط التى تهدد الطريق الهند ولم تكتف بذلك بل ارادت تحكيم موقعها فى مصر وتقف امام التجاوز التركى من جهة سوريا فاشغلت سنه ١٩٠٦ مدينة (العقبة) فى شبه جزيرة سينا واشغلت جزيرة البحرين سنة ١٨٦١ وبذلك قد استحكمت خطتها واكملت حلقة نفوذها وكانت كما لن تزال تريد ربط البحر المتوسط بالاوقيانوس الهندى بسكة حديد تمتد من حيفا الى بغداد فسواحل خليج فارس ولم تزل رجال بريطانيا تسعى لتحقيق هذا المشروع العظيم على ما ظهر لنا من بعض التشبثات .

ولاشك فى ان بلاد الهند هى روح الدولة البريطانية وللهند خطورة

عظمى فى سياسة انكلترة وان صيانة بلاد الهند محور السياسة الانكليزية كيف لم تكن بلاد الهند روح انكلترة ولم يزل يتنعم منها ٤٠ مليون انكليزى وقد دلت الاحصائيات الاخيرة على ان نحو (١٥٠) الف موظف انكليزى يتقاضى كل منهم فى الهند راتباً معدله ١٥٠ جنيه سنوياً فيسحب هؤلاء الموظفون نحواً من ٢٣ مليون جنيه من الهند . هذا عدا عن الشركات الانكليزية المتضاربة الانواع التى تسحب المبالغ الطائلة من بلاد الهند وعدا عن الملايين التى تتدفق من ادخالات انكلترة التجارية ومصنوعات معاملها العظيمة.

ولذا اردت ان تفهم ان السياسة البريطانية تدور دائما حول قضية محافظة بلاد الهند فأقرأ بعض الفقرات المندرجة فى الرابور المعطى من قبل البعثة الانكليزية المؤلفة من رجال البرلمان تحت رئاسة الكولونيل جسنى سنة ١٨٣٤ ايام ما درسوا اهمية الطرق المؤدية الى توسيع حلقة النفوذ البريطانى المنوى تأسيسها من جبل طارق الى بلاد استراليا فقد قالت البعثة المذكورة : « ان البعثة البرلمانية تعتقد ان تأسيس الطريق القديم الموصل بلاد الهند باوروبا يهم انكلترة اهتماما كثيراً ولها اشد علاقة بذلك اذ انه هو الممر الوحيد لمناقلات آسيا الجنوبية ولتجارتنا مع الشرق فعلى انكلترة ان تقوم كل حادثه تهدد بلاد الهند وتقف امام كل تيار يكسر النفوذ البريطانى فيها » فمن هذا يفهم ان السياسة البريطانيه قديمة وثابته الا وهى : (الاستيلاء على اهم الطرق التى تهدد بلاد الهند) ولما كان العراق من جملة الطرق المذكورة فقد استهدفته انكلترة منذ زمن بعيد فشرعت تؤسس نفوذها على ضفاف خليج فارس كما سنرى فيما يرد ذكره .

ولما كان القطر المصرى من اهم الطرق التى تهدد الهند ايضاً فقد استهدفت انكلترة تحكيم موقعها فى افريقة ولم تتأخر عن بسط اجنحة نفوذها على مصر ليجعلها القطب الشمالى لنفوذهــا فى افريقــة وعلى بلاد (الترنسوال) فبلاد (الكاب) لتجعلها القطب الجنوبى لنفوذها فى افريقة ثم على مضيق (مالاقا) ليكون الباب الثالث لها للاستيلاء على الاوقيانوس الهندى الذى يربط الهند ببلاد استراليا ففعلت ذلك وركزت اقدام سيطرتها وقـد قال بسمارق : « ان انكلترا تحتاج الى مصر كما يحتاج الانسان الى الخبز والغـذاء وان مصر بمنزلة دماغ انكلترا فى جزيرة بريطانية نفسها وبمنزلة النخاع الشوكى لها فى مستملكاتها » . صدق فى قوله بسمارق لان سلامة مواصلات انكلترة مع مستملكاتها وسلامة تجارتها البحرية منوطة بمصر وبقنال السويس .

وكان المحرر السياسى الالمانى (باول روهرباخ) يقول « ان هدف سيـاسة الملك ادوارد السابع هو تأسيس طريق المواصلة ما بين الهند ومصر ولذلك استهدفت انكلترا البـلاد العربية والعجمية الجنوبيـة والعراق لتنـال غاياتها السيـاسية . ولاشك فى ان نظام سياسة انكلترا يقضى بتأسيس امبراطورية جسيمة تمتـد من من وادى النيل والسودان وبحيرة (وفيكتورنيانزا) الى جزيرة العرب فالعراق فبلاد العجم والافغان والهنـد حتى مضيق (مالاقا) على ان تجعل الاوقيانوس الهندى فى هذه الحلقة كبحيرة انكليزية ضمن حدودها او كبحر داخلى يختص بها لا بسواها . »

وقال اللورد كرزن الحـاكم العـام لبلاد الهند ســابقاً والوزير الخارجية لاحقــاً فى خطبته ســنة ١٩٠٢ ان بلاد الهنــد هى روح الامبراطورية

البريطانية . فالواجب علينا ان نبعد نفوذ كل دولة اجنبية عن الهند .

وقد كانت بلاد الهند مصونة براً وبحراً من نفوذ الدول الاوروباوية وكان حينئذ بين حدود الهند والمسقوف مسافة بعيدة تتجاوز المائة من الاميال وكانت جبال (بامير) وبلاد الافغان والعجم تفرق بين الهند وروسيا ولم تكن فرانسة في تلك الآونة صاحبة النفوذ في الهند الصينية وما كانت اذ ذاك المانيا الا مؤلفة من حكومات صغيرة مقطعة الاوصال ولم يكن لها اسطول يحسب له الحساب . فاما اليوم فقد اصبحت روسيا قادرة على تهديد بلاد العجم وسواحل خليج فارس بمناسبة تقرب حدودها الى تلك الاصقاع وتوسع نفوذ روسيا في تلك الديار مما يخشى منه لاسيما اذا اتفقت روسيا والافغان وضبطتا مقاطعة (مانجورى) فتصبح حينئذ بلاد المغول وتركستان تحت قبضتها . فاما فرانسة التى امتلكت مستعمرة جسيمة في بلاد الهند الصينية فقد وسعت اليوم حدود مستعمراتها المذكورة وتبذل كل ما في وسعها لتبسط سيطرتها شمالاً نحو بلاد الصين نفسها . واما المانيا التى لم تمس الشرق الاوسط حتى الآن فانها اليوم قامت تسعى السعى الحثيث للحلول في الجزيرة والعراق بالوسائط التجارية وبالطرق الاقتصادية وانها تطلب منا ان نكون ظهيراً لها في ذلك الحلول الاقتصادى الذى قد يؤدى الى بعض النتائج الوخيمة وان سيطرة تركيا ونفوذ ايران الحالى على سواحل خليج فارس ما هو الا ناشئ عن تسيبنا وعدم تبصرنا ولكن سوف يكون ذلك ضرراً عظيماً علينا اذا استعملت كل من تركيا وايران ذلك النفوذ باضرارنا . فان هاتين

الدولتين شرعوا بتدوير دواليب سياسية وراء ستارها رقيبتنا المانيا ورغماً عن اننا اكبر امة تجارية فى الشرق فقد تقاص ضل نفوذنا التجارى فى العراق منذ نصف قرن ونيف فعلى كل انى ارى نفوذ بريطانيا مهدداً من قبل حكومات قوية جداً .... »

هذا ما جاء فى خطاب اللورد كرزن المحتوى على اعترافات مهمة تتعلق بآمال انكلترا السياسية فى الشرق . فاما السير ويليام ويلقوقس ، (احد مروجى سياسة الاستعمار فقد قال فى محاضرة القاها امام الجمعية الجغرافية فى القاهرة فيما يتعلق باحياء وسائط الرى القديمة واعمار العراق :

« ... مع ذلك لم تكن بلاد ما بين النهرين مقاطعة تصلح لتكون وطناً ثانياً للعرق الابيض . وانى اعتقد انه سوف تأتى الايدى العاملة لاعمار هذه الديار القديمة من الشرق لا من الغرب وان سكة بغداد الحديدية سوف تخرق هذه الاصقاع وتمتد على طول جدول النهر وان القديم الذى سيكون بخلال هذه المدة قد تصلح وتنظف ولا شك فى ان هذه الديار سوف تعيد ثروتها السالفة ولكن يا ترى هل تكون رؤوس الاموال الانكليزية التى سوف تأتى من الشرق ام رؤوس اموال الجرمن التى سوف تأتى من الغرب تحيي قنال النهروان ؟ فهذه النقطة لم تزل مجهولة والمستقبل كشاف . غير انى اعتقد انه عند حفر الانهر الجسيمة على طول السكة الحديدية المذكورة سوف تكون ثروة العراق كثروة مصر ولاشك فى ان واردات الجداول المبحوث عنها سوف يبلغ الى مقدار اكثر مما يلزم لسد مصاريفات انشاء السكة الحديدية وحفريات الجداول

بظرف مدة وجيزة . ولكن اظن انه لا يصلح لاستثمار العراق الا المتوغلين بالزراعة من رجال مصر من الذين حنكتهم التجاريب الزراعية . وانى ارى من الضرورى جلب عمال من مصر والهند لحفر جداول وسدد العراق وبعد اتمام هذه المهمة يجب جلب الملايين من فلاحى مصر والهند واسكانهم فى تلك الديار لجعلها كنسخة ثانية من مقاطعة (بنجاب) ولا يتم اعمار العراق الا بتلك العمال والفلاحين . » فلنفكر نحن العراقيين فى هذه الاقوال برهة ولنعمل ما يجب لكى لا تطبق علينا هذه الخطط البائدة .

اهمية خليج فارس وسيطرة انكلترة على ضفافه :

لا يخفى على العارفين ان ليس بين بحار الارض المحصورة بحر له ما لخليج فارس من التاريخ القديم العجيب فقد زعم علماء طبقات الارض ان هذا الخليج كان فى الازمنة القديمة المجهولة يمتد الى جبل سنجار فاملأته رسوبات نهرى الدجلة والفرات تدريجاً حتى اصبح بحاله الحاضر وان مصب شط العرب امتد نحو ٣٢٠٠ مترو من سنة ١٨٩٣ الى ١٧٣٣ وقد طال امتداد ذلك المصب فى الثلاثين قرن من القرون الاخيرة نحو ١٥٠ كيلو متر فنظراً لهذا الحساب المحسوب من قبل المتفنن (دومورغان) يجب ان يكون مصب شط العرب بشمال القورنة قبل ٣٠٠٠ ونيف عاماً ولاشك فى ان هذا الخليج هو الممر البحرى الوحيد لربط الهند والشرق الاقصى بالعراق والعجم وهو متجر تلك الاقاليم وطريق منقولاتها ، حيث يسير فيه ما ينوف على (٢٠٠) باخرة سنوياً ما عدا السفن الشراعية

محمولها ٤٠٠ القـطن تقريباً فى كل عام . ولاسيا فيه مغاوص اللؤلؤ واسواقها العظيمة حيث تعرض اللآلى التى تستخرج من مغاوصها الممتدة على طول ضفة الخليج الغربية ، هذا عدا عن تشكلات الخليج الطبيعية التى ابدعت من الجزر والمرافئ الامينة مايساعد سير السفن الكبيرة ويؤيهم اليه كمحطة اوميناء .

تبدأ علاقات انكلترة السياسية والتجارية بالخليج الفارسى منذ سنة ١٦٢٢م اذا انها قد استهدفت هذا الخليج لتأمين تجارتها مع بلاد العجم والعـرب ولكن لما رأت من البرتغاليين مايزاحمها فى اقتصادياتها فكرت فى الامر وجعلت (شركة تجارة الهند الشرقية) التى كان اذ ذاك مركزها فى سواحل (سورات) (١٥ ميل شمالى بومبى) وسيلة لبسط نفوذها الاقتصادى فى سواحل الخليج فعقدت هذه الشركة سنة ١٦٢٥م اتفاقاً مع شاه العجم يقضى بارسال اسطول مؤلف من خمس سفائن حربية لتقوية الاسطول الفارسى وطرد البرتغاليين .

ولم يمض عام ١٦٢٥ الا وغلب الاسطول البرتغالى فى مضيق (هرمز) وهرب البرتغـاليون الى (مسقط) وقد اضاع الانـكليز فى هـذه المحاربة شخصين احدهم (السير ويليام بافن) الذى اكتشف خليج (بافن) المشهور حيث اصابته رصاصة بينما كان يرسم خارطـة المضيق واخذ يزداد نفوذ انـكلترة فى الخليج اعتباراً من هذه الواقعة تدريجاً وقد اعطى شاه العجم نصف واردات كمرك (بندر عباس) الى الشركة المـذكورة مكافاة لخدمات التى قامت بها .

ومـع ذلك كانا فى الخليج سنة ١٦٢٨ رقيبين آخرين لانـكلترة الا وهمـا :

الشركتي التجارية الهولاندية والفرنساوية ولاسيما الهولانديون كانوا قدوسعوا تجارتها الى درجة مهمة كادت تقضي على الشركة الانكليزية . ولكن ثبتت انكلترة في مزاحمتها للهولانديين ففتحت سنة ١٧٦٣ فروع لشركتها في (بندر بوشير) وغيرها من مدن الخليج وتمكنت بسياستها من اخذ فرامين وامتيازات مهمة من ملوك العجم فان مانالته انكلترة من الامتيازات من شاه العجم على عهد قنصلها (بنجامين جيرويس) لم تنله غيرها من الدول الاوربارية وهذا الذي جعل نفوذ انكلترة التجاري يفوق تجارة الهولانديين فنزحوا منها ولم يعودوا مرة اخرى .

ولما صفى الجو للشركة الانكليزية التي لها الصحائف المهمة في تاريخ مستملكات بريطانيا العظمى ، شرعت هذه بتثبيت اقدام سيطرتها عنوة فضربت سنة ١٧٦٥ باسطولها (شيخ شعب) ولم تفلح فكررت حركتها البحرية العسكرية في السنة التالية ولم تنجح غير انها تصدت الى (قلعة منصور شرق المحمرة ٣٦ميل) فاحتلتها في شهر آب سنة ١٨٦٦ ولم تكتف الشركة بذلك فحسب ، بل انها هاجمت بعد ذلك قلعة (كوبان) بالاتفاق مع الاتراك وبينما كانت البصرة تحت حكم الفرس منذ عام ١٧٧٦ الى ١٧٧٩ استردتها الدولة العثمانية من العجم خلال تلك السنين وساقت الشركة عام ١٨١٠ جيشاً تحت قيادة الجنرال (غراندكر) فاحتلت قلعة (راس الخيمة) في فم مضيق هرمز ثم تركتها لوخامة طقسها فاشغلت جزيرة (قشم) عوضاً عنها كان هذه الجزيرة لم تزل تحت اشغال انكلترة حتى الان . وبنتيجة هذه الحركات العسكرية امتدت سيطرة انكلترا من (ماسساندام) الى الكويت منذ سنة ١٨٣٦

ثم وسعت انكلترا مناسباتها السياسية مع زعماء الخليج فثبتتها تدريجا حتى سنة ١٨٠٣ وهكذا كانت قد استحكمت نفوذها على ضفاف خليج فارس .

ولما كانت سنة ١٨٥٦ هاجم الايرانيون بعض المؤسسات الانكليزية فى (هرات) فاتخذت انكلترا ذلك وسيلة للتبسط فأشهرت الحرب على شاه العجم وساقت جيشاً تحت قيادة الجنرال (جيمس اوترام) واخرجته فى (بندر بوشير) فى ٣ كانون الثانى سنة ١٨٥٧ ولما تقهقر جيش الفرس من (بوراسجان) فى اوائل شباط اركب القائد جيشه بالسفن ورسا به الى فم نهر القارون فاحتل (المحمرة) و (الحويزة) و(الاهواز) الى ان عقد الصلح فى باريس بين الانكليز والعجم فى ٤ اذار سنة١٨٥٧ فعادت القوة البريطانية الى الهند وتركت بريطانيا (الجزيرة) الى الشيخ جابر رئيس عشيرة (المحيسن) نظراً لخدماته ومساعداته لبريطانيا العظمى اثناء قيامها بالحركات العسكرية هذا وقد فتحت انكلترا عام ١٨٩٠ قنصلية فى (المحمرة) وتالفت شعبة لشركة السفائن فى نهر القارون (لنج اخوان) وبذلك قد اصبحت علاقات انكلترة فى تلك الديار مهمة جدا .

ولما قتل الشيخ مزعل بن الشيخ جابر عام ١٨٩٧ خلفه اخوه خزعل فاخذ يدير شئون ملك ابيه ولم يخرج عن طريق سياسة والده فقد جلب اعتماد الانكليز وحرمة حكومة العجم وكثيراً مانصبته ايران حاكماً على مقاطعتها هناك غير ان المشار اليه مربوط بانكلترا اكثر منها الى حكومته الايرانية . وان لخزعل علاقات ومقاولات مع انكلترا تعهد فيها حمايته لقاء ارتباطه بها وقد انعمت بريطانيا العظمى عليه سنة ١٩١٠ بوسام : (كى . . سى آى . اى) وبوسام :

(كى . سى . اس . آى) حيث تناوله من يد حاكم الهند العام سنة ١٩١٥ وقد رفعت بريطانيا العظمى سنة ١٩٠٩ عدد طلقات مدافع التحية للمشار اليه من ٧ اطلاقات الى ١٢ اطلاقة احتراماً وتذكاراً لخدماته وصداقته لانكلترا .

ولاشك فى ان الفضل فى توسع النفوذ الانكليزى فى سواحل الخليج يعود الى (شركة تجارة الهند الشرقية) قبل كل شيء ، تلك الشركة الخطيرة الشان التى ملكت انكلترا بلاد الهند العظيمة واعتها غناء لم يكن له مثيل فالله در شركة تسيطر على بلاد واقطار وتحارب دول وامصار ! وكل ذلك فى سبيل التجارة والاقتصاديات وحرصا على صيانة بلاد الهند الخطيرة الشان .

وكان فى خلال تلك السنين ، اعنى ايام مابدأت انكلترا بتوسيع نفوذها فى الخليج ، قرصنة ضاربة اطنابها فى البحر الفارسى ، فالامن فى ذلك البحر كان مختل وتهريب السلاح والذخيرة الى بلاد الافغان كان من الامور الاعتيادية فتوسعت تجارة الاسلحة والعتاد الى درجة تهدد كيان انكلترا فى الهند . ولما ثبتت انكلترا اقدامها على سواحل الخليج قامت فمنعت القرصنة وتجارة السلاح والعبيد وذلك بعقدها اتفاقا خاصا مع سلطان مسقط تحت علم ورضا فرانسة التى كانت لن تزال تدعى بحمايتها على سلطنة عمان ثم عقدت انكلترا اتفاقات اخرى مع امراء (البحرين) و (الكويت) والقطر والقطيف وغيرهم من زعماء الخليج للغرض نفسه وتعهدت لهم يبسط حمايتها عليهم بشرط ان لايعطوا هاولاء الزعماء مجالا لتأسيس نفوذ دولة اوروباوية غير انكلترا على سواحل خليج فارس وقد قال اللورد لانسدون فى مجلس اللوردات سنة ١٩٠٣ يجب ان لاتكون انظار سياستنا متوجهة الا الى تأمين تجارتنا البحرية فى خليج فارس وعلينا ان

تقوم بوجه كل دولة اوروبية تريد اتخاذ ميناء او قلعة لها على ساحل الخليج . »

هذا وقد اسست انكلترا في الخليج عدة محطات بريدية وتلغرافية بين (كراجي) و (بغداد) وامنت المخابرات والمواصلات بين قلب العراق وبلاد الهند واخذ نفوذها يتوسع توسعاً سريعاً حتى انها اشترطت على شيخ الكويت في مقاولتها معه ان لا يؤسس له علاقة ما مع دولة اوروبية غير انكلترا وان لا يعطي مجالاً لتأسيس نفوذ دولة اوروبية على سواحل الخليج وان يوصي اولاده واخلافه بوجوب تنفيذ نصوص هذا الاتفاق .

فبان مما تقدم ان سيطرة بريطانيا العظمى في خليج فارس ، هي لم تكن بنت الامس ، بل انها ثمرة بذور زرعت بمدة ثلاث قرون ونيف ونتيجة اعمال قامت بها انكلترا تجارياً ومنها سياسياً ، ومنها حربياً واحتلالياً فاحتلت (كوبان) سنة ١٧٦٨ و (راس الخيمة) سنة ١٨١٠ وجزيرة (قشم) سنة ١٨٢١ و (بندر بوشهر) وجزاير (خراج) و (المحمرة) و (الاهواز) سنة ١٨٥٦ و (جاسق) و (مكران) سنة ١٩١٨و١٩٠٩ وتكرار (بندربوشهر) سنة ١٩٠٩ وكان احتلالها تلك البلاد وقتياً لترسيخ اقدام سيطرتها ولم تستملك مما احتلته الا جزيرة (قشم) و (هنجام) منفى احرار العراق على الاغلب .

اضف على ما اقتطفته انكلترا من ثمرات سيطرتها على الخليج الفوائد العظمى التي اكتسبتها من الشركة التي اسستها تحت عنوان (شركة النفط الانكليزية — الفارسية) فان تاريخ هذه الشركة يبدأ اعتباراً منذ اخذ المستر (وو . كى . دارسى) امتيازاً من شاه العجم سنة ١٩٠١ وقد تحرى المستر المشار اليه منابعاً نفط في (قصر شيرين) و (ماماتين) مباشرة فلم يجد فيها المنابع المهمة

فاستقرض من (شركة بورمة النفطية) مبلغاً استعان به للتحريات فوجد فى (ميدان نفطون -- مسجد سليمان) منبعاً جسيماً انتعشت به روح الشركة بعد ان كادت تعلن افلاسها وكثرت الاسهام الانكليزية فتوسعت تلك الشركة تدريجاً ومدت الانابيب الى (عبادان) واسست فيها سنة ١٩١١ و ١٩١٢ معاملات جسيمة لتصفية النفط ولما دخلت انكلترا الحرب العامة سنة ١٩١٤ احتاج اسطولها الى كميات جسيمة من النفط فبدأ الانكليز يشترون حصصاً كثيرة من اسهام الشركة وبذلك اصبحت هذه شركة انكليزية بحتة تقريباً كما أنها لم تزل تتوسع على مدى الايام .

وقد توسعت سيطرة انكلترا على سواحل الخليج حتى اصبحت (عبادان) حارة من لندن مع منابعها الزيتية ومعاملها ومبانيها الجسيمة. واما فى سواحل الخليج الغربية فتقطن قبائل شتى واهمهم الوهابيون فانهم ازدادوا قوة فى اواخر القرن الثامن عشر ونشروا مبادئهم عنوة ، حتى استولوا على العراق العربى سنة ١٨٠١ ونهبوا مسجد كربلا واحتلوا مكة المكرمة والمدينة المنورة فساقت عليهم تركيا حينئذ جيشاً بقيادة طوسون باشا بن محمد على باشا الخديوى المشهور فتغلب عليهم سنة ١٨١٨ ولكنهم استعادوا شيئاً من قوتهم بعد مدة خمس سنوات فاصبح تاريخ البلاد العربية الوسطى فى الازمنة الاخيرة تاريخ النزاع القائم بين بن الرشيد وبن السعود ولكن كفة بن السعود وقومه هى الراجحة واعترفت انكلترا اخيراً باستقلال نجد وسلطنة بن السعود عليها كما سنذكره فى الفصول الآتية .

وكان الوهابيون احياناً يميلون الى الاتراك وينتصحون بنصائحهم لما يرون فيه مصالحهم ولما عين مدحت باشا والياً لبغداد سنة ١٨٦٩ قام يسعى فى القاء السلطة

العثمانية على سواحل خليج فارس نظراً لما له من الاهمية السياسية والاقتصاد
وبذل مجهوده لقلع النفوذ البريطانى من هناك نبدأ بتوطيد علاقاته مع شيوخ
الكويت ثم انزل قوة عسكرية على ساحل الحسا وقهر القبائل العربية القاط
هناك وجعل تلك البقعة سنجقاً عثمانياً ثم استولى باسطوله الصغير على جزير
البحرين ولكن انكلترا تصدت له فحلت ما ابرم وبقيت الكتائب العثمانية في
الحسا والهفوف والقطيف لاتحرك ساكناً ، بل حافظت على السيادة العثمانية الى
مدى سلاحها حتى واقعة ١٩١٣ حيث انسحبت القوة العثمانية بتاتاً . . .

توسع النزاع بين انكلترا والمانيا من شان سيادة سواحل خليج فارس منا
اواخر القرن (١٩) فكانت زيارة الامبراطور ويلهلم للاستانة سنة [illegible]
مبدأ الخطة السياسية التى عرفت بذى الباآت الثلاث (اى برلين . بيزانطية
بغداد) وكانت غاية المانيا هى ربط البحر الشمالى بالاستانة فبغداد فالاوقيانوس
الهندى او تأسيس جسر المانى يمتد من همبرج الى خليج فارس وكان البنك
الالمانى قد وضع يده على سكك حديد تركيا وقر الرأى على ان تكون سكة
الحديد رأس الوسائل واهمها للتبسط الجرمنى بالشرق المتوسط .

وقال المحرر الالمانى (روهرباخ) : ان بلاد ما بين النهرين كانت تخرج في
القرن الثامن للميلاد عشرة ملايين طن من الحنطة كل سنة تكفى ستة ملايين
نسمة ولا تخرج الآن الا ما يكفى مليوناً من الانفس . فاستهدف الالمان مد
السكة الحديدية من البوسفور الى سواحل الخليج على ان يكون لهم مرفأ فى
الخليج عند طرف سكة الحديد وكان فى نيتهم جعل ذلك المرفأ حصناً المانياً فى
حقيقته مهيمناً تكن الراية التى تخفق عليه يظاهره جيش فى قبضة ويتخذونه

فى المستقبل جسراً او معراجاً الى الهند فللحصول على تلك الغايه" اخذوا فى بادئ الامر امتيازاً من تركيا لتمديد سكه" جديدة قصيرة حذاء الساحل الاسيوى من بحر مرمره ثم تحول هذا الامتياز بمساعى الامبراطور مشروعاً بمدالسكه" المذكورة الى انقرة وقونيه" ثم بزيارة الامبراطور للاستانه" و فلسطين مرة ثانيه" سنه" ١٨٩٨ لما نادى الامبراطور انه حامى حمى الاسلام" وانه يود ان يكون صديقاً لثلاثمائه" مليون مسلماً كسب بذلك توجه الاتراك وفى سنه" ١٨٩٩ توفق على اخذ امتياز باطالة السكه" الحديديه" الى بغداد فقرب سواحل خليج فارس ولكن بدل السلطان عبدالحميد سنه" ١٩٠٣ امتياز تمديدالسكه" المذكورة بامتياز آخر اوضح حدوداً فكانت انكلترا تعقب هذه الخطوات بكل القلق وتعارضها نظراً لما لالمانيا من المطامع السياسيه" والاقتصاديه" فى سواحل الخليج والعراق وكانت تحتج المانيا على معارضات الانكليز قائلة ان مقاصدها فى الخليج تجاريه" محضه" من جهه" ولكن كان اعوان الالمان يحاولون خفيه" شراء الارض فى اماكن شتى من سواحل الخليج من جهه" اخرى فاسسوا مبدئياً شركة" ونكهاوز فى الخليج وهى التى ابرزت فعاليتها حتى فى الحرب العامه" وكان قد قصد الالمان سنة (١٨٩٦) بلدة (لنجة) على السواحل الايرانيه" عندما دخل الخليج حيث لم يكن هنالك اوروبى [*] واحد حتى ان فيس قنصل انكلترا فيها عربياً فبدأت شركة" ونكهاوز الالمانية تتجر بالصدق وعرق اللؤلؤ ثم اقامت الحكومة الالمانية سنه" ١٨٩٧ فيس قنصلاً فى بندر بوشهر ولم يكن لها حينئذ من الرعيه" فى بلاد الخليج سوى ست انفس . ثم وصل الخليج سنه" ١٨٩٩ طراد الماني قديم كان عائداً من الصين الى

---

[*] تاريخ الحرب العظمى

المانيا فقيل انمهمته تحرى مكان مساعدة لمنتهى السكة فقضى زمناً فى الخليج ولـكنه لم يستطيع دخول شـط العرب وفى ١٩٠٠ قام (ستمريخ) قنصل المانيا الجنرال فىالاستانه فى راس وفد لفحص سكة حديد بغداد فمروا من اول الانضول الى آخرها وكان يرافقهم الملحق الحربى للسفارة الالمانية فىالاستانة ولما وصلوا رأسالخليجقصد (ستمريخ) الكويتواراد انيشترىارضاًعند راس (قثامة) فى الميناء المذكور وان يستأجر عشرين ميلاً مربعاً حولها ليتخذها محطة للسكة الحديدية فابى عليه الشيخ اذ انه كان قد عقـد اتفاقاً سرياً مـع انكلترا سنة ١٨٩٩ تعهد فيه بان لايؤجر شيئاً من املاكه ولايتنـازل عنـه لدولة اجنبية اولرعاياهامن دون موافقة انكلترا فتعهدت له هذه ببعضالامور والمنافع مقابل ذلك ولا شك ان هذا الاتفاق كان جواباً لزيارة الايمبراطور ويلهلم للاستانه وتشبثاته فيها . اماالالمان فكانوا ينوون التهديد لشيخ الكويت بواسطة صديقتهم تركيا وكانوا يترقبون الفرص لذلك فحركت المانيا الاتراك سنة ١٩٠١ فساق والى بغداد قوة عسكرية عثمانية فى سفينة حربية الى ميناء الكويت واراد قائدها احتلالالمدينة ولكن ارسلت انكلترا طراداً قبلوصول السفينة العثمانية فمنعت اخراج الجنـود التركـية وبعد مدة قليلة عادت السفن تقل مأموراً عثمانياً كبيراً وهو يحمل كتاب تهديد الى الشيخ مبـارك الصباح فتداخل طراد انكليزى هذه المرة ايضاً وكانت النتيجة ان مبارك الصباح امر رسول تركيا بالرحيل . ثم على تلكالحوادثكانالاتراك قدحرضوا ابنالرشيد علىمهاجمة الـكويت فتصدى الانجليز له ولم تسلم المدينة منالسلب والنهب الا بوجود طراد انكليزى فى ميناء الـكويت وهـكذا كانت انكلترا تحمى الشيخ

مبارك فى كل مشكلة حرصاً على سواحل خليج فارس التى هى من اهم النقاط المهددة لطريق الهند . ولما بان لتركيا والمانيا صعوبة امتلاك الكويت وجعلها منتهى السكة الحديدية عمدوا الى طريقة اخرى للحصول على اراضى بجوار الكويت وانتخبوا رأس (هور عبد الله) ان يكون منتهى السكة الحديدية ولكن الشيخ مبارك قام يدعى حقاً على جميع الاراضي الواقعة شمال الكويت الى بعد عشرين ميلاً عن «هور عبد الله» وادعى انه صاحب جزيرة [بوبيان] * ايضاً ولكن الترك لم يسمعوه وشيدوا هناك نقطاً عسكرية فاحتجت انكلترا على ذلك وبعد مذاكرات طويلة جرت فى الاستانة مابين انكلترا والمانيا اعلنت الاخيرة انها تريد جعل البصرة نفسها منتهى السكة الحديدية فبقيت المسألة مطروحة على هذا النمط حتى ظهور الحرب العامة .

هذه ماجريات قضية منتهى السكة الحديدية . فاما مساعى الالمان فى سواحل الخليج فكانت غير منحصرة على ذلك بل اصبحت شركة ونكهاوز الالمانية التى بدأت اعمالها بشراء الصدف على رصيف (لنجه) فى مدة قليلة شركة كبيرة ذات فروع كثيرة ففى سنة ١٩٠١ نقلت مركز اعمالها الى البحرين وفتحت لها شعبة جديدة فى البصرة حتى دهش اهل الخليج كلهم لسرعة نموها وتسألوا عن مصدر اموالها لعلمهم ان ارباحها لاتذكر اتجاه نفقاتها ثم فتحت شعبة اخرى فى (بندر عباس) واراد الالمان سنة ١٩٠٥ المفاوضة مع شيخ البحرين رأساً فقيل لها ان امور الشيخ الخارجية تحت مراقبة انكلترا وهكذا كان النفوذ الانكليزى سائداً فى جميع سواحل الخليج . حتى ان فى خلال تلك السنين حدثت فى مركز البحرين حادثة كادت ان تنقلب الى مشكلة دولية هى

ان بن اخ الشيخ عيسى صاحب البحرين له اصحاب من الاشرار اعتدوا على حمال تابع لشركة ونكهاوز الالمانية وعلى المانى من كبار موظفى الشركة ومع ان الحادثة ليس لها من الاهمية شئ فى نفسها ولكن جعلتها المانيا سبباً للتداخل الذى كانت ترمى اليه فارسلت انكلترا التى لاتضيع الفرص سفينة حربية حالا الى مركز البحرين تقل معتمدها فى الخليج فدفع هذا مبلغاً الى الالمانى المضروب تعويضاً وترضية له ثم امر المعتمد بالضرب والجلد على المعتدين بحضور جماعة من الناس وهكذا منعت انكلترا تداخل المانيا فى شؤون الخليج [*]

نصب الالمان عيونهم على جزيرة البحرين لكثرة اللالى فيها ولخطورتها التجارية اذ انها لاتزال مركزاً لتجارة اللؤلؤ فى الخليج . وفى سنى الاقبال ترسل من اللآلى سنويا الى باريس ونيويورك ولندن ماقيمته مليون جنيه . ومغاوص اللؤلوء المشهورة فى الخليج تشغل نصف ضفته الغربية او اكثر فيبدامن عند جزيرة (ابوموسى) قبالة (شارجه) وينعطف على محاذات الساحل مارا بجزيرة (حلول) ثم امام شبه جزيرة القطر وينتهى اخيراً قرب الكويت .

وقد جرى العرف عند سكان الخليج من القديم ان صيد اللؤلوء وحاصلاته يعود لهم دون غيرهم وسعى كثير من الانكليز والهنود وغيرهم محاولة الاشتراك فى حق صيده فنهتهم الحكومة الانكليزية عن ذلك . ولايمكن للاجنبي الاشتراك فى صيد اللؤلوء بين عصبة من محترفة القرصان الا اذا كان هناك اسطول من الطرادات يحميه . وفى موسم الصيد تخفر المغاوص سفينة حربية انكليزية لحفظ النظام بين قوارب الغواصين .

[*] تاريخ الحرب العظمى

ولاشك فى ان مغـاوص اللؤلوء كانت قـد اشغلت بال المـانيا فطلبت من السلطان عبد الحميد ان يمنح الشركة المانية احتكار صيد اللؤلوء فى الخليج . وقال الالمان فى طلبهم انهم ينوون معالجة المغاوص بطرق عامية وان السلطان يعطى نصيبه من الارباح فهم السلطـان باجابة طلبهم ولكن كلمة شديدة من انكلترا افسدت المشروع كله .

وعاد عمال المانيا يسعون سعياً جديدا فطلبوا من السلطان ان يؤجرهم جزيرة (حلول) فى صدر الخليج وهى تسحب ملكا مشـاعا لجميع مشـايخ العرب الذين يرسلون القوارب لصيد اللؤلوء . ولكن الدولة التى تستولى عليها تصبح مغاوص اللؤلوء فى قبضة يدها فافسد السفير البريطانى تلك التشبثات ولكن ذلك لم يثن الالمان عزيمة فحولوا همتهم الى جزيرة (ابو موسى) وهى اكبر من (حلول) وهناك ادلة كثيرة على انها ملك مشايخ (شارجة) اباً عن جد وفيها حديد كثير . فطلب ثلاثة من العرب امتيازا من شيخ شارجة باستخراج الحديد من مناجمه فاجيبوا الى طلبهم . ولم يكن الا القليل حتى حلت شركة ونكهاوز محلهم فاعترض الشيخ على هذا الحلول واستغاث بالحكومة الانكليزية حاميته فظهرت سفينة حربية انكليزية يقطر الى جزيرة عدة قوارب عليهـا (٣٠٠) رجل من رجال الشيخ وهم شاكوا السلاح فقبضوا على فعلة المناجم واستاقوهم الى انحه . وبعد ساعات قليلة اقبل على الجزيرة قارب يقل مندوبا من شركة ونكهاوز وتخفق عليه الراية الالمانية فاطلق رجال الشيخ النار عليه . وكان ذلك بداء المشكلة الدولية بين المانيا وانكلترة ولما نمى الخبر الى الحكومة المانية بعثت تستفهم الحكومة الانكليزية هذه الحادثة التى وفت بمرام المانيا

من بعض الوجوه اذ مكنتها من الاعتراض جهارا لاول مرة على مدعى انكلترا بانها صاحبة السيادة فى الخليج .

وفى الوقت نفسه ظهر اثرمن المانيا على نهر قارون عند رأس الخليج . وهذا النهر واقع فى املاك شيخ المحمرة . والشيخ علاقات خاصة بانكلترة حاميته ولكنه تابع لايران اسماً . وكانت الوكالت الالمانية فى طهران مشغولة بيسط نفوذ دولتها فى ايران وخصوصاً القسم الجنوبى منها . وفى تلك الاثناء بلغ نهر قارون رجل هولندى اسمه فون روغن وكان المفهوم انه عامل المانى فعرض مشروعاً بارواء وادى قارون وقدر نفقه المشروع بمليون جنيه . فطلبت الحكومة الالمانية امتيازا بهذا المشروع من حكومة الايرانية ولكنها طلبت منها ماليس من اختصاصها فان شيخ المحمرة قال انه اذا شاء عمل من اعمال الرى فى املاكه اقدم على ذلك بنفسه مستعيناً بالاموال الانكليزية وانتدب مهندساً انكليزيا من [پنجاب] فى الهند . فوضع له مشروعاً مستقلا بارواء ارضه فهكذا كانت انكلترا لاتغفل عن منع توطئة قدم الالمان فى سواحل الخليج ولا تعطى مجالا لتأسيس علاقات لهم فى هذه الديار .

ولما دارت المفاوضات فى لندن بين انكلترا والمانيا وتركيا وغيرهن على سكة حديد بغداد كفت المانيا الى حين عما كانت تبذل من المساعى الخفية للحصول على موطئ قدم فى الخليج .

وقبل نشوب الحرب العظمى بثلاث سنوات تم تحرير اتفاق بين انكلترا وتركيا على سكه حديد بغداد مناقشة طويلة وقد جاء فيه ان تكون البصرة رأس سكة حديد بغداد وان الخط لايطال الى الكويت فيلما توافق انكلترا على

ذلك وتعهدت تركيا بنبذ مدعاها على سيادة البحرين ومسقط وما يليها من بلاد زعماء العرب وبالجلاء عن شبه جزيرة القر . وتعهدت انكلترا مقابل ذلك بان تعترف بالسيادة العثمانيه بالكويت على ان لاتتعرض تركيا لشئونها الداخلية بل تعترف بما بين انكلترا وشيخها من المعاهدات وان ترسل تركيا معتمدا من قبلها الى الكويت . وقد اشتهر ان الاتفاق وضع بعلم المانيا ومشورتها وبقيت المفاوضات دائرة عليه متقطعة حتى نشوب الحرب تقريبا ثم انقطعت قبل ان تمضى . وفى الوقت عينه حرر اتفاق بين انكلترا والمانيا على سكة حديد بغداد والعراق العربى وشئون اخرى . وبدأت المفاوضات بشانه في لندن بين السير ادوارد غراى وسفير المانيا قبل الحرب العظمى بشهر ونصف شهر وهذا الاتفاق لم يمضى ايضاً ولم ينشر مضمونه .

ومما يستحق الذكر انه بينما كانت تركيا تبدى فى لندن شدة تمسكها بالاحساء والسواحل العربية الواقعة جنوبى الكويت قام بن سعود سنة ١٩١٣ فانتصر على الاتراك واستولى على الاحساء فبلغت كتائب الاتراك ساحل الخليج على شرحال فالقتهم باخره انكليزية . على ان مانال الاتراك لم يمنع انكلترا من الموافقة على تحديد الاملاك العثمانية فى شرق البلاد العربية ومن ادامة المفاوضات الطويلة فيما لتركيا من الحقوق على خط طويل من ساحل الخليج .

ولقائل يقول ان لالمانيا حقا كاملا فى تاسيس تجارتها على ضفاف الخليج ومد فروعها واصولها حيثما كان . نعم ! ان هذا حق لها ولم يخطر ببال احد منازعتها حق الاتجار ومد سكك الحديد .

ولكن كان نزاع المانيا -- انكلترا على مقاصد الجرمن السياسية الممزوجه

بالاعمال التجاربة ليس الا .

وما سعت انكلترا فى مقاومة التبسط الالمانى هناك وما ادعت التفوق على غيرها فى تلك الناحية الا لمصالحها السياسيه ولحاجتها الشديده الى حماية الهند . ولاشك فى ان المحافظة على التفوق الانكليزى فى بلاد الخليج هو جزء لازم من اجزاء الدفاع عن الهند . ومجرد وجود دولة اخرى فى الخليج سواء كان مركزها محصناً او غير محصن يفضى الى اضطراب . لان اهل الهند لايهمهم البحث فى هل بلادهم مهددة من هذه الناحية اومن تلك . بل ان وجود راية غربية تخفق حيث خفقت الراية الانكليزية منذ ثلاثة قرون وحيث كانت المحل الاول منذ قرن — يكفى لاقناعهم بان قوة انكلترا آخذة فى الانحلال فيضعف مالها الان من المكانة فى نفوس الهنود . وقد قال الاميرال [مايهان] الامريكى سنة ١٩٠٢ : « ان التنازل عن شئ فى خليج فارس سواء كان ذلك باتفاق رسمى او باهمال المصالح التجارية المحلية التى هى فى هذا الزمان اساس التسلطن السياسى والحربى — يعرض للخطر مركز انكلترا البحرى فى الشرق القاصى ومركزها السياسى فى الهند ومصالحها التجارية والرابطة الامبراطورية التى تربط استراليا وتوابعها بها . وانكلترا هى الدولة ذات الاختصاص الاول بمسئلة خليج فارس فى حال اخفاق تركيا وايران اخفاقاً واضحا . وليس ذلك الاختصاص ناشئاً عن حقوقها وحقوق شعبها فقط . بل عن مسئوليتها الامبراطورية ايضاً ووصايتها على بلاد الهند . اما من جهة حقوقها وواجباتها فهى واضعة يدها على الخليج منذ عدة اجيال تحافظ على الامن والنظام فيه . والمسئله فى نظر انكلترا مسئلة واجب ناشئ عن ثلاثة نقاط :

(النقطة الاولى : سلامة انكلترا فى الهند . وكل تغير مضاد للسياسة الانكليزية يطرأ على مراقبة الخليج الاساسية انما يؤثر كل التاثير فى تلك السلامة

النقطة الثانية : سلامة طريق البحر الى الهند والشرق الاقصى تجاريا وحربياً وغير خاف ان البواخر الانكليزية هى اكثر البواخر سلوكا لذلك الطريق ولكنها اخذت تقل قلة تذكر .

والنقطة الثالثة : مصلحت الهند الاقتصادية والتجارية . ومعلوم ان الهند لاعمل لهاسياسة الا بواسطة الامبراطورية البريطانية وهذا التعلق بالامبراطورية يزيد مسئولية الثانية كثيراً .

وان سطوة دولة بحرية غير انكلترا على خليج فارس بحيث يكون لها فيه اسطول معتمد على ثغر حربى عزيز - تلك السطوة تغير علاقة (فارس) [وجبل الطارق] و (مالطه) بحر الروم . لان اسطولا هذه صفته يكون فى جنب جميع الطرق المؤدية الى الشرق الاقصى والهند واستراليا يصبح خطرا على انكلتره . ولاريب ان بريطانيا العظمى تتصدى لاسطول مثل هذا بقسم من اسطولها (ولكن ربما اقتضى جزءاً كبيراً من اسطولها) لمقاومته فتضر تلك التجزية ضررا عظيما بمركزها البحرى .)

وقد فاه اقطاب السياسة الانكليزية بمثل هذا القول مراراً كثيرة على ان اهم ماقيل بهذا الصدد خطبة اللورد لنسدون لفظها فى مجلس اللوردات سنة ١٩٠٣ ايام كان وزيراً للخارجية . قال : « اقول من غير تردد ولا احجام اننا نعد انشاء دولة اجنبية لقاعده بحرية او لثغر محصن فى خليج العجم تهديداً عظيماً للمصالح الانكليزية ولا غنى عن القول اننا نقاومه بجميع الوسائل التى فى ايدينا »

ان هذه الاقوال لا تزال تظهر لنا روح السياسة البريطانية في الخليج والعراق فأني اترك استنباط العبر والعظات من مثل هذه الخطابات الرسمية الى القراء الكرام.

سلطنة نجد وعلاقات انكلترا مع آل السعود:

لايخفى على العارفين ان جزيرة العرب اكبر من بلاد الهند وسعة يحيط جوانبها الثلاث بحار مهمة كلها تهدد طرق الهند. ولقد ازدادت خطوره سواحل جزيرة العرب بنظر انكلترا وغيرها من الاوروبيين منذ حفر المهندس الفرنسي (دولسبس) قنال السويس عام ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٨ م ذلك الطريق التجاري والعسكري العظيم الشأن.

واو لم تكن معظم اراضي جزيرة العرب صحاري خالية وقفاراً يابسة جرداء لاستولى الغربيون عليها قبل قرن ونيف. ولكن قدر الله عليها شدة الحرارة وكثرة الرمال القاحلة وفقد الماء والمياه الجارية فديار كهذه لاتصلح لمطامع الدول الاستعمارية. غير ان الاجانب اتخذوا سواحل الجزيرة هدفاً فنصبت فرانسة عينها على سواحل سوريا وطمحت انكلترا فى فلسطين وسواحل الخليج الفارسي وعمان وحضرموت وعدن فاحتلت اهم النقاط اللازمة لها فى تلك السواحل كما ذكرنا فيما تقدم.

واما نجد فأنها بقيت في معزل عن اطماع الاستعماريين نظراً لكونها من اقسام جزيرة العرب الداخلية. ولكن قدر الله على بلاد نجد ان تكون عرضة لنزاع دائمي. فان نجداً كانت فى اواخر القرن السابع امارات صغيرة متفرقة، كل امارة فيها امير من اهل بلادها. وكانت بين هذه

الامارات نزاع مستمر . واهم الامارات المذكورة هي : (امارة الحسا) و (امارة الاشراف) اللتان تتنازعان النفوذ ولا تفوق احداهما على الاخرى .

وكان محمد بن السعود سنة ١١٥٧هـ — ١٧٤٣ م اميراً فى (الدرعية) فاكتسب قوة وانتصر فى حروبه واتسع سلطانه وما برحت هذه الامارة تنمو الى ان تم لها الحول والطول في البادية وكان قد ظهر سنة ١١٤٤هـ في نجد محمد بن عبد الوهاب من بني تميم ونشر مبادئ المذهب الوهابي فالتجأ هذا سنة ١١٥٧ هـ الى الامير محمد بن السعود فعاهده على الاخذ بناصره لنشر الوهابية عنوة وهذا الذي جعل بين الامير والدولة العثمانية مايوتر العلاقات الامر الذي استوجب حذر تركيا من ظهور دولة عربية قوية قرب الحرمين الشريفين ربما تنازعها اسم الخلافة فدفعا للخطر كان قد ارتأى والي العراق سليمان باشا الكبير سنة ١١٩٤ هـ ان يستولي على نجد ويضمها الى ايالة العراق فارسل جيشاً بقيادة الكتخدا علي بك وشد ازره بمحمد بك الشاوي وحمود بن ثامر امير المنتفك مع عشائره وثامر بن محمد زعيم عقيل مع قبائله، ومه رس بن محمد امير شمر بجموعه وجمع غفير من اهل الزبير وغيرهم . وعند ماوصلت هذه الحملة قرب (الحسا) لقيها امير نجد سعود بن عبد العزيز بجيوشه وبعد معركة عنيفة اندحر النجديون وتحصنوا في الحسا فحوصرت حصاراً شديداً دام اشهراً دافع فيه امير نجد دفاع المستميتين . ثم لما نفذت ارزاق الحملة العسكرية واشتد القحط تفرقت اكثر القبائل فاضطر القائد لرفع الحصار والعودة الى بغداد . فاغتنم امير نجد هذه الفرصة فلحقهم بجنده فادركهم

في مكان تسمى (التاج) وهناك عادت الحرب بينهما فقتل عدد كثير من الفريقين ومن جملتهم خالد بن ثامر فاضطر القائد علي بك لعقد الصلح مع الامير .

ولما كانت سنة ١٢١٦ هـ حمل امير نجد بقبائله على العــراق فنهب وسلب حتى وصل الى كربلا فاضطر اهلها للدفاع عنها ولكنهم لم يتمكنوا من صد ذلك السيل الجارف فستولى النجديون على كربلا بحد السيف وفتكوا باهلها فتكا ذريعاً فعلى اثر ذلك جهز الوالي سليمان باشا جيشــاً آخراً بقياده الكتخدا علي بك و بمعاونة القبائل والعشائر المار ذكرهم لطرد الوهابيين من كربلا واخراجهم من العراق فالتقى الجمعان قرب كربلا وبعد معارك شديدة فر علي بك بجنوده الى بغداد .

فاخذ الوالي يعد المعدات لضرب النجديين ضربة قاضية فادرك ذلك الامير وايقن بحرج موقفه في ديار ليس له فيها من نصير فرجع بقومــه بعد ان قتل عدداً كثيراً من اهل كربلا واخذ كل ما كان في مشهد الامام من الذهب والفضة وغير ذلك .

وفي خلال سنة ١٢٣٢ — ١٢٤٧ هـ جهز والي العراق الشهير داود باشا جيشا بقيادة محمد وماجد ولدي عريعر الخالدي الحميدي ومعها قبائلهما وكانوا قد هربوا من الامير عبد الله بن سعود بن عبــد العزيز منذ مدة وسكنوا العراق .

فاستولت هذه الحملة على الحسا والقطيف عنوة وبينما كانت تستعد للاستيلاء على بقية بلاد نجد حمل طوسون باشا بن محمد على باشا الخديوي بامر من دار الخلافة على نجد بطريق الحجاز فاوقع بالوهابين خسائراً كثيرة

ثم ارسل فرقة من جنوده لاستلام الحسا والقطيف من فاتحيها الخالديين فاضطروا الى تسليم المدينتين الى الجيش المصري موقة لدفع الخصام وكتبوا ذلك الى الوالي داود باشا وبعد مدة قليلة اعيدت اليهم بامر من السلطان على طلب الوالي والحقت بايالة العراق وهكذا كان قد قضي على امارة ان السعود عام ١٨٤١ م

انقضى عهد هذه الامارة واخذ اهلها اسرى الى مصر والاستانة وبقي آل السعود في الكويت يقيمون بضيق عيش يعانوا آلام الذل والهوان

ولكن هرب فيصل بن السعود والبعض من بيته عام ١٨٤٣ م من سجن الحكومة المصرية ورجع الى نجد فحاول ان يلم شعث آل السعود فحدث بينهم نزاع ثم اتفقوا على تقسيم البلاد فيما بينهم فسبب ذلك انتزاع السلطة منهم نظراً لتشاحنهم ولم تدم سلطتهم الا اربعين عاما.

وكان الانكليزي الشهير (بالغريف) الذي ساح فى البلاد العربية الوسطى قد تواجه مع فيصل بن السعود فى بريده عام ١٨٦٥ وعقب هذه الزيارة زيارة الكولونيل (بهلي) الانكلىزى فى السنة نفسها وعلما هذين السياحين ان فيصلا يفكر في نشر المذهب الوهابي على سواحل الخليج ولما شرع فيصل بتهديد اهل (البحرين) و (عمان) خشيت انكلترا من ان يستولي النجديون على السواحل فيضروا تجارتها فسدت تهديداتهم ببعض الحركات البحرية .

ثم عقدت انكلترا مع آل السعود مقاولة لمدة مائة سنة اشترطت بها على آل السعود ان لا يأتوا بعمل ما من شأنه الاضرار بالتجارة البحرية والمسافرين .

ولما توفى فيصل خلفه ابنه عبد الله الذي اراد الاستيلاء على سلطنة مسقط فصدته انكلترا عن ذلك .

ولما ازدادت الشحناء بين آل السعود ظهرت اذ ذاك (امارة بن الرشيد) وذلك ان سنة ١٨٣٥ م كان قد تعين الامير عبد الله بن الرشيد احد رؤساء عشائر (العبدة) من قبائل شمر رئيساً على جبال شمر . فاتسع سلطان آل الرشيد حتى تغلب على كثير من بلاد نجد فضبطوا (حائل) سنة ١٨٧٢ وقد استولى الامير محمد بن الرشيد على بلاد القصيم سنة ١٨٨٢ م وعلى (بريدة) سنة ١٨٨٧ م بزمن عبد الرحمن آل السعود والد سلطان نجد الحالي. وقد ازدادت سيطرة امارة الرشيد تدريجاً وكادت تقارب امارة السعود فى سعتها الى سنة ١٨٩٦ م غير ان المنية عجلت بالامير محمد بن الرشيد في تلك السنة وكان قديراً فى السياسة والتجربة والحزم والحكمة وكانت عشيرته شمر ساعده القوي في مهام الامور . وكانت تركيا قد ارادت الاستفادة من تقرب الامير محمد بن الرشيد منها لبسط نفوذها على داخلية جزيرة العرب وذلك منذ سنة ١٨٨٥ م . ولكن بعد وفاة هذا الامير الخطير ترأس عبد العزيز بن الرشيد امارة (آل الرشيد) فاختل بذلك ميزان سياسة البلاد العربية الوسطى نظراً لما بين آل الرشيد وامير الكويت من الشحناء والخصومة وكان قد رأى امير الكويت ان لاطاقة له على مقاومة آل الرشيد ففكر فى اعادة (امارة آل السعود) اصدقاءه القدماء فساعد من بقى من آل السعود بالسلاح ومدهم بالمال فاستعادوا قوتهم واستردوا بلاد القصيم و (بريدة) عام ١٩٠٤ وكان القائم بهذه الامارة هو الامير عبد العزيز آل السعود سلطان

نجد الحالي الذي ثبت امام خصمه ونجح نجاحاً وفاز على امارة الرشيد مراراً عديدة حتى ان الامير عبد العزيز الرشيد كان قد اضطر الى الاستنجاد بالحكومة العثمانية فساقت تركيا الحملات عام ١٩٠٤ و ١٩٠٥ تلك الحملات التي لم يكن مصيرها الا الخسران والخذلان كما يعلمها جميع العراقيون.

ولقد تم لابن السعود الامر [عند وفاة عبد العزيز الرشيد سنة ١٩٠٦ م] على بلاد القصيم والحسا والقطيف وغيرها من البلاد العربية والذي ساعد بن السعود على ذلك هو النزاع الحادث بين آل الرشيد بعد موت عبد العزيز وقد التحق كثير من شمر بابن السعود ولم يبق للامير عبد العزيز من منازع في الديار النجدية وهكذا قضى على امارة (آل الرشيد) حتى ان انكلترا اعترفت بسلطنة نجد عام ١٩٢١م فاخذت سلطة بن السعود تمتد الى اليمن و (الجوف) و(دومة الجندل) وغيرها من البلاد العربية .

هذه ماجريات امارتي الرشيد وآل السعود . واما مناسبات آل السعود السياسية مع انكلترا فانها مستندة على الخصومة القديمة التي بين الاتراك وآل السعود الذين ذاقوا اشد الآلام فى منفاهم ونزع املاكهم وبما ان آل الرشيد كانوا من منتسبي الحكومة العثمانية، بل كانوا ممثليها في جزيرة العرب ولما كان كل من شيخ الكويت مبارك الصباح وشيخ البحرين وآل السعود يخافون من اتساع سيطرة آل الرشيد وازدياد نفوذ الدولة العثمانية على املاكهم . فقد فكروا فى الدخول تحت حماية انكلترا فعقدت هذه سنة ١٨٢٠ م مقاولة مع شيخ البحرين تعهدت له ببسط حمايتها

عليه بشرط ان يتعهد بمحافظة التجارة البحرية ويمتنع عن القرصنة وعن
الاتجار بالرقيق وعن تهريب الاسلحة الى بلاد الهند والافغان وان يتعهد
بان لايؤجر ولا يبيع شيئاً من املاكه الى دولة اجنبية من دون موافقة
انكلترا وقد طلب مبارك الصباح شيخ الكويت حماية انكلترة عام ١٨٩٧
وعقدت بريطانيا العظمى سنة ١٨٩٨ معه مقاولة طبق المقاولة المعقودة مع امير
البحرين وبقيت هذه المقاولة الى ان توفي مبارك الصباح عام ١٩١٥ فخلفه ابنه
الشيخ جبار ثم خلفه اخوه سالم ولم يزالوا مرتبطين بانكلترا بتلك المقاولات
نفسها منذ عام ١٨٩٨ حتى الآن وقد فتحت انكلترا لها وكالة في الكويت
سنة ١٩١٤ م. ولما كان جميع هذه الشيوخ هم اصدقاء آل السعود واعداء
الحكومة العثمانية كان من الضروري ان يتقرب آل السعود منهم ومن
انكلترا فعقدت بريطانيا العظمى عام ١٨٩٩ م مقاولة مع الامير عبد
العزيز السعود تعهدت له فيها حمايته ضد الحكومة العثمانية على ان لايتجاوز
هذا على التجارة البحرية والمنافع البريطانية .

وقد اراد الامير عبد العزيز السعود ان يستفيد من حماية بريطانية العظمى
للهجوم على بلاد القصيم وايقاع الفتك بامارة الرشيد فمنعته انكلترا عن
ذلك قائلة ان المنافع البريطانية تنحصر بسواحل خليج فارس ولافائدة
لانكلترا من الاشتغال بداخلية البلاد العربية الوسطى، فانكسرت قوة
بن السعود المعنوية من منع انكلترا هذا غير ان الوزارة الخارجية
البريطانية بلغت قنصلها الجنرال في الخليج عام ١٩١١ م (السر برسي
قوقس فخامة المندوب السامي في العراق سابقاً) بوجوب اكتساب صداقة
امير نجد فارسل السر برسي قوقس الكابتن (شكسبير) ممثل انكلترا في

(الكويت) الى نجد فتواجه مع الامير عبد العزيز في البر ورأى من الامير حفاوه واكراماً وابان الامير نعرته وعصه على الاتراك وقال للكابتن شكسبير انه يود ان يدخل في مفاوضات جدية مع بريطانية العظمى وانه من اخلص الاصدقاء لانكلترا وبحث عن صداقة والده عبد الرحمن مع ممثل انكلترا فى الكويت سنة ١٩٠٤ وعن موده جده فيصل للمستر (بالعراق) الذى زاره فى رياض عام ١٨٦٥ م واظهر شكره وامتنانه من الفرصة السانحة لملاقاته معه وكرر اسمه على بلاد الحسا لضبطها من قبل الدوله العثمانية ، تلك البلاد التي لم يزل يدعى أنها ملكا لابيه واجداده واضاف الامير على كلامه انه سوف يقبل ممثلا لانكلترا في سواحل مقاطعة الحسا فيما اذا استولى عليها .

وطبعاً كان يود الامير استرداد مقاطعة الحسا من الاتراك للخروج الى سواحل خليج فارس وايجاد منفذ بحري له هناك وهذا الذى كان قد جعل الانكليز يترددون فى امر مساعدة الامير حذراً من تأسيس سيطرته على سواحل الخليج ، تلك السيطرة المتعصبة بالمذهب الوهابى . ومع ذلك كان السر برسي قوقس قد افهم وزارة لندن الخارجية بانه يرى استمالة بن سعود ومساعدته من ايجابات المنافع البريطانية فلم يرده اشعارا من بامر معاضدة الامير غير ان عبد العزيز لم يصبر فهجم على جنود الدولة العثمانية فى الحسا سنة ١٩١٣ وطردهم من هناك واسترد مقاطعة الحسا واستولى على مرفأي (القطيف) و (العجير) من دون ان ينتظر مساعدة انكلترا .

ولما عاد الكابتن شكسبير من سياحته الطويلة في البلاد العربية عام

١٩١٤ م وذهب الى لندن وكان قد افهم الوزارة الخارجية درجة اهمية الأمير عبد العزيز السعود في الديار النجدية وسطوته ونفوذه في البلاد العربية فهذا الذى جعل وزارة لندن الخارجية تعتقد بوجوب التقرب من بن السعود واستمالته اليها .

ولكن الاتراك ارادوا ان يستردوا مقاطعة الحسا من بن السعود بالطرق السياسية فشرعوا بالمفاوضة معه بوساطة السيد طالب النقيب وفكروا بتعيين الامير عبد العزيز متصرفاً على الديار النجدية بشرط ان تكون واردات الكمرك للحكومة العثمانية وان يكون للجيش التركي عسكرا في الحسا . غير ان نشوب الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ حال دون ذلك الاتفاق الذى كاد ان يبرم بين تركيا والامير عبد العزيز .

ولما كان الامر قد تم لابن السعود على القطيف والعجير اصبح هذا الامير احد امراء سواحل الخليج الامر الذى اضطر انكلترا لعقد اتفاقية معه . فعاد الكابتن شكسبير من انكلترا الى خليج فارس في اوائل شهر تشرين الاول عام ١٩١٤ لعقد اتفاقاً مع الامير عبد العزيز واستمالته الى جانب انكلترا فيما اذا نشبت حرب مع الاتراك ولكن قبل ان يصل الكابتن المومى اليه الى نجد نشبت الحرب فارسل الكابتن شكسبير كتاباً الى الامير يبلغه فيه انه اذا التزم جانب انكلترا في الحرب تعهدت بريطانيا العظمى له في كل ما يطلبه من المساعدة

اما الاتراك فانهم لم يضيعوا الفرصة فطلبوا عند نشوب الحرب الكبرى مساعدة كل من الامير بن السعود والامير بن الرشيد وارادوا ان يمدهم الاخير بمجاهدين يشتركون في حروب قناة السويس وان يساعدهم بن

السعود فى صد هجمات الانكليز على العراق وارسل انور باشا مقداراً من الهدايا والدراهم مع وفد من بغداد تحت رئاسة المرحوم شكرى افندى الآلوسى الى الامير عبد العزيز ولم يفلح . بل اجاب بن السعود انه لا يتمكن من مساعدة تركيا فى الحرب مالم يطرد آل الرشيد الى حدودهم ولكنه اجاب الكابتن شكسبير في ذات الوقت انه مستعد لالتزام جانب انكلترا وقلبه ملء السرور من هذه الفرصة التي استوجبت تأسس علاقات جدية صميمية مع دولة خطيرة كبريطانيا العظمى . وهكذا كان قد دخل بن السعود فى قائمة الامراء الذين ساعدوا انكلترا في الحرب الكبرى .

وكان قد وصل فى ١٧ كانون الثاني ١٩١٥ كتاب من الامير عبدالله [نجل جلالة ملك الحجاز الحسين بن علي وامير شرقى الاردن الحالي] الى الامير عبد العزيز يستمزج رأيه في طلب الاتراك اشتراك القبائل العربية في الجهاد العام الذى اعلنه الخليفة السلطان محمد رشاد فاجاب بن السعود ان لا فائدة من اشتراك العرب في الحرب بجانب الاتراك .

وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩١٥ حدثت معركة شديدة بين آل السعود وآل الرشيد قتل فيها الكابتن شكسبير الذي كان اذ ذاك هناك عند الامير عبد العزيز يحمله على كسر شوكة آل الرشيد الذين لم يزالوا يمثلون الاتراك فى جزيرة العرب . ولكن لم تسفر هذه المعركة عن غالبية طرف ما ، بل انها بقيت بلا نتيجة رغما عن كثرة عدد وعدد جنود بن السعود وتفوقه على آل الرشيد المادى والمعنوي .

وكان الامير عبد العزيز جسوراً ، شجاعاً فى شخصه غير انه لم يتمكن من محو آل الرشيد بتاتاً بل ضربهم ضربة جعلتهم غير قادرين على مساعدة

الأتراك مدة طويلة وبقى العداء بين الطرفين حتى عقد اتفاق بينهما في ١٠ حزيران سنة ١٩١٥ اعترف به آل الرشيد بسيادة الامير عبد العزيز على مقاطعة نجد كلها من (الحنف) الى (وادى الدواسير) وتعهد فيها ان لا يساعد الاتراك اثناء الحرب من دون رضاء ابن السعود.

وكانت مناسبات ابن السعود السياسية مع الشريف حسين (جلالة ملك الحجاز الحالي) سنة ١٩١٥ م ودية ولكن لما انفجرت الثورة الحجازية في حزيران عام ١٩١٦ م قام ابن السعود يوجس خيفة من البيت الهاشمي لا سيما لما اعلن جلالة ملك العرب استقلال البلاد العربية كلها واتقب باقب (ملك العرب) فان الامير ابن السعود كتب الى السر برسي قوقس قنصل انكلترا فى الخليج الفارسي يستفهم منه ما اذا كانت حكومته قد وافقت على دخول نجد تحت ملكية ملك العرب وكان الامير قد قال الى الكابتن شكسبير (لا يحق لاحد ان يشغل مقام الخلافة غير بيت الشريف فيما اذا انتزعت الخلافة من الاتراك غير ان الوهابيين لا يعترفون سوى بالخلفاء الراشدين الاربع فاذا انتقلت الخلافة الى ملك الحجاز فلا يكون له ميزة ما بنظر آل السعود عن سائر الخلفاء الذين اتوا من بعد الخلفاء الراشدين . »

هذا وقد خصصت انكلترا اعتبارا من عام ١٩١٤ م مبلغا يقدر بان قدره ٤٠٠٠٠ جنيه للامير ابن السعود لقاء التزامه انكلترا ابان الحرب الكونية ولست ادري ما اذا خفض هذا المبلغ بعد الهدنة ام لا وما اذا كان يتقاضى الامير راتباً من انكلترا الى الان

وقد اعترفت انكلترا بسلطنة الامير عبد العزيز السعود على الديار

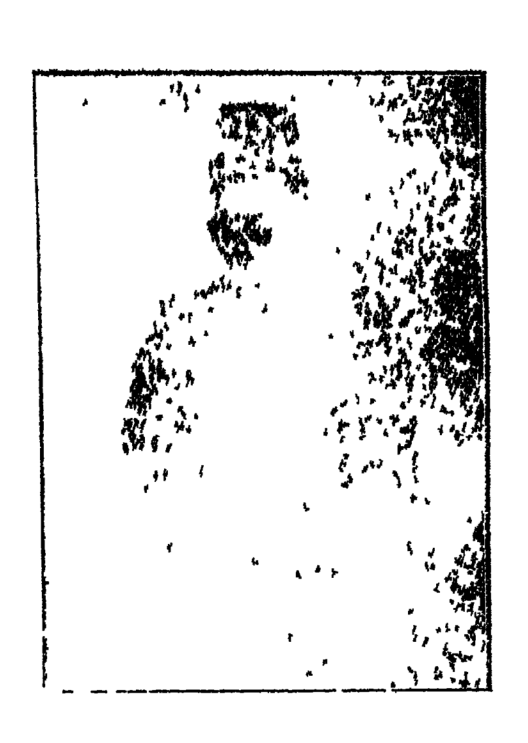
النجدية عام ١٩٢١ م علاوة على المبالغ الطائلة التي انعمت بها عليه فنسئل الله ان يهديه الى الصراط المستقيم وان يعز نفسه بما يليق لشرف بيته وآله

هذا ما وجب ذكره فيما يختص بعلاقات بن السعود وغيره من امراء العرب مع انكلترا قبل نشوب الحرب العظمى وبعدها

واني اعتقد انه قد اتضح للقراء الكرام موقف انكلترا السياسي في سواحل الخليج والعراق عند نشوب الكارثة الكبرى عام ١٩١٤ واظن ان القراء الكرام قد علموا ان جناح الانكليز الايمن كان مستنداً على عشائر المحمرة والعجم والايسر كان يستند على بن السعود والمركز كان مستنداً على امراء الخليج عندما بادرت انكلترا بالحركات العسكرية للاستيلاء على العراق وكل ذلك كان قد جرى والحكومة العثمانية كانت في سبات عظيم وغفلة مدهشة واني اعتبر ان ذلك كان من اهم الامور التي قدرها الله على العراق فلم يبق علينا سوى ان نبحث عن احوال العراق نفسه قبيل نشوب الحرب العظمى.

احوال العراق قبيل نشوب الحرب العظمى:

كان قد تشكل بعد اعلان الدستور عدة احزاب سياسية في البلاد العربية كما سنرى تفصيل الخبر في فصل خاص. وكانت وضعية تركيا الادارية والسياسية في العراق قد ضعفت عام ١٩١٣—١٤ لا سيما لاشتراك عدد غير قليل من رجال العراق بالحركة الفكرية العربية وقد وحد هؤلاء الوطنيون مسعاهم مع احرار سوريا الذين كانوا يطالبون الاتراك



﴿ السيد طالب باشا ﴾

بحقوق العرب وكان سيد طالب باشا النقيب رأس النهضة العربية فقد ألف هـذا (جمعية البصرة الاصلاحية) وبادر بنشر الدعوة العربيـة واصبح ملاذاً لمجرمي العرب السياسيين وانضمت اليه بعض القبائل لتعزيز موقفه وفكرته فلذلك اراد الاتحاديون بادئ بدء اقناعه وجلبه الى جانبهم بتعيينه والياً على البصرة ثم صرفوا النظر فارسلوا فريد بك قائداً الى البصرة لقتله ولم يفلح ، بل قتل من قبل رجال طالب . وكان الاتراك قد حركوا عجيمي باشا بن سعدون باشا رئيس المنتفك على سيد طالب غير انهم لم ينجحوا في مسعاهم بل اضطروا على نشر برنامج الاصلاحات واضمروا الشر لطالب فلما اوجس هـذا خيفـة قبل وقوع الشر طلب المفاوضـة مع انكلترا بوساطـة خـزعل صاحب المحمرة غير ان المفاوضات لم تنتج شيئاً ففر السيد طالب الى نجـد ثم عاد الى الكويت بعد نشوب الحرب فبعدته السلطة البريطانيـة الى الهند .

ولا شك في ان النهضة القومية كانت قد تأسست في العراق بعد اعلان الدستور على ايدي شبان عراقيين درسوا في المدارس الراقية وعرفوا مبلغ الوطنيـة والقومية فبثوا الفكرة العربيـة بين الشبان والمنورين وكانت قد تشكلت في تلك الايام فروع للجمعيات العربية السرية [التي سوف نبحث عنها في فصل خاص] في كل من الموصل وبغداد والبصرة وكان اذ ذاك رأس الحركة الوطنية في بغداد حمدي بك الباجه جي وفي البصرة السيد طالب واما في الموصل فلم يكن اذ ذاك عميد بل كانت بضعة رجال يشتغلون ببث الدعوة القومية ومنهم الملازم مولود [باشا

متصرف لواء كربلا الحالي] وعلى جودت [وزير الداخلية الحالي] والمرحوم شريف افندى العمري [مندوب جلالة ملك الحجاز سابقاً الذى اغتالته عصابة بقرب الشورة بنما كان ذاهب بالسيارة الى بغداد اثناء ثورات عام ١٩٢٠] وغيرهم ممن لم نشأ التصريح باسماءهم فالفوا فرعاً لجمعية العهد عام ٩١٢ — ٩١٤ ومنهم من الف (جمعية العلم) وهكذا كانت قد بدأت النهضة القومية في العراق . وتألفت (جمعية الاصلاحات) فى البصرة تحت رئاسة سيدطالب باشاعام ١٩١٣ م وبدأت تنشر مناشيرها الى انحاء العراق وتتخابر مع احرار القطر كما انهامدت مزاحم بك الامين بالمال لتأسيس (النادى الوطنى العلمي) ولنشر جريدة (النهضة) في بغداد التي سدتها الحكومة التركية بعد صدورها بمدة وجيزة وفر صاحبها مزاحم الى البصرة واشترك باعمال سيد طالب هناك .

وبعد قتل فريد بك قررت جمعية الاتحاد والترقى مجاملة سيد طالب وقتيا فورسلت الحكومة التركية المير الاى صبحى بك والياً الى البصرة واوصته بحسن المعاملة مع زعيم الحركة القومية وذلك خوفاً من ان يلجأ هذا الى الانكليز المسيطرين على سواحل الخليج ونواحى البصره وحذرا من ان تقع ثورة بتحريكات طالب . فجامله الوالي الى ان جلب مودته بدرجة حتى انه لم يتعرض على محررى العرب السياسيين الذين كانوا عند طالب ومنهم نورى [باشا وزير الدفاع الحالي] السعيد وطال امد تلك المجاملة حتى نشوب الحرب الكبرى فشعر بالخطر وهرب طالب الى نجد كما ذكرناه آنفا

الفصل الثاني

نشوب الحرب الكبرى:

كلمة تاريخية سياسية فاه بها امبراطور النمسا الاسبق [فرانسوا جوزف] تذكرنا نشوب الكارثة الكبرى الا وهي: « ستأتي النار من البلقان » ولم يمضي على هذه الكلمة الا مدة قليلة حتى دخلت الدول الغربية بحرب تعد اعظم الحروب في تاريخ امم الارض كلها متذرعين بجريمة طالب من اهل البوسنه . ففي ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ اطلق تلميذ اسمه (برنزيب) النار على الارشيدوق (فرنسيس فردينند) ولي عهد النمسا والمجر وعلى قرينته دوقة هوهنبرج في احد الشوارع في (سراي بوسنه) فقتلهما .

فالدول العظمى الغربية توسلوا برصاصات القاتل الى ان يحلوا بالسيف المسائل الثلاث التي شغلت بال اوروبا مدة الربع القرن الماضي وهي (١) الرقابة الموجودة بين المانيا وانكلترا على السيادة البحرية (٢) النزاع القائم بين العناصر التوتونية والصقالبة (٣) مسئلة الالزاس واللورين اللتان نزعتا من جسم فرانسة سنة ١٨٧٠ بسطوة البروسية العسكرية .

وهكذا استوقت افطار المدنية اوروبا وآسيا الى الحرب العظمى ولم تمضي ستة اسابيع على مقتل ولي عهد النمسا حتى امست ثماني امم من امم اوروبا في حرب و ١٨ مليون رجل تحت السلاح . وفي مده قليلة اصبحت اوروبا كأنها في ثورة لما عراها من الانقلاب . فنفخ في الصور

وقامت القيامة وبات مستقبل العالم كله متغيراً . وبنتيجة هذه الكارثة الكبرى ذهبت ملوك وماتت ممالك واحتبت حكومات من مقارها وتوفت احياء منها . . .

وفي ٢٨ تموز سنة ١٩١٤ اعلنت النمسا الحرب على الصرب بعد مخابرات سياسية طويلة لم تجد نفعاً وتلى هذه الحادثة اعلان حرب الدول بعضهم على بعض ففي اول آب ١٩١٤ كان قد اعلن الحرب بين انكلترا والمانيا وهم اعظم المتحاربين براً وبحراً . . . ومن غرائب التصادفات ان تخوض انكلترا غمار هذه الحرب وهي تستعد للاحتفال بمرور مائة سنة على آخر معركة بحرية حاربت فيها فمن سنة ١٨١٢ كانت تحارب الولايات المتحدة الامريكية فى حرب الاستقلال المشهورة . ومن ذالك الحين دخلت حروباً كثيرة ولكنها لم تجد نفسها قبل هذه السنة فى حرب مع امة تحاول اخذ السيادة البحرية منها حيث قال الامبراطور ويلهلم « ان مستقبل المانيا على الماء » وزاد على ذالك « ان شوكة نبتون [اله البحر عند اليونان القدماء] يجب ان تكون فى قبضتنا .» ولما اشتغلت انكلترا فى حرب البوئر كان قد خطب الامبراطور المشار اليه على ملاء من قومه واسف لضعف البحرية الالمانية نسبة للبحرية الانكليزية واعدم امكانه اغتنام فرصة ثمينة « لتعزيز تجارة المانيا واسطولها ومصالحها البحرية »

وبدأ سعي الامبراطور ويلهلم لتعزيز اسطوله منذ جلوسه على سرير العاهلية سنة ١٨٨٨ فتوفق على ايجاد اسطول عظيم تحسب اله حسابا اعظم الدول البحرية وهكذا قامت الرقابة على قدم وساق بين انكلترا والمانيا الاسيما على قضية السيادة البحرية التى هي حامية حمى التجارة والامور

الاقتصادية فكانت كلا الدولتين تترقب الفرص لكسر هيمنة رقيبتها فكان لانكلترا ماارادت عند منتهى الحرب العظمى.

استمالة تركيا الى الحرب وادخالها الكارثة الكبرى:

لايخفى على الجميع ان علاقات تركيا بالمانيا اخذت تزداد يوماً فيوماً منذ جلس الامبراطور ويلهلم الثاني على عرش شوكته فنالت المانيا بزمن السلطان عبد الحميد امتيازات كثيرة سياسية وتجارية ممالم ينل غيرها مثله ووجدت لها فرصا شتى لترسخ قدمها في البلاد العثمانية لاسيما بعد الثورة الدستورية واصبحت المانيا بعد حرب البلقان حامية لتركيا الفتاة وصار زعماء حزب الاتحاد والترقى العوبة بيد المانيا تديرهم كيفما تشاء.

في ٣ آب سنة ١٩١٤ طلب السر ادوارد غراى وزير خارجية انكلترا من متولي اشغال السفارة الانكليزية في الاستانة ان يبلغ الحكومة العثمانية عزم انكلترا على اخذ البارجة السلطان عثمان التي كانت تبني لحسابها في معامل آرمسترونغ. فأكد الصدر الاعظم له ان تركيا تنوى المحافظة على الحيدة التامة وان الغرض من تعبئية الجيش العثماني التى سرع فيها هو ان تكون تركيا مستعدة للفواجي فلا تؤخذ على غرة ولا سيما ان اتمام التعبئية تقتضي شهوراً. فاجاب السر ادوارد غراى ان الحكومة العثمانية تعلم ان انكلترا مضطرة الى ابقاء كل ما تستطيع من البوارج فى مياهها وان انكلترا تنظر في كل خسارة مالية او غيرمالية تصيب تركيا من جري اخذ البارجة واذا بقيت تركيا على الحياد لايدخل على الحالة المصرية تغييرما. [١]

[١] تاريخ الحرب العظمى

وفي ١٠ اغسطس بلغ الطراد ان (غوبن) و (بريسلاو) الدردنيل وكان من واجب تركيا كدولة محايدة ان تمنعهما دخول المضيق وان تأمرهما بالانصراف في خلال ٢٤ ساعة او تجردهما من السلاح . ولكنها اعلنت في اليوم التالي انها ابتاعتهما وابلغ الصدر الاعظم معتمد انكلترا في الاستانة ان هذا الشراء نتيجة اخذ حكومته للبارجة السلطان عثمان وانه لاغنى لتركيا عن بارجة لتساوم اليونان في مسئلة الجزر وتكون واياها على مستوى واحد في القوة البحرية . وزاد على ذلك قوله ان حكومته لا تريد بشرائها محاربة روسيا . وطلب في الوقت نفسه بقاء الوفد البحري الانكليزي في البحرية العثمانية . فكان جواب انكلترا انه اذا عيدت نوتية (غو ن) و (بريسلاو) الى المانيا حالا ابقى الوفد المذكور . وعلى اثر ذلك ابلغت الحكومة العثمانية الاميرال ايمبوس الانكليزي انها ساعية في تجهيز الطرادين بنوتيه عثمانية وانها لاتنوي ارسالها خارج بحر مرمرة حتى انقضاء الحرب . . .

وكان الصدر الاعظم البرنس سعيد حليم باشا يؤكد كل يوم لسفراء الدول الائتلاف الثلاثي رغبته في التزام الحياد وقد يكون راغباً فيه على ضعفه ولكن انور باشا لم يكن له هم الا حمل قومه على الانضمام الى المانيا والنمسا . وكان الجيش قد عبئ والالغام قد وضعت في مكان آخر من الدردنيل في الاسبوع الاول من اغسطس وقام الاستعداد للحرب على قدم وساق .

وفي ١٦ اغسطس سنة ١٩١٤ ابلغت دول الائتلاف تركيا انها اذا اعتصمت بالحياد التام مدة الحرب حافظن على استقلالها وسلامة املاكها

في وجه كل عدو قد يتذرع بالحرب الاوروبية للاعتداء عليها . وكان سفير انكلترا قد عاد من اجازته . ففي ١٨ اغسطس بعث الى السر ادوارد غراي يقول انه قابل الصدر فاحسن مقابلته وبالغ في ملاطفته وانه عظيم الرجاء في انفراج الازمة رغم شدة ضيقها بشرط ان تلزم الحكومة الانكليزية الصبر . وقال انه سأل الصدر الاعظم هل في نية حكومته اخراج النوتية الالمان من خدمتها وما هو الضمان الذي يقدمه على الطرادين لكي لايستخدمان لمحاربة انكلترا اوروسيا . فاجاب الصدر انه لايسمح لهما بالخروج الى البحر الاسود ولا الى بحر الروم . وختم السفير رسالته الى الوزير بقوله انه يعتقد بصدق الصدر واخلاصه تمام الاعتقاد .

وفي ٢٠ اغسطس قابل جمال باشا وزير البحرية العثمانية السفير الانكليزي واقترح عليه عدة امور اولا : الغاء الامتيازات الاجنبية من السلطنة العثمانية . وثانياً ان ترد انكلترا حالا الى تركيا البارجتين . وثالثاً ان تكف الدول الاوروبية عن التعرض لشؤون تركيا الداخلية . ورابعاً ان ترد غربى تراكيا الى تركيا اذا انضمت البلغار الى المانيا والنمسا . وخامسا ان ترد اليها الجزر التي في قبضة اليونان . فاجابت دول الائتلاف الثلاثي على هذه المطالب جواباً محتواه انه اذا لزمت تركيا الحياد التام حتى آخر الحرب تكفلن لها بالغاء الامتيازات حالما يقوم مقامها نظام قضائي آخر يفي بالمقتضيات العصرية . وانهن يتعهدن كتابة بانهن يحترمن استقلال تركيا ويراعين سلامة املاكها وانه لايكون في شروط الصلح مايمس ذلك الاستقلال او يجحف بسلامة تلك الاملاك .

ولكن ذلك لم يجد نفعاً فان حزب الحرب في الوزارة على صغره ماظل

يسعى في استمالة سائر اعضائها اليه معتمداً على مدافع غوبن لارهاب السلطان عند الاقتضاء . ففي ٩ ايلول ١٩١٤ ارسل الباب العالي مذكرة الى الدول اعلن فيها عزمه على الغاء الامتيازات الاجنبية من تاريخ اول تشرين الاول ١٩١٤ . ولكن سفراء الدول كلها حتى سفيري المانيا والنمسا استنكرا هذا العزم وارسلوا مذكرة اجماعية الى الباب العالي قالوا فيها ان نظام الامتيازات الاجنبية ليس من نظامات السلطنة المستقلة بل نتيجة المعاهدات الدولية والعقود السياسية المتنوعة فلا يمكن والحالة هذه الغاؤه بلا رضى المتعاقدين . وعليه رفضوا الاعتراف بقرار الباب العالي لانه صادر من احد الفريقين المتعاقدين دون الآخر . . .

وكانت دائرة الدردنيل والبوسفور والاستانة تتحول على عجل منطقة المانية . وجيء بست مئة من النوتية الالمان وضباطهم الى الاستانة في قطارات خاصة بطريق البلغار ووصلها كثير من الاخصائيين الالمان فاقيموا على خفارة قلاع الدردنيل وحصونه . وبات اميرال الطراد غوبن ورجال الحكومة الالمانية هم المستأثرين بالامر يستطيعون اكراه الترك على عمل مايريدون في الوقت الملائم لهم . ثم بذلت المساعي في سبيل اعداد الافكار تهيئة للحرب فقيل للجمهور ان انتصار المانيا في الحرب لامرعي مما لاريب فيه . وان تركيا تستطيع اجتناب الخطر الذي يتهددها على الدوام من جهة روسيا بعقد محالفة مع المانيا والنمسا . وان مصر ترد الى السلطنة وان الهند وغيرها من البلاد الاسلامية التي تأن تحت نير الاستعمار يمتد تنبت شعلة نار فيتيسر للخلافة فيها ماتشاء ثم تخرج تركيا من الحرب وهي الدولة الوحيدة العظيمة في الشرق كما تخرج المانيا منهم وهي الدولة الواحدة

العظيمة في الغرب .

هذه الاقوال وامثالها قيلت لاثارة الرأي العام على الحلفاء بأتفاق رجال الاتحاد في غالب الاحيان . وامست الصحف التركية التى تصدر في الاستانة السنة المالية بلا استثناء فكبرت كل نصر حقيقي حازته المانيا والنمسا وكل نصر خيالي نسب اليهما وصغرت كل خذلان نالهما وجعلت الشركة التلغرافية العثمانية الشبيهة بالرسمية وهي من دوائر وزارة الداخلية وقفاً لمروجي الفضية الالمانية .

لاسيما اثاروا الرأي العام بوجه خاص في امر البارجتين السلطان عثمان ورشادية اللتين اخذتهما انكلترا بعدان بنيتا لحساب تركيا وجماوه شكاياتهم العظمى التى تتضأل عندها شكاياتهم من الدول الاخرى . فأن الجمهور العثماني كان قد تبرع بالمال عن ندى وسماح لايفاء نفقة البارجتين ولا تسئل عن خيبة آماله لما لم تسلما الى حكومته

وكانت جمعية الاتحاد والترقي التي هى اهم جمعيات الاحرار قد تمزقت بما قام بين رجالها من اسباب الشحناء بعد انتصارها الكبير سنة (١٩٠٨) ولكن بقيت منها عصبة اقواها انور وجمال وطلعت وجاويد وكان الاخير وحده من انصار الحياد بينهم . فلما رأت برلين عناده اضطرته الى الاستعفاء اما انور باشا فكان من انصار المانيا جهرة . ومثله طلعت بك الذى وصفه سفير انكلترا بقوله انه اقوى ملكي في الوزارة واظهر زعماء الاتحاديين . ولكنه لم ينضم علناً الى حزب الحرب حتى اوائل تشرين الاول . واما جمال باشا فتردى مثلهما برداء الحياد زمناً . وبازاء هؤلاء الرجال وقف على ما نظهر جماعة هم السلطان وولي عهده والصدر الاعظم وجاويد بك وبقية الوزراء ولا ريب انهم اغلبية كبيرة لمقاومة الحرب ولكن هذه الاغلبية

لم تكن ذات حول للوقوف في وجه اكلة الجمر الذين لايحجمون عند الضرورة عن ضرب الاستانه نفسها بمدافع الدارعة غوبن . ولكن انصار الالمان و الالمان نفسهم كانوا يريدون بقاء الصدر الاعظم فى منصبه اذا امكن ذلك منعاً لوقوع الطوارئ .

وفي ٢١ ايلول قابل سفير انكلترا السلطان آخر مقابلة وقرأ امامه كتاباً شخصياً من ملك انكلترا جورج اعرب فيه عن اسفه الشديد لان هذه حوادث التي لم تكن بالحسبان اضطرت بريطانيا الى حجز البارجتين اللتين بنيتا لحساب البحرية العثمانية وعن امله في ان ردها الى تركيا بعد انقضاء الحرب يكفي للدلالة على ان حجزها لم يكن بسبب سوء نحو السلطنة التي ربطتنا بها صداقة قرن او اكثر .

ثم قال السفير ، وان مولاي يرجو ان لاتعدم تركيا على عمل شيء يمنع حكومته من اعطاءها البارجتين ، بل تحافظ على الحيدة التامة المطلقة فى الحرب الحاضرة وتكف عن بعض الامور المناقضة للحيدة مما افضى الى شيء من القلق بشأن سلامتها .

وانصت السلطان الى كلام السفير حتى ترجم كبير الامناء عبارة (بعض الامور المناقضة للحيدة) فأنكر بشدة ان تكون تركيا عملت عملاً يناقض الحياد . قال السفير فاذا استشهدت على صحة قولي ببقاء ضباط وملاحين المان فى الطرادين غوبن وبرسلاو وان جلالته اتهم دعوا الى زمان قصير لتدريب الملاحين العثمانيين وسيصرفون بعد خمسة ايام او عشرة وانى اريد صراحة القول فأقول ان انكلترا دولة عظيمة ذات اساطيل كبيرة فلا حاجة بها الى [illegible]

في آخر الحرب .

قلت ان انكلترا تريد ان يكون مركزها في البحر مضموناً فقال السلطان أنها دولة بحرية كبيرة فلا تحتاج الى تلك السفينتين ولكن اعلم كما قلت أنها ستردهما . ومهما يكون من الامر فلا انا ولا حكومتي ننوي الخروج عن الحياد . واعاد جلالته هذا الكلام مراراً وقال أنهم يعلمون بان هذا هو طريق السلامه الوحيد .

وفي اواسط ايلول قدر عدد الجنود والنوتية الالمان في الاستانة وحدها باربعة الآف وابدى ضباط الوفد الالماني العسكرى بقياده الجنرال ليمان فون ساندرس همة كبيرة وهم الذين دبروا معظم الخطط العسكرية في سوريا لتهديد مصر وباتوا شغلاشاغلا للحكومة الانكليزية وموضوع اعتراض واحتجاج .

وفي تشرين الاول ارسل مبلغ كبير من الذهب يقدر باربعة ملايين جنيه من المانيا الى سفيرها في الاستانة ثم اودع البنك الالماني . وتم الاتفاق مع حزب من الوزراء انه حالما يبلغ المال رقماً معيناً يطلب من تركيا ان تشهر الحرب . وكانوا قد حاولوا استمالة الصدر الاعظم وحمله على اعلانها ثم عدلوا عن ذلك . وفي الاسبوع الاخير من تشرين الاول قر الرأي على اتخاذ تدابير شديدة لاثارة الحرب . وفي ١٩ تشرين الاول سطت ثلاث نسافات عثمانيه على ميناء (اوده سا) واغرقت سفينة روسية لحراسة الميناء وعطلت الباخرة الفرنسوية (بربوغال) وقتلت اثنين من نوتيها وعطلت ثلاث بواخر روسية وضربت المدينة بقنابلها وضربت كذلك ثغر (تيؤدوسيا) ويقول سفير انكلترا ان الامراء سوشون

الالماني هو الذي امر بذلك في ٢٧ تشرين اول وأن الخبر لم يبلغ الاستانة حتى ٢٩ منه . وللحال زارا سفيري انكلترا وفرانسا سفير روسيا وقرروا ان يستأذنوا حكوماتهم في مخاطبة الباب العالي ليختاروا واحداً من امرين فاما قطع العلاقات السياسية واما عزل الموظفين الالمان في البحرية والجيش. قال (لويس ماليت) سفير انكلترا يصف ختام هذه الرواية

« لكن زميلي السفير الروسي اخبرني في ٣٠ منه ان حكومته ارسلت تقول له ان اطلب جواز سفرك حالا . وكان قد كتب الى الصدر الاعظم يطلب مقابلته فالتمس منه فخامته ان يؤجل المقابلة الى اليوم التالي لانحراف مزاجه . ولما كانت الاوامر الصادرة الى زميلي باتة لامجال للتأويل فيها اضطر ان يطلب جواز سفره من الصدر الاعظم . وكنا ثلاثتنا قد استأذنا حكوماتنا في مغادرة الاستانة معاً اذا اضطر احدنا ان يسترد اوراق تعيينه لسبب من الاسباب كان يكون السبب اعلان تركيا الحرب او عمار عدائياً لايطاق . وعليه قررت أنا وسفير فرنسة ان نعمل بذلك فطلبنا مقابلة الصدر تمهيدا لاخذ اوراقنا . ولما كان فخامته مريضا لم ننتظر ان يستقبلنا ذلك اليوم ولكن لم تمض ساعات قليلة على ارسال كتابنا حتى بعث الصدر يقول انه مستعد لمقابلتنا رغم انحراف صحته . وكذلك استقبل السفير الروسي . فاقنعني فخامته بصدق مقال من انه لم يكن له علم سابق بالحوادث التي افضت الى قطع العلاقات ولا كانت له يد فيها ورجا مني ان اعتقد بامكان رد ما فات . فقلت ان زمن القول والتأكيد ولى وان الازمة التي طالما انذرت فخامته بها قد وقعت . وان الحرب بين الحلفاء وتركيا واقعة لامحالة مالم تقع الترضية الكافية حالا . وهذا

التراضي انما يكون بعزل الضباط الالمان من الخدمة ولما كان سفير روسيا قد طلب اوراق تعيينه فلا مناص لي من ان احذو حذوه طبقاً للاوامر الصادرة الي . فقال الصدر انه يستطيع حتى هذه الساعة الاخيرة ان يحل ماابرم حزب الحرب ويمحوا ماأثبتوه من غير علمه ولا موافقته . فابديت ارتياباً في قوة الوسائل التي لديه فقال ان في جانبه قوات ادبية لابد من ان تنصره وانه يريدالمقاومة الى النهاية . ولم يشر الى امكان عزل الضباط الالمان ولكنه قال ان مجلس الوزرآء سيعقد في منزله مسآء ذلك اليوم فيطلب من زملائه ان يؤيدوه في عزمه على منع وقوع حرب مع الحلفاء

فعقد المجلس كما قال وايدت الاكثرية فخامته اذ اطال في الدفاع عن السلم وامن جاويد بك على قواله . ولكن اتضح للحال عجز الوزرآء عن ان يعملوا شيئاً غير اعطاء اصواتهم في مجلس الوزرآء . فأنهم تناقشوا في عزل الضباط الالمان البحريين ولكنهم لم يصدروا قراراً بذلك . ولم يجسر واحد منهم ان يقترح عزل ضباط الجيش البري . وكان حزب الحرب في خلال ذلك قد قرر اطراد السير الى الامام اذ نشر بلاغ رسمي يقول ان روسيا هي البادئة باعمال العداء في البحر الاسود . وقد صدق كثير من الجمهور هذا القول على بعده عن الحقيقة . ولا يمكن البرهان على اي من الوزرآء كان له علم سابق بما فعل الاميرال الالماني ولكن يكاد يكون من المؤكد ان انور باشا كان له ذلك العلم ومن المرجح ان طلعت بك كان شريكا في العمل ايضاً . وعندي شهادات مستقلة تشهد بان تعدي روسيا هو ابن ساعته لاعمل مدبر من قبل وبان امر الشروع في الاعمال العدائية اعطي عند فم البوسفور مساء ٢٧ تشرين الاول وبان

ذلك هو نتيجة مؤامرة دبرها ممثلوا المانيا فى الاستانة وعصابة تركية صغيرة لاخلاق لها . »

ثم ذكر السفير مغادرته للاستانة هو وسفير فرنسا وروسيا وسوء معاملة عدد كبير من رعايا انكلترا وفرانسا قبل السماح لهم بالسفر . وقد وكل سفير الولايات المتحدة الامريكية بالمصالح الفرنسوية والانكليزية في الاستانة وسفير ايطاليا بالمصالح الروسية . فهذا هو الرأي الانكليزي في قضية ادخال تركيا الحرب .

بيان طلعت باشا :

ولكن فلنسمع الآن بيان طلعت باشا في هذا الصدد لكى نقف على الحقائق ونقتطف العبر . لان كلا نعلم ان دخول تركيا الحرب فى جانب الالمان والنمسويين كان سراً من الاسرار التي لم نصل اليه احد مدة الحرب ولكن طلعت باشا الذي كان من جملة العاملين فى السياسة التركية قد اماط اللثام عن هذا السر بخطاب طويل القاه في المؤتمر الاتحادي العام الذي انعقد لآخر مرة فى الاستانة عند انعقاد الهدنة بين تركيا والحلفاء .

فقال الخطيب :

« نحن الآن في اوائل تشرين الثاني من سنة ١٣٣٤ (رومية) قد انتهت الحرب واغمد الفريقان سلاحهما بعد ذلك العراك الطويل المخيف . وادى انحلال الساحة البلغارية في البلقان الى خرق جبهتنا وجبهة حلفائنا في هذه الجهات المؤدية الى طريق الاستانة .

ومعلوم ان الذي ادخل بلغاريا الى الحرب هو المسيو (رادوسلاووف)

رئيس وزارتها وبعد سقوط وزارته تقلدها المسيو (مالينوف) فأخذت بلغاريا تنحرف شيئاً فشيئاً بسياستها عن حلفائها وكان حلفاؤها ونحن فى جملتهم يعرفون هذه الحقيقة غير ان حكومتي برلين والاستانة اللتين اثقلت الحرب كاهليهما لم يكتشفا هذه الحقيقة في حينها او انهما توصلا اليها ولكنهما تجاهلاها لاسباب وظروف اقتضت هذا التجاهل . وقد انتج الامر خروج بلغاريا عن حليفاتها وانفرادها بعقد الهدنة .

ولا حاجة الى تبيان الوقائع التي تلت هذه الحادثة العظيمة بسرعة لم يسبق لها مثيل فقد دخل البلغار فى المفاوضات وقبلوا كل شرط وعقدوا الهدنة . وما مضت ايام الا وسارعت المانيا والنمسا الى مراجعة رئيس الجمهورية الامريكية طالبتين عقد صلح شريف بواسطته . ولم تبق الا تركيا التي اصبحت بين خطرين . خطر الجيوش الزاحفة على آسيا الصغرى بطريق سوريا والعراق . وخطر جيش مكدونيا الذي يقوده الجنرال (فرانشه دسبري) في الشمال وهو الزاحف على الاستانة . وكان الامل الوحيد لتركيا هو التعلق بمبادئ ولسن على ان وزارتنا (اى وزارة طلعت باشا) التي قامت بالحرب وشهرتها قد اضطرت الى الاستقالة . واقترح جلالة السلطان على توفيق باشا تأليف وزارة اخرى فلم يتمكن وفي الاخير استطاع عزت باشا ان يؤلف الوزارة الجديدة كما استطاع ان يعقد هدنة فى (موندروس) بين تركيا والحلفاء

اما الاسباب التى دعت تركيا الى الاشتراك في الحرب بجانب الالمان فيجب ان ابسطها الآن جلاء للحقائق ودفعاً للاوهام .

كانت السياسة التركية في العهد الذي يبتدئ باعلان الدستور الى ختام

الحرب البلقانية ميالة كل الميل الى انكلترا غير ان طوارئ كثيرة ادت الى تباعد الدولتين رغم ما بينهما من التقاليد القديمة والصلات الحبية . وفى اواخر الحرب البلقانية كان الصدر الاسبق المرحوم حقي باشا موفداً الى لندن بمهمة كبيرة باسم وزارة المرحوم محمود شوكت باشا وكانت تلك المهمة ايجاد تفاهم واتفاق بين تركيا وانكلترا وحل جميع المسائل التى قام عليها الخلاف وكان فى النية عقد اتفاق مع فرنسه فيما اذا نجح حقي باشا فى مفاوضاته مع انكلترا .

وفي هذه الاثناء ، اي في الزمن الذى خرجت فيه تركية منكسة الاعلام من حرب البلقان ، بل في الزمن الذي كاد يرسخ في محافل اوروبا السياسية ان تركيا على وشك الاحتضار قدمت روسيا مذكرة شديدة اللهجة الى الباب العالي ويظهر ان روسيا اغتنمت هذه الفرصة فاصرت في مذكرتها على تطبيق المواد الخاصة بالولايات الشرقية من معاهدة برلين ، تلك المعاهدة التى نقضت روسيا نفسها كثيراً من بنودها وموادها . ولكنها الآن تريد ان تستعمل بعضها للانتقام من تركيا ولقضاء نياتها على حدود الاناضول الشرقية . ولا ريب في ان هذه المطاليب الروسية قد اقلقت الباب العالى قلقاً شديداً فاضطر الى مفاوضة سفراء الدول العظمى في الاستانة من جهة واصدر التعاليم الى حقي باشا الذي كان في لندن بشأن عقد اتفاق عن مسئلة الولايات الشرقية . ومعلوم ان انكلترا اضمنت في معاهدة برلين السيادة التركية على الولايات الشرقية فاتخذ حقي باشا هذا الضمان قاعدة لمفاوضاته مع ساسة الانكليز فى هذه المسئلة واخيراً قد اتفق مع وزارة لندن على حل المشكلة بتعيين مفتشين بريطانيين على الولايات

الشرقية حتى أنها ذكرت اسماء بعض المفتشين الذين اختارتهم لهذه المهمة ولما علمت روسيا ان مذكرتها اصبحت في حكم العدم بعد اتفاقنا مع انكلترا سعت من جديد لدى وزارة لندن للانحياز اليها وقد نجح مسعاها وشرعت انكلترا شيئاً فشيئاً من التملص من قضية تعيين المفتشين .

وقد ايقن الباب العالي بحبوط امانيه من سياسة بريطانيا فاتجهت انظاره الى السياسة الالمانية التي كانت تحبب نفسها وقد انفرد سفير المانيا من بين جميع السفراء بمظاهرة النظرية التركية في الولايات الشرقية في المفاوضات التي انتجتها مذكرة روسية المعهودة وقد شجعنا سفير المانيا على المقاومة بشرط ان لاتؤدي الى نشوب حرب بيننا وقد وقف جميع السفراء موقف المظاهر لسياسة روسية ومطالبها الفادحة . ورغم عقامة مفاوضات لندن لجاء الباب العالى الى حمل روسية على الدخول في المفاوضات وقد ابتكر طريقة لادخال مسئلة الولايات الشرقية بين مسائل الاصلاحات العامة لاعتبارها مسئلة خاصة منفردة بنفسها بحيث يكون الامر فيها مقصوراً عليه وعلى روسية وقد اتكلنا في هذه السياسة على مظاهرة المانيا المعنوية وبهذه الصورة تحولت السياسة التركية عن لندن الى برلين .

لما كانت مسئلة الولايات الشرقية موضوعة على بساط البحث بين الباب العالى والسفراء وكانت المانيا تشجعنا من طرف خفى على المقاومة فلم نتأخر عن جس نبض المانيا لمعرفة عزمها فيما اذا كان من الممكن ان نعقد اتفاقاً معها وندخل فى زمرة التحالف الثلاثي الذى كان مؤلفاً منها ومن النمسا وايطاليا وقد سئلنا رأى المانيا فى الامر بصورة صريحة ولكننا رأينا وزارة الخارجية فى برلين غير سفارة المانيا فى الاستانة من حيث

الرغبة فى هذا الاتفاق وقد اجابت الوزارة ان تركيا اليوم ليست بقادرة على تمثيل نفسها فى التحالف الثلاثي ولم يحن الزمان بعد للبحث فى هذا الاقتراح على ان الوزارة ستفكر فيه فى الوقت الملائم. وطبعاً ان المسعى قد ذهب ادراج الرياح امام هذا الجواب السلبي وقضى على كل أمل وفى الحقيقة اننا نطلب لنا حلفاء لاننا ضعفاء. وغيرنا يطلب اقوياء ايضاً ليستند عليهم فى ادارة سياسته.

وفى صيف سنة ١٩١٤ ارسلت سفارة المانيا الى الباب العالى مذكرة تقول فيها ان وزارة الخارجية قد وجدت الجو صالحاً الآن للدخول فى المفاوضات بشأن عقد محالفة بين تركيا والمانيا وقد اشارت فى المذكرة الى سعي الباب العالى قبل زمن فى هذا الموضوع. على ان سياسة تركية لم يطرأ عليها اي تبديل خلال المدة التى انقضت على مسعاها الاول ولذلك لم يبق اقل حائل دون الارتياح الى طلب المانيا الجديد وهذا ما حملنا على الشروع فى المفاوضات مع المانيا وقد تم الاتفاق باسرع وقت على صورة تحفظ لتركيا مقاماً رفيعاً فى المجموعة الدولية. ولم تمض مدة قصيرة على ابرام المحالفة الا ووقعت جناية (سراى بوسنة) ونشب الخلاف بين النمسا وصربية وقد استنتجنا من هذه الحادثة ان المانيا لم تظهر رغبتها فى الاتفاق — بعد صدودها واعراضها عن اقتراحنا الاول — الا بعد ان شعرت باقتراب حرب اوربية عامة تحرق الاخضر واليابس فقصدت تلتمس لها حلفاء ومناصرين حتى ولو كانوا ضعفاء مثلنا وقد تتابعت الوقائع بسرعة فاعلنت النمسا الحرب على الصرب وتقاطرت الى الميدان الدولة بعد الاخرى حتى اصبحت حربا عامة خاضت غمارها معظم دول اوربا الكبيرة وقد

بقى الباب العالى فى موقف حرج بين سفراء التحالف وهم المانيا والنمسا وسفراء الاتفاق وهم سفراءانكلترا وفرنسة وروسياوقدكان سفراء الفريق الاول يأتون كل يوم الى الباب العالي حاملين المعاهدة بايديهم مطالبين بلزوم اشتراك تركيا فى الحرب وهم يسئلون : متى تناصروننا فى هذه الحرب متى تنفذون المعاهدة التى وقعتم عليها باختياركم ؟ ماذا سيكون مصير المحالفة معنا ؟ هل طرأ عليها شئ جديد ! وكان فى امكاننا ان نعتذر الى المانيا والنمسا بعدم دخولنا الحرب ونورد لها الادلة على ان لاقيمة للمعاهدات فى نظر الدول بدليل ان ايطاليا حليفتها لم تصغ لاحكام المحالفة وان المانيا نفسها خرقت حياد البلجيك وقالت عن معاهدة الحياد انها قصاصة ورق ولكن المانع الاكبر لعدم تصريحنا بذلك هو اننا لم نزل احداثاً فى عقد المعاهدات فاذا فسخنا اول معاهدة عقدناها بدون مسوغ شرعى احتقرتنا الدول الاخرى حتى ان انكلترا وفرنسة لاتعتمد ان علينا فيما اذا اردنا ان نستعيض عن الاتفاق مع المانيا بالاتفاق مع انكلترا ولذلك اضطررنا الى اتخاذ سياسة المراوغه والتسويف مع المانيا .

ولكننا حينما يطالبنا سفيري المانيا والنمسا بخوض غمار الحرب نجيبهما بان ذلك مستحيل الآن ما دمنا لم نعرف حتى هذا الوقت موقف بلغاريا تجاهنا واطماعها فى (ادرنة) بل فى الاستانة وهذا مايؤخر تركيا عن ايفاء عهودها ولماذا تتأخر عن دخول الحرب وهى ترى امامها روسية العدوة التاريخية مشغولة باوربا ؟ على ان اعلان الباب العالي الحرب على بلغاريا قديثيرعاطفة الجنسية المشتركة فى بلغاريا فتشهرهذه الحرب علينا فلا نكون قد عملنا شيئاً غير اكتساب عدو جديد ولا يخفى ان موقع الاستانة

مهدد بالخطر من جهة الحدود البلغارية رغم كل تعديل وتصحيح جرى بعد الحرب البلقانية فاذا اشتكت تركيا فى حرب مع روسية فان الاستانة تبقى معروضة لاي تهديد يقع من جانب بلغارية في الوقت الذى لايمكن للنمسا والمانيا انقاذالعاصمةلاشتغالهما فيحروب الجبهة الشرقية والغربية .

وقد كانت هـذه الاجوبة التي البست ثوباً سياسياً قشيباً من جملة الاسباب التي اخرت تركيا نحو ثلاثة اشهر عن دخول الحرب . وكانت تركيا تريد ان تغتنم هذه الفرصة فتعترف ماهي التكاليف التي يعرضها عليها سفراء الاتفاق حتى اذا رأتها ضامنة حياتها السياسية وجالبة اليها المنافع فأنها لاتتأخر عن الوقوف موقف الحياد التام ودخول الحرب في جانب انكلترا وفرنسة ولكن الاتفاقيين والائتلافيين لم يفعلوا ذلك وجل ماعملوه هو انهم يقدمون الضمانات عن استقلالنا كأن استقلالنا غير مضمون على انه ماذا افادت تركيا معاهدة باريس سنة ١٨٤٨ ومعاهدة لندن ومعاهـدة برلين وجميعها تعترف بأستقلالنا السياسي التام وتضمنه فهل منعت حدوث الحرب البلقانية وهل منعت دول اوربا من التداخل في شؤوننا وهل حالت دون ضياع مصروطرابلس الغرب وجزرالارخبيل وقبرص ؟كلا . ولذلك لم يكن لوعود الائتلافيين في انظارنا قيمـة كبيرة فيها الكفاية لتحويل انظارنا من برلين الى لندن مرة ثانية .

اشيعت غير مرة اشاعات كثيرة مؤداها ان دول الائتلاف قد اقترحت على الباب العالي ان يقف موقف الحياد لقاء وعود كثيرة مفيدة لتركيا في مستقبلها وحياتها السياسية في حين ان هذه الدول لم تفعل اى شيء يحملنا على التزام جانب الحياد وجل ماوعدتنا به هو انها تضمن لنا

استقلالنا بعد الحرب ولكن هذا الوعد لم يصدر الا من انكلترا وفرنسة فقط وبقيت روسية فى معزل عن حليفاتها كأن الامر لايعنيها ولقد زار مراراً كثيرة سفراء الائتلاف الباب العالي حتى في الايام التي ظهرت فيه ميول تركيا الى المانيا وحثونا على اجتناب الحرب لقاء ضمان استقلالنا ولم يعدونا بغير ذلك وليس بين ساسة الباب العالي من يثق بهذا الوعد قياساً على مافعلته اوربا فأنها خرقت حرمة المعاهدات غير مرة ومست كرامتنا وتلاعبت بحياتنا وكياننا وقد رأينا انكلترا نفسها قبل نشوب الحرب العامة باسابيع قليلة كيف تتملص من اتفاقها معنا على مسئلة الولايات الشرقية وتضحينا امام أطماع روسية . بيد ان انكلترا لم تقف عند هذا الحد بل انها صادرت مدرعيتنا اللتين كنا نبنيهما في معامل (ارمسترونغ) وهذا ماحرم اسطولنا التفوق على الاسطول اليوناني في مياه الارخبيل وقد أثارت مصادرة هذين الدريدناوطين هياجاً عظيماً في محافل الحكومة واندية الامة واحدثت تياراً هائلا ضد انكلترا مما لايستطيع احد الوقوف امامه .

ومع كل ماتقدم ، كانت دول الائتلاف تعنى عناية عظيمة بمسئلة حيادنا خصوصاً فيما يتعلق بالمضايق وكانت تلح علينا بالتزام الحياد رغم وقوع حادثة (غوبن) و (برسلاو) وهي المدرعتان اللتان لجأتا الى الاستانه فاشترتهما تركيا من المانيا وقد التزم الائتلافيون جانب الصمت تجاه الغاء الامتيازات الاجنبية واكتفوا بالاحتجاج فقط . على ان سياستنا كانت ترمي في ذلك الحين الى اكتساب الوقت لنقف على مجرى الشؤون ونجس نبض الحقائق للتمييز بين الفعل والمطلوب وبذلك نستطيع

من تقف في جانب المنتصر وكانت وقائع الحرب تثبت نظرية القائلين بان المانيا هي التي ستكسب الحرب وتنتصر على خصومها وقد ظلت هذه النظرية سائدة في محافل الاستانة العسكرية حتى بعد وقعة المارن التي تراجع فيها الالمان امام خصومهم الاشداء وكان يحق للائتلافيين ان يوجسوا خيفة من سياسة الباب العالي قبل اعلان الحرب من جانبه فقد كان بقاء البعثة العسكرية الالمانية في الاستانة باعثاً للقلق والخوف وقد زاد الطين بلة اعلان ضم البارجة غوبن والمدرعة برسلاو الى الاسطول العثماني واستخدام الاميرال (سو شون) والبحارة الالمانيين فيهما وكان احتجاج الائتلافيين على هذه الاعمال احتجاجاً عادلا وكان الباب العالي معروضاً لاسئلة صحيحة منطقية يوردها سفراء الائتلاف ولم يفرغوا احتجاجهم في قالب الشدة والتهديد رغبة منهم في ان يظل الباب العالي محتفظاً بالحياد التام .

كان سفير المانيا والنمسا يأتيان كل يوم الى وزير الخارجية ويبرهنان له على ان لاخوف من جانب بلغاريا اذا دخلت تركيا الحرب وقد اقترح سفير المانيا ان تتفاوض تركيا مع بلغاريا ولم يكن في وسعنا رد هذا الاقتراح لانه يكون برهاناً على عدم رغبتنا في تنفيذ الاتفاق المعقود مع المانيا ولذلك اظهرنا ميلا الى هذه المفاوضات وكان على رأس الوزارة البلغارية المسيو (رادوسلاوف) ويدير وزارة الخارجية المسيو (غناديف) وهو صديقي شخصياً . وبعد ان بحث مجلس الوزراء في هذا الاقتراح بحثاً دقيقاً قرر ايفادي وايفاد خليل بك — رئيس مجلس النواب الاسبق — الى صوفية . وقد علمنا بعد ان حادثنا المسيو رادوسلاوف والمسيو غناديف

ان مفتاح السياسة البلقانية هو في (بخارست) لا في صوفية وقد كانت بلغاريا تخشى — اذا خاضت غمار الحرب — من جانب رومانيا كما نخشى نحن جانب بلغاريا ولقد كانت حكومة صوفية مستعدة للانتقام من صربيا التي حرمتها ثمرات الحرب البلقانية والتي استولت على اغنى البقاع المسكونة بالعنصر البلغاري. ولكن موقف رومانيا المبهم كان العامل الاكبر لبلغاريا على التزام الحياد على انها لم تكن تخاف رومانيا فقط بل تخاف، في الوقت نفسه، ان تتفق رومانيا مع روسية فيتدفق سيل الجيوش الروسية على حدود بلغاريا الشمالية وتجتاحها وهذا ماقيد يدبها عن القيام باية حركة منتظرة. وتتائج الحوادث ان بلغاريا كانت على يقظة الى كل مايجرى حولها على اننا بارحنا صوفية الى بخارست بعد ان لمسنا هذه الحقائق وفاوضنا الاستانة في الامر.

لما كنا في بخارست كان المسيو (براتيا) هو القائم برئاسة الوزارة وكان المسيو (فون كولمان) — الذى صار وزيراً للخارجية فيما بعد — سفيراً لالمانيا والكونت (جرنين) — الذي اصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية ايضا — سفير للنمسا في بخارست. وبعد ما كنا نفاوض هذين السفيرين ونتبادل منهما الآراء في مايجب عمله والسعي اليه كنا نجتمع خلسة بالمسيو راديف سفير بلغاريا ونضع المناهج التي نتبعها في مكالمة ساسة رومانيا. وقد شرع الواحد بعد الآخر يقابل الملك ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ورؤساء الاحزاب وذوى النفوذ في المقامات العالية ومجلسي النواب والشيوخ والبلاط الملوكي وكنا نجتمع مع سفراء المانيا والنمسا وبلغاريا في الليالي في احدى السفارات ونقص كل واحد منا على الآخرين

ماعمله وماقام به في بياض نهاره .فاذا كان اليوم الثاني طبقنا المنهاج الذي وضعناه في الليلة الفائتة بعد ان تفننا باساليب المفاوضات امكننا الحصول على عهد من رومانيا بانها تقف موقف الحياد تجاه كل خلاف او اية حرب تنشب بين بلغارية وصربيا . ولما وقفت وزارة صوفية على هذا الامر كتبت الى سفيرها بان يطلب عهداً مكتوبا اذ لايمكن الاعتماد على العهود الكلامية .

احدث طلب وزارة بلغاريا العهد التحريري مشكلة جديدة في سير القضية . فان وزارة (برايتيانو) امتنعت عن اجابة هذا الطلب وقدقال لي مرة هذا الوزير : « ان رومانيا اعلنت للمتحاربين والمحايدين ولجميع العالم المتمدن حيادها التام وصربيا اليوم هي في عداد الدول المحاربة . فاذا نحن اعطينا بلغاريا عهداً تحريريا عن حيادنا فيما اذا اعلنت الحرب على صربيا فنكون قد مسسنا كرامة هذا الحياد . لاننا نكون قد شجعنا بلغاريا على قتال صربيا من الوجهة الادبية . ولذلك فان رومانيا لاتستطيع ان تعطي عهداً بالحياد . هذا ماقاله المسيو براتيانو وهو كلام صريح لامجال فيه للاخذ والرد والنقض والابرام .

ثم عدنا الى الاستانة بعد ان لم نحصل على نتيجة من سياحتنا . ولا ندري ما اذا كانت دول الائتلاف واقفة على اسرار هذه السياحة والغاية منها . وقد عادت المانيا والنمسا الى تشويقنا على خوض غمار الحرب بينما كانت فرانسا وانكلترا تستميلاننا الى الحياد وتحثنا على احترامه وكان الباب العالي يتبع سياسة رشيدة تجاه هذين العاملين المتناقضين . ولكن نفوذ المانيا اخذ في الآونة الاخيرة بالازدياد والاستفحال في الاستانة

لاسيما بعد ان انضمت البعثة البحرية الالمانية الى البعثة العسكرية الالمانية برئاسة الجنرال ليمان فون ساندرس باشا ومثلت سياسة المانيا رواية هائلة جداً على ضفاف البوسفور .

وبينما كانت الاحوال على هذا المنوال اذ وقعت حادثة البحر الاسود وتفصيل الخبر ان الاميرال (سوشون) قد خرج بالاسطول العثماني الى البحر الاسود بحجة اجراء التمارين ثم هجم على الاسطول الروسي وضرب بعض موانى الروس بالقنابل وكان الناس يتهمونني بان لي دخلا في تدبير هذه المكيدة على اني وان كنت لم اجد لزوماً ودافعاً الى تكذيب هذه الاشاعات لاسباب سياسية الا اني اقسم بشرفي بأنه لم يكن لي اقل سابق علم بالمسئلة وقد اطلعت على تفاصيل الحادثة وسببها كما اطلع عليها معظم الناس بعد وقوعها . وقد احدثت هذه المسئلة دوياً عظيماً ونزلت نزول الصاعقة على الباب العالي فـ ستاء الصدر الاعظم منها كما استاء الوزراء حتى ان بعضهم وهم جورجي كصولي محمود باشا وسليمان افندي البستاني واوسقان افندي استقالوا دفعة واحدة كما ان جاويد بك وزير الماليه اصر على استقالته رغم جميع مابذل في اقناعه وحمله على الاحتفاظ بمنصبه ولم يرض الصدر الاعظم بالبقاء على رأس الوزارة الا رغبة في حل المشكلة بطريق المفاوضة والمسالمة وتقديم الترضية التي تجعل هذه الحادثة امراً منسياً .

ان حادثة البحر الاسود وقعت اول يوم من عيد الاضحى وقد دوت لها محافل الباب العالي والسفارات واولدت استيـاء عظيما حتى في الاندية العسكرية المشايعة للالمان والقائلة بانتصارهم حتى في آخر ساعة . ويدل على

حراجة الموقف وشدة التأثير استقالة اربعة وزراء دفعة واحدة . ولم اسمع الخبر الا اثناء المعايدة وقد انعقد مجلس الوزراء وبحث فى المسئلة بحثاً دقيقاً وفي مسئلة استقالة الوزراء الاربعة . وقد قر القرار الاخير على ان يتولى الصدر الاعظم زمام وزارة الخارجية ايضاً ويشرع فى المفاوضات مع السفراء لحل المشكلة بطريقة سلمية .

احتجت سفارة روسية على الباب العالى احتجاجاً شديداً من جراء وقعة البحر الاسود وعقبه كل من سفير بريطانية وفرنسة فايدا سفير روسيه فى احتجاجه ولكنهما تمنيا فى الوقت نفسه ان تقضي المشكلة سلميا وعرضا وساطتهما علينا . فقبلناهذا الاقتراح وشرعنابالمفاوضات معروسية وبعد الاخذ والرد اصرت روسية على طلب ترضيه منا وذلك باعادة البعثة العسكرية الالمانية الى بلادها وتجريد البارجتين غوبن وبره سلاو من سلاحهما واعلان الحياد التام بصورة صريحة واضحة واجتناب كل مفاوضات وعلاقات خفية مع المانيا ومجمل القول ان مطالب روسية تؤدي الى فسخ الاتفاق المنعقد بين الباب العالي وبين المانيــا وقد بقينا امام حقيقة راهنة وهي التزام جانب احد الفريقين بصراحة . وقدوضعت هذه المسئلة على بساط البحث فى الباب العالى وطالت المفاوضات جداً .

لم اقبل ان تقع مثل هذه الواقعة ولكني بعد ان رأيت الدولة امام مواجهة الحقائق شعرت بضرورة خوض غمار الحرب . لاننا اذا لم نكن عاملين بمحالفتنا مع المانيا فلا نجد بعد ذلك احداً يعول علينا ويحالفنا مرة ثانية على انه كان من المستحيل ايضاً اقناع دول الائتلاف بنبذنا السياسة الالمانية وانحيازنا اليها ولم يكن ايضا فى دائرة امكاننا الحصول على اكبر من

ضمان استقلالنا من دول الائتلاف . وقد خشينا — اذا لم ندخل الحرب — ان نكون بعد انتهائها عرضة اسكل طامع فيتراضى الغالب والمغلوب على حسابنا . وقد حملنا على الوقوف الى جانب المانيا مايبديه النقاد العسكريون من تفوق المانيا على خصومها ولو منحتنا دول الائتلاف نصف ما منحتنا اياه المانيا والنمسا في معاهدتنا معهما لماتأخرنا لحظة واحدة عن الوقوف الى جانبها ولكنها كانت تحاول اقناعنا بوعود موهومة كثيراً ما كانت سبباً لاضعافنا يوم انضممنا اليها وخدعنا بها . ومن يضمن لتركيا — اذا احتفظت بحيادها — ان لاتتراضى فرنسة المغلوبة والمانيا الغالبة مثلاعلى حسابنا فتعوض الاولى الثانية عن خسائرها في الحرب بما تقتطعه من جسم مملكتنا ؟ وقد شاهدنا كيف ان فرنسة تحتل تونس وكيف تهاجم ايطاليا طرابلس الغرب على مرائي ومسمع من دول اوربا المتمدنة المنصفة ! ؟

بينما كانت المفاوضات جارية بيننا وبين سفراء دول الائتلاف ، اذ كانت روسية تحشد الفيلق تلو الفيلق على حدودنا الشرقية فلم نر بدأ من مقابلتها بالمثل . على ان روسية لم تخلص النية في مفاوضاتها وقد كانت تحاول ان تباعد بيننا وبين المانيا ليخلو لها الجو وتضعنا العوبة بيديها في المستقبل وقد اضطررنا بعد ما لمسنا ذلك الى العمل بالمحالفة مع المانيا وشهرنا الحرب التي وضعنا فيها حظنا ومصيرنا الى جانب حظ المانيا ونصيبها وهي اعظم دولة في العالم . ولم يكن في حسبان احد ان تنقلب الكفة فيصبح مغلوباً من كان غالباً وينقلب ضعيفاً من كان قوياً . . . . الخ »

هذه مدافعات طلعت بشأن ادخال تركيا الحرب الشعواء ولكن اذا امعنا النظر في هذه البيانات وقسناها مع رابورتات السفارة الانكليزية

يظهر لنا ان انور باشا بشخصه هو المسبب لترصين نفوذ الالمان في الاستانة بدرجة تمكن الجرمن بذلك النفوذ من القبض على زمام امور تركيا ومن ادخالها الحرب العظمى طوعاً او كرها . فذهبت كثير من النفوس العثمانية ضحية لمنافع الالمان وهكذا استخدمت المانيا حتى آخر جندي من الجيش التركي على حسابها فالمسؤلية تماما ترجع اولا الى انور باشا شخصيا ثم الى زملائه واعوانه كطلعت وجمال ورفقائهم الذين سببوا تخريب الدولة العثمانية وكل ذلك كان على حساب المانيا



الفصل الثالث

تعرض الجيش البريطاني على العراق:

وقعت واقعة البحر الاسود في ٢٩ تشرين الاول ١٩١٤ وطلب سفير انكلترا في الاستانة (السير لويس ماليت) اوراق اعتماده في اليوم التالي وكان الانكليز المقيمون في البصرة يتوقعون قطع العلاقات بين انكلترا وتركيا فغادرها كثير منهم فى ٢٧ تشرين الاول ١٩١٤ قاصدين المحمرة ، وفى ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ركب قنصل انكلترا وبقية الجالية الانكليزية باخرة عثمانية مزمعي الرحيل عنها ولكن والي البصرة منعهم السفر ماعدا القنصل عملا باوامر وردته من الاستانة .

وكانت حكومة الهند توجس شراً فلذلك رأت من الحكمة تعزيز قوتها في الخليج قبل نشوب الحرب فأرسلت الى جزيرة البحرين لوآء مؤلفاً من اربع افواج اثنان من الجنود الانكليزية واثنان من الهندية ومعه بطريتان من مدافع الجبال . ثم ابحر هذا اللوآء تحت قيادة الجنرال (دولاماين) من البحرين فبلغ (الفاو) في ٧ تشرين الثانى ١٩١٤ واستولى عليها . ثم ترك الجنرال (دلاماين) فصيلة من الجنود الاهلية فيها وركب النهر بمعظم قوته وسار الى (عبادان) لحماية معمل تكرير البترول فيها . فلما بلغت الحملة الجزيرة وجدت الزورق (شبيكل) قائماً على حراسة المعمل ، وكان زورقان حربيان عثمانيان قد قصدا المعمل في الليلة السابقة فتبادلا هو و(شبيكل) اطلاق النار ثم انطلقا الى الفرار[١]

[١] تاريخ الحرب العظمى .

ثم تقدم الجنرال دلاماين نحو (سنيه) على بعد ٣٥ ميلا من البحر فنزل رجاله على الضفة العثمانية بلا مقاومة ولكن هاجمتهم فى ١١ تشرين الثاني ١٩١٤ قوة عثمانية كبيرة قادمة من البصرة فصدها احد الافواج الهندية ولكنهم كانوا قد تحصنوا في قرية هناك فلم يزحزحوا منها الا بجهد شديد . واخيراً انهزم العثمانيون .

وفي ١٣ تشرين الثاني ١٩١٤ وصل الفريق الجنرال باريت القائد العام لحملة العراق البريطانية بعدة سفن تقل الجنود ورسا عند فم شط العرب . وكانت هذه النجدة مؤلفة من لوائين (٨ افواج) مشاة وثلاث بطريات للميدان وكتيبة من الخيالة ومقدار كاف من حفرة الخنادق واللاغمين وتلا هذه النجدات نجدات اخرى .

وفى ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤ وصلت قوة الجنرال باريت . فخرج السربرسي كوكس قنصل انكلترا الجنرال فى خليج العجم للقاء الجنرال وبعد اجتماعهما تقرر تأجيل انزال الجنود الى البر الى غد ذلك اليوم . وكان الجنرال باريت قد علم ان العثمانيين يحتلون قرية (سيحان) على بعد ٤ اميال من (سنيه) شمالا فأمر الجنرال دلاماين بمهاجمتهم بلوائه فخرج عليهم بثلاث افواج وبطريته وتبعهم الفوج الرابع كأحتياط . وكان عدد العثمانيين (٣٠٠٠) رجل ثلثهم من العشائر وقد احتلوا موقعاً عند غابات النخيل التى تمتد مسافة ميلين من ضفة النهر ووراؤها الصحراء .

فهاجمت القوة الانكليزية القوة العثمانية واشترك الزورقان الحربيان فى القتال من النهر فتقهقر العثمانيون بعد حرب شديدة على طول الخط الا موقع سيحان لم يتزحزح لمقاومته الشديدة ولكن بما ان المراد من هذا

التعرض كان الاستطلاع العام ارتدت القوى البريطانية الى معسكرها وقتياً . وفي ١٧ تشرين الثاني ١٩١٤ زحفت القوة الانكليزية كلها فوجدت سيحان خالية من العثمانيين . وبعد مسيرة ٩ اميال لامست الاتراك في بلدة (ساحل) على نحو خمسة اميال من سيحان شمالا بغرب وكان موقف العثمانيين عزيزاً فاشتد القتال بين الطرفين حتى المساء فانهزم العثمانيون شر هزيمة .

سقوط البصرة :

وفى ٢١ تشرين الثاني ٩١٤ جائت الانباء بان العثمانيين اخلوا البصرة على العجلة وان العرب ينهبون المدينة فقرر الجنرال باريت الزحف عليها حالا فاركب فوجين باخرتين من بواخر النهر معها مدفعان وامر بقية الحملة بالمسير طول الليل في الصحراء نحو البصرة وكان العثمانيون قد اغرقوا ثلاث بواخر في النهر لسد الطريق النهرى ونصبوا بطرية على ضفة النهر قرب (ساحل) ولكنهم لم يتقنوا سد النهر فتمكن الزورقان الحربيان (شبيكل) و (اودن) من عبور النهر بسهولة وضرب البطرية العثمانية . وعبرت الباخرتان اللتان نقلتا الجنود الانكليزية النهر ايضاً بسلام واذا بقارب قد استقبلها يحمل رسالة مستعجلة من قنصل امريكا في البصرة يقول فيها ان العرب لايزالون يعبثون نهباً وفساداً وان انفس السكان في خطر . وفي صباح اليوم التالي اشرفت الحملة البحرية على البصرة فرأت الدخان يتصاعد من دائرة الكمرك بعد ما اضرمت النار فيه ولكن الزورقين كانا قدبلغا المدينة يصحبهما زورق اسمه (لورنس)

فزال الخطر وبعد ذلك بربع ساعة انزلت الراية الجرمنية من القنصلية الالمانية ورفعت الراية الانكليزية البحرية مكانها . وفي ظهر ذلك اليوم وصلت الحملة البرية التي اجتازت الصحراء ماشياً ونزلت في سواد المدينة وكانت في تعب لعد سير شديد قطعت فيه ٣٠ ميلا في ليلة وضحاها . فوجد الاجانب سالمين لانهم حجزوا في منازلهم واقيم حراس عليهم .

اما البصرة فاشتهرت في المشرق منذ قرون . وفي عصر الخلفاء العباسيين ازدهت تجارتها ونمت حتى بلغت تجارة صادراتها ٣ ملايين وربع من الجنيهات سنة ١٩١٢ معظمها تمر أو شعيرا . وبلغت وارداتها مليونين و٣٥٦ الف جنيه فالاستيلاء على مدينة تبلغ تجارتها السنوية ٦ ملايين جنية ليس من الاعمال الصغرى .

وقد اصاب الالمان فيما وعدوا به انفسهم من مستقبل زاه زاهر للبصرة ولولم تكن غايتهم سياسية قبل كل شيء لما كانت بهم حاجة الى محاولة الخروج من البصرة الى خليج فارس اذ كان في وسعهم جعل البصرة مرفاء يضاهي همبرج عندهم .

ودخلت الحملة الانكليزية مدينة البصرة رسميا فى ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ فنزل الجنود في الثكنات وفي مبني الحكومة . ولما تم دخولها اصطف نصف الجنود على رصيف قناة (اشعر) حيث دعي اعيان المدينة فاستقبلهم الجنرال باريت والسر برسي كوكس . وبعد السلام قرئ على رؤوس القوم منشور بالعربية ذكرت فيه أسباب الاحتلال وما يجول في صدر الحكومة الانكليزية من المقاصد الودية . ثم رفعت الراية الانكليزية بحضور حرس من جنود البر والبحر فحيت الجنود التحية العسكرية وردت

ثلاثا للملك واطلقت السفن الحربية ٣٦ مدفعاً . فتقبل الاهلون ماطرأ من هذا الانقلاب العظيم بتمام الصبر والسكون . وعين الماجور براونلو حاكماً عسكريا ونزل في القنصلية الالمانية . واخذ قنصل المانيا وخمسة اسرى من الالمان الى بمباى وانشأت الحملة جريدة صغيرة بالانكليزية والعربية اسمها (تايمس البصرة) ليطلع على الحوادث فيها الجنود والجمهور .

وفى اوائل كانون الاول سنة ١٩١٤ اقيم معسكر لقسم من الحملة فى (مجايل) على بعد ٤ اميال من البصرة شمالا . وكانت (مجايل) هذه مخزنا لسكة حديد بغداد والبصرة فوجد الجنود فيها كثيراً من ادوات سكك الحديد ومهماتها وقربها تلتقي ترعة الفرات الجديدة بنهر دجلة .

محاربات القورنة واسارت القائد صبحي بك :

ووردت الانباء حينئذ بان العثمانيين احتشدوا فى القرنة الذي يزعم العرب انها جنة عدن ولكن السر ويليام ويلكوكس يقول ان موقع جنة عدن هو اعالي الفرات وشمال الغربي من بغداد . وعند القرنة يبلغ عرض دجلة نحو ٣٠٠ ميتر ثم يضيق شمالا . ولدجلة تعارج كثيرة بين القرنة وبغداد ويقال ان طوله بينهما ٢٩٠ ميلا . اما طريق الصحراء بين المكانين فطولها ٣٠٠ ميل فقط . ويكون ماء النهر على اوطأة من شهر كانون الثاني الى تشرين الثاني . ثم يعلو شيئاً فشيئاً ويكون على اعلاه فى مايس وحزيران وتستطيع البواخر الكبرى بلوغ القرنة ثم يتعذر عليها الجري شماليها حيث لاتصلح الملاحة الا للبواخر الصغرى .

وفى ٢ كانون الاول سنة ١٩١٤ استقر الرأي على ارسال جدتس الى

القرنة . فتحرك في اليوم التالي على باخرتين وكان مؤلفاً من فوجين مشاة (الواحد انكليزي والثاني هندي) يصحبه قسم من بطرية الميدان ونصف فصيل من حفرة الخنادق واللاغمين وكان قائد هذا الجيش الكولونيل فريزر . وكان في كل من الباخرتين مدفعان الميدان وكانتا محميتين باكياس من الحنطة والعلف . ورافقت الحملة الثلاثة زوارق (شبيكل ، اودن ، لورانس) تصحبهم زوورقان صغيران مسلحان محمول كل منهما (٥٤) طنا (مانير وشيطان) ولم يكن ذالك الجيش يتوقع مقاومة كبيرة من العثمانيين ولكنه اخطأ فيما توقع .

وفي اليوم التالي بلغ الجيش (المزيرعه) فخربها ثم سار نحو (القورنة) وظهر للانكليز ان موضع العثمانيين في (القورنة) امنع مما كانوا يتوقعون اذ كان الاتراك قد حفروا الخنادق حولها وثقبوا جدران المنازل ليتيسر اطلاق البنادق منها .

وفي ٦ كانون الاول ١٩١٤ وصل الجنرال فراى من البصرة بعدد كثير مؤلف من فوج هندي ونصف فوج انكليزي وبطرية جبلية ميدان . وكان العثمانيون في تلك الاثناء قد عادوا فعبروا النهر واحتلوا قريه المزيرعة وحاولوا الزحف على المعسكر الانكليزي فردوا عنه بقليل من القنابل الرشاشة . وفي ٧ منه استؤنف القتال بين الفريقين فكانت النتيجة ان الانكليز احتلوا المزيرعة وطردوا العثمانيين من خنادقهم ففر الناجون منهم وعبروا النهر .

واتضح للحملة الانكليزية ان السبيل الوحيد الى الاستيلاء على القرنة هو عبور دجلة من فوقها ففي ٨ كانون الاول ١٩١٤ زحف فوجان على محاذات النهر ومعهما مدفعان جبليان ثم عبر بعض اللاغمين النهر

سباحة ومعهم طرف سلسلة من الحديد فاوصلوها بالضفة المقابلة ونصبوا جسراً من الزوورق مر عليه الفوجان بلامقاومة ثم سارا جنوباً على الضفة اليمنى وهددوا موقع العثمانيين من خلف ومن الجناح واستحوذوا على مداخل القرنة . ولم يهاجموا البلدة تلك الليلة بل حفروا الخنادق في حراج النخل القريبة منهم .

وفي نصف الليل الثامن من الشهر راى الرقباء في السفن الحربية الراسية جنوبي القرنة باخرة صغيرة نازلة في النهر والانوار فيها شديدة التلألأ . وكانت تقل ثلاثة ضباط عثمانيين يحملون كتابا من صبحي بك والي البصرة سابقا وقائد القوة العثمانية في القرنة وقد عرض في كتابه تسليم البلدة بشرط ان يخرج جنوده منها بسلاحهم ولكن القائد الانكليزي اصر على التسلم بلاشرط فكان له ما اراد .

وعليه وقفت بقية القوة العثمانية امام خنادقها على ضفة النهر وسلمت سلاحها وكان ذلك نصف الليل من تاسع الشهر . وبعد ان سلمت الجنود سلاحها اصطف الفوجان حولها ثم نزل الجنرل فراى وقنصل انكلترا الجنرال وكبار ضباط البر والبحر الى الشاطئ فتقدم الضباط العثمانيون حينئذ وسلموا سيوفهم . فرد الجنرال فراى الى صبحي بك سيفه اعترافاً باستبسال دفاعه . وقد بلغ عدد اسرى العثمانيين ٤٢ ضابطا و (١٢٠٠) رجلا واخذت منهم تسع مدافع والمظنون ان خسارتهم في القرنة والمزيرعة وحولها بلغت الفا على التخمين . وقد اخذ الاسرى الى الهند . اما خسارة الانكليز في ٧ و ٨ منه فكانت ضابطا انكليزيا قتيلا و ٣ جرحى و ٤٠ جنديا من الهنود قتلى و ١٢٠ جرحى .

وباستيلاء الانكليز على القرنة امسوا محتكمين في بلاد الدلتا كلها واصبحت تقلبات الجيش البريطاني البحرية والنهرية في مأمن ولكنهم رأوا ان لاغنى لهم عن ابقاء جيش قوي في القرنة وآخر في المزيرعة . اذلك اقاموا لانفسهم المعسكرات في العراء وحفروا الخنادق. وفي هذه الايام نزلت قوة عثمانية عددها (٥٠٠٠) رجل على ترعة (روطة) على ٧ اميال من المزيرعة شمالا ومعها ٦ مدافع . فخرج الانكليز في ٢٠ كانون الاول ١٩١٤ مستطلعين تساعدهم ثلاث سفن حربية وضربوا معسكر الجنود وقواربهم بالقنابل فردت عليهم بالمثل

وفي اواخر كانون الاول ١٩١٤ ساح اللورد هاردنغ حاكم الهند في خليج فارس وزار البلاد التي فتحها الانكليز في العراق العربي وعرج قبل زيارتها على مسقط والبحرين والكويت والمحمرة وغيرها وبلغ البصرة في ٤ كانون الثاني ١٩١٥ واجاب على خطبة تليت امامه « ان الاحتلال الانكليزي اثار مسائل تقتضي حلا سريعا . وقد جئت الى هنا لارى الاحوال المحلية بعيني فيكون حكمي في التدابير اللازمة اصوب . ولا يخفى عليكم اننا لانقاتل وحدنا في هذه الحرب العظمى فلا نستطيع رسم خطط للمستقبل من غير ان نتبادل الاراء مع بقية الدول الكبرى ولكني اؤكد ان المستقبل يجلب لكم عهداً افضل من ذي قبل !! . . »

وبعد ذلك ركب اللورد وزار (الشعيبة) وعاد الى البصرة حيث صعد في النهر الى القرنة والمزيرعة .

وكان في ١٠ و ١٦ كانون الاول ١٩١٤ قد هاجمت القبائل مسقط فصدتها الجنود الانكليزية ولدس لهجومها هذا علاقة بالحرب بل هو نتيجة

ثورة محلية على سلطان عمان بدأت من نحو سنتين وزعا زادها شدة علم القبائل بان نصف العالم في حرب فلما مر اللورد هاردنج بمسقط في طريقه الى العراق كانت الثورة قد اخمدت والحالة ساكنة

فهكذا استولى الجيش الانكليزي على قاعدة العراق وبابه حيث قد قبض بيديه على البصرة والقرنة وذلك هو باب العراق الاقتصادي والسياسي والعسكري ولا شك ان من تكون القرنة بيده يكون قابضاً على سواحل شط العرب وحاكماً على الدجلة والفرات .

خطيئات تركيا الابتدائيه :

١ - علمنا مما تقدم ذكره بان بريطانيا العظمى قد اسست نفوذها وسيطرتها على سواحل خليج فارس منذ ثلاث قرون بينما كان ولاة الاتراك ووزراؤهم مشغولين في املاء جيوبهم غارقين في لجج النفاق والعداوة مع القبائل المحيطة بهم

ومن المعلوم ان كل دولة ذات سواحل بحريه ولم يكن لها اسطول عزيز يدافع عن سواحلها ويرد هجمات الاعداء عنها ، لاتكون سيدة او صاحبة على تلك السواحل قط كما ان القائد الشهير نابليون بونابارت فقد سيطرته على سواحل مصر في اليوم الذي احرق الاميرال (نلسون) الاسطول الفرنسي في (ابو قير) سنة ١٧٩٨ وكما ان تركيا فقدت سيطرتها على املاكها الواقعة على سواحل البحار منذ اغرق واحرق اسطولها في (ناوارين) سنه ١٨٢٧ . فلذلك لم تتمكن تركيا من الاحتفاظ بالسيادة على سواحل خليج فارس اذ لم تشيد هناك اسطولا قادراً على تأمين سيطرتها بل السيادة هناك كانت لانكلترا ليس الا .

هذا اول خطاء ارتكبته رجال تركيا حيث اعطت باهمالها هذا مجالا لبث الدسائس الاجنبية بين القبائل القاطنين على سواحل الخليج . واذا ضممنا على ذلك سوء ادارة الولاة الجهلاء الذين كانوا يأتون من الاستانة الى بغداد والبصرة وارتكاباتهم وسوء تصرفاتهم نرى ان الخطأ الثاني هو ارسال هؤلاء الولاة والحكام والمأمورين الذين لاهم لهم سوى تضييق الرؤساء وشيوخ القبائل باخذ الرشوة والهدايا البهايا منهم لاملاء الجيوب وتقديم البعض منها الى رجال الباب العالي ارضاء لهم ليتمكن المأمورون المذكورون من الاحتفاظ بمناصبهم في تلك الديار . فهذه سوء التصرفات هي التي كانت بمثابة السم القاتل لامانة شعور وروابط القبائل العربية نحو الدولة العثمانية وزادت العشائر نفورا من العرش والسلطان واخذت سكان الخليج تزدري بالدولة ورجالها فاستخفتهم واصبحت لاتحسب لهم الحساب .

ولسؤ ادارة تركيا ولارتكابات موظفيها رمت شيوخ الكويت والبحرين والمحمرة والحساء وغيرها من رؤساء القبائل انفسها باحضان الانكليز المسيطرين اذ ذاك على السواحل المذكورة والذين كانوا يترقبون الفرص ويتوسلون بانواع الوسائل لاستجلاب قلوب هؤلاء العشائر والقبائل نحوهم . فهكذا كان قد فلت الامر من يد الاتراك فاصبحت بلاد نجد والحسا وسواحل الخليج من البلاد غير المفتوحة لتركيا حتى ان البصرة اصبحت العوبة بيد السيد طالب النقيب الذى كان ينفذ مرامه ومطالبه اكثر من الولاة بعماله ورجاله ولم يقف الامر عند حده فحسب ، بل توسع وكلما ازدادت سوء تصرفات الاتراك ازدادت النفرة تدريجاً الى لواء المنتفك والعمارة والحلة والديوانية ولم يمضي على دور السلطان عبد الحميد عشرة

سنين الا واصبحت تلك الديار من الديار العاصية على الحكومة تمتنع عن اعطاء الضرائب وكم ساقت تركيا عليهم الجيوش وكم سفكت من الدماء وهكذا اهملت رجال تركيا خطورة استمالة زعماء الخليج الى الدولة فشتغلت بالارتكابات وسوء الاستعمالات وسببت صيرورة الديار العراقية الجنوبية كبقعة انكليزية .

فلما استعرت نار الحرب العظمى اتى الجيش البريطاني الى سواحل الخليج وهو يصول ويجول فيها كانه في ام بلاده هذا وزد على ذلك الدور المهم الذى لعبه الذهب الانكليزي في تلك الديار التعيسة الحظ ولعمري كيف يسهل على جيش اجنبي يردمن وراء البحار ان ينفذ داخل العراق بظرف بضع اسابيع لو ان تركيا كانت سيدة على سواحل خليج فارس قبيل الحرب.

فلذلك انى ارى ان تركيا قد فقدت العراق منذ قرن ونيف ولم تفقده بالامس . فلا تعجب ايها القارئ من انتصار الجيش البريطاني بسرعة كلمح البصر واحتلاله البصرة بمدة شهرين بل يجب عليك ان تأسف على دولة لم تدرك موقعها وموقفها السياسي في بلاد الرافدين الابعد خراب البصرة ؟؟.

٢ — ومع ذلك فانى اعتقد ان الخطاء الثالث الذى ارتكبته تركيا فى اسفل العراق هو انها لم تترك قوة عسكرية كافية للدفاع عن القطر عند اعلانها النفير العام بل انها استاقت معظم الفيلق الثالث عشر الذي كان في العراق الى جبهة القوقاس ولم تبق منه شيئاً سوى الفرقة ٣٨ التى كانت تحت قيادة المير الاي صبحي بك التعيس الحظ ، معلم تشكيلات الجيش في المدارس الحربية وقد تحشدت هذه الفرقة في البصرة وحواليها . ولم

يجد الزعيم صبحي بك نفسه الا امام جيش منظم يعد من انظم الجيوش الاوروبائية كامل العدة والعدد واما فرقته فلم تكن الا كقطيع غنم مجردة عن الضبط والربط ناقصة العدة والسلاح ولا سيما مدافعها الجبلية والميدان كانت من الطرز العتيق الذي لا يجدى نفعاً امام المدافع الحديثة فلم يكن نصيبها الا الفشل والانهزام كما صار ووقع فى حادثة (الفاو) و (سنية) و (البصرة) و (مزيرعة) و (القورنة) وغيره من ميادين القتال .

اما سبب تجريد العراق عن القوات العسكرية الكافية هو الخطة العسكرية (اى البلان) التى رسمها الالمان في المقر العام في الاستانة حيث انهم كانوا قد اقنعوا انور باشا بان النتيجة القطعية لهذه الحرب الطاحنة سوف تحصل في جبهات الغرب الحربية لا في العراق وانهم اذا استقوا الفيلق الثالث عشر من العراق الى جبهة القوقاس يتعزز الجيش القوقاسي التركي ويجلب عليه قوات عظيمة من الجيش الروسي وبذلك يكون قد خف عبأ الجبهة الشرقية . وكان الالمان قد اقنعوا انور باشا بانه لم يكن لانكلترا جيش عزيز يتمكن من الاستيلاء على العراق وان فرقه ال ٣٨ تكفى للدفاع عن سواحل خليج فارس لا سيما اذا تعززت بالعشائر والعربان فان هذا الاقناع والاعتقاد هو الذى استوجب اهمال جبهة الحرب العراقية بادئ بدء فصدرت الاوامر الى قائد العراق العام الفريق جاويد باشا بهذا الشأن ولكن اجاب المشار اليه انه لا يعتمد على القبائل والعشائر حتى ولا على فرقة ال ٣٨ التي كان معظم ضباطها وجنودها غير مدربين علاوة على نقص مدافعها وعدم كفائة الاسلحة فيها . هذا وقد طال امر المخابرات بين جاويد باشا والاستانة بلا نتيجة وذلك لجهل رجال

المقر العام احوال قبائل العراق وعشاير الخليج . اذ كان المقر العام التركي يعتقد ان شعور القبائل والشيوخ الدينية وروابط العشائر الروحانية بالدولة العثمانية واعلان السلطان وخليفة الاسلام الجهاد العام مما يكفي لتشريك هؤلاء العشائر والعربان بالحرب لتعزيز فرقة صبحي بك ولكن كان انور باشا ورجاله قد تناسوا او جهلوا ان هؤلاء الرؤساء والقبائل كلهم قد دخلوا تحت سيطرة الانكليز قبل ان يتكون بطل الحرية في رحم امه. وان الشيوخ والرؤساء المذكورة وان كانوا اظهرون لولاة تركيا وقوادهم انهم مستعدون لتضحية كل غال ورخيص في سبيل السلطنة العثمانية ولكنهم كانوا يقولون ذلك رياء ولم يفعلوا ما يقولون .

هذه هي الاسباب الابتدائية التي شتتت فرقة صبحي بك واسارتها في (القورنة) تلك الفرقة التي تمزقت ولم يسلم منها لا شرذمة الشاردين الذين الف منهم الاتراك بعد حادثة القورنة لواء تحت عنوان (عراق الابي) .

محاربات (الشعيبة) و (الدجلة) و (الاهواز) :

لا يخفى ان بقية السيوف من الاتراك كانت قد انسحبت — بعد واقعة القورنة — شمالا على ضفاف الدجلة فتعززت تدريجاً بجنود اخرى واخذت مواضع الحرب بجوار (عمران) وشمال القورنة .

وكان قد عزل القائد جاويد باشا من منصبه بعد سقوط (القورنة) وتعين عوضه العقيد سليمان عسكري بك وارسل هذا من الاستانة الى العراق مع عدة اشخاص من معيته ومن رجال العصابات على جناح السرعة فوصل بغداد في اواخر شهر كانون الاول ١٩١٤ وقد تمكن هذا القائد

من استحصال قوة عسكرية من الاستانة لتعزيز جبهة العراق الحربية حيث وصل بغداد بعض الافواج منهم الفوج المسمى (عثمانجق طابوري) وبعض القطعات .

ولما وصل سليمان عسكرى الى بغداد اخذ يخطب امام المأمورين والزائرين من الاهلين قائلا انه سوف يدحر الجيش البريطاني ويرميه فى البحر بمدة وجيزة فيستخلص القورنة والبصرة ويسترد سواحل الخليج من الانكليز ويقال ان قاضي البصرة الذي كان وكيلا للوالي فيها ورجع الى بغداد بعد سقوط البصرة قتل في مقر القائد سليمان عسكري بك فى فندق عبد الاحد في بغداد من قبل احد رجال عصابة القائد المومى اليه ووجد ورقة بقرب جنازته محرر فيها :(هذا جزاء من يسلم البلاد الى العدو) فكانه يراد بذلك ان القاضي هو الذي سبب تسليم البصرة الى الانكليز فهذه نبذة من المظالم التى ارتكبوها باسم التفادي في سبيل الوطن .

حشد سليمان عسكرى بك جيشاً فى الناصرية بقصد الزحف على (البصرة)والاستيلاء عليها ويزعم ان ضبط البصرة يكفي لتقهقر الجيش البريطاني من (القورنة) و (المزيرعة)وفى الحقيقة ان ذلك لصواب غير انه لم يحسن تطبيق هذه الخطة واخراجها من القوة الى الفعل كما سنرى من جريان الوقوعات .

وقد زاد سليمان عسكرى بك على خطته هذه ، خطة اخرى الا وهى المدافعة بجوار (المزبلة) و (عران) والالتفاف بقوة اخرى دفعها تحت قيادة المقدم توفيق بك مبعوث بغداد سابقاً ووزير الداخلية الحكومة

صفحة ١٠٢



سليمان عسكري بك

العراقية لاحقا [والذى اغتيل اخيراً] للزحف على (الاهواز) لاحاطة الجيش البريطاني الايمن واجباره الى التقهقر .

وكان المقــر العام التركي قد اصدر اوامره الى جميع الولاة في العراق بلزوم تشويق وترغيب عشائر الاكراد وقبائل العرب للجهاد وتشريكهم في المعارك . فلذلك كان قد تجمع فى الناصرية والشعيبة عشائر من العرب والاكراد ما يقارب (١٠٠٠٠) محارب معظمهم من المجاهــدين بدافع الوطنية والدين . غير ان ضباط الاتراك وقادتهم لم يحسنوا ادارة هؤلاء العشائر ولم يعتنوا بتأمين اعاشتهم واعاشة خيلهم بل اساؤا المعاملة معهم ويحتقرونهم ويزدروا برؤسائهم ومشايخهم فمن ذلك تزلزلت روابطهم وشعورهم الودية نحو الجيش التركي فاخذوا يتملصون فيرجعون الى اماكنهم واحداً تلو الآخر ولم يبق منهم بعد هزيمة الشعيبة الا القليل

وقد قال الجنرال (طاوزند) فى مذكراته بما يخص محاربات (الشعيبة) و (الدجلة ــ عمران) و (الاهواز) مايلي: وقد قام الجنرال دربي في ١ كانون الثاني ١٩١٥ بهجمة استكشاف في جهات (مسخريجة) شمال (عمران) ورجع الى القورنة . ثم جرى استكشاف تعرضي آخر في ٢٠ كانون الثاني ١٩١٥ من المزيرعة على ضفة دجلة اليمنى وقد خسر الترك حينئذ ما يربو على (٤٠٠) جندى منهم قائدهم الجديد سليمان عسكري الذى اصيب بشظية من مقذوفات مدفعيتنا فجرحته ولم يخسر البريطانيون خسارة تذكر . وقد اسفرت هــذه الاستطلاعات عن زيادة مساعى الترك وانشاءهم موقعاً هائــلا في (عمران) فانتقلت القابلية التعرضية منا الى الترك واتخذ البريطانيون خطة الدفاع . لذلك انشأت قوتنا معسكراً محصناً

في (المزيرعة) على ضفة النهر اليسرى وقبالة القورنة وكان هذا المعسكر ذو جبهة وعمق يكفيان فرقة واحدة ولكن لم تعسكر قط فيه قوة تزيد على لواء واحد .

«ولم ينو الترك التقدم على خط دجلة . وكان سليمان عسكري حينئذ قد شرع في حشد معظم قواته في الناصرية استعداداً للزحف على البصرة بطريق الصحراء . وكان ينوي مراقبة البريطانيين ومشاغلتهم على خط دجلة شمال القورنة بقوة صغرى متحصنة في نواحي (عمران) وفي ذلك الوقت نفسه يسوق رتلا معظمه مؤلف من رجال القبائل العربية بقيادة محمد فاضل باشا الداغستاني من العمارة (كان قائد جبهة الاهواز تبدل بالمشار اليه محمد فاضل باشا) بطريق (الاهواز) الى نهر قارون ويهدد (المحمرة) ويقطع نقلياتنا في شط العرب السفلى ».

« فاغرت خدعة العرب هذه الفريق (باريت) بتجريد مفرزة مختلطة من الجنود الهندية بقيادة الجنرال (ربنصن) للزحف بطريق (قارون) لملاقاة تلك القوة . فجرى بين مفرزتنا وبين تلك القوة وقعة في اوائل شباط ١٩١٥ فاضطرت قوتنا على التقهقر وخسرت مدفع صحراء . ولكن محمد باشا الداغستاني لم يغتنم فرصة تقهقرنا لمطاردتنا بل رجع الى (الاهواز) فوجد له مأمنا في ذلك الموقع المحصن . »

« وفي تلك الاثناء كانت قوة سليمان عسكري بك تتجمع في الناصرية لمهاجمة البصرة من الجبهة الشمالية الغربية بطريق البر . اما (السرار باريت) فأنشأ معسكراً محصناً في (الشعيبة) فاحتل اللواء ١٦ المواقع المحصنة . وبعد مدة قصيرة تعززت هذه القوة باللواء ١٨ الذي جلب من

جبهة الدجلة وباللواء ٣٠ المنسوب الى الفرقة ١٢ الذي وصل من مصر فارسل الى المعسكر المحصن تحت قيادة الفريق الثانى (ملس) حسب استلم في الشعيبة القيادة بصفته الضابط الاقدم واما اللواء ١٧ من الوية الفرقة ٦ فانه بقى فى جبهة الدجلة وسيق اللواء ١٢ من الفرقة ١٢ الجديدة الى (الاهواز) بطريق نهر قارون فهذا كان وضع قواتنا في شهر آذار وفى اوائل نيسان ١٩١٥ .

« وفى تلك الاثناء وصل الفريق السرجون نكسن لتسلم زمام قيادة الحملة العراقية باسرها وكانت هذه القوة قد بلغت حينئذ فرقتين فسميت فيلقا ولكن الفرقة ١٢ بقيادة الفريق (عورنج) لم تكن كاملة حيث كانت بلامدفعية . »

« ولما وصل الفريق نكسن استقال (باريت) نظراً الى اعتلال صحته فغادر البصرة قاصداً بلاد الهند فخلفه كاتب هذه السطور (اي الجنرال طاورند) في القيادة . وقبل وصولى العراق جرت (واقعة الشعيبة)في ١٢ نيسان عام ١٩١٥ فهجم سليمان عسكري على المعسكر البريطانى المحصن بقوة مؤلفة من نحو (٢٠٠٠٠) محارب من عرب واكراد معظمهم جنود غير نظامية ودرك معهم (١٥) او (٢٠) مدفعا وبعد معركة شديدة دامية وقعت فى (شعيبة) وغابة (البرجسية) تراجعت القوة التركية الى الناصرية حيث انتحر سليمان عسكري على اثر هذه المغلوبية فخسر الترك في هذه الوقعة ٣٠٠٠ جندى بين قتيل وجريح و ٨٠٠ اسير وكانت خسارة الجنود البريطانيه والهندية كذلك فادحة بلغت ١٠٠٠ مقاتل بين قتيل وجريح منهم ١٨ ضابطا قتيل واربعين ضابط جريح »

هذا ما قاله الجنرال طاوزند فى (واقعة الشعيبة) الذى ارتكب فيها القائد التركي سليمان عسكرى خطاء كبيراً بتعرضه على مواقع الانكليز المستحكمة بقوة معظمها غير نظامية وبمدافع قليلة من الطرز العتيق حيث هجمت قوات المومى اليه من دون ان يستحضر لها الهجوم بنار المدفعية وحسبما اعلم ان ضباط الالمان كانوا قد نصحوه وطلبوا اليه صرف النظر عن التعرض على موقع [الشعيبة] المستحكم غير ان عناده وغروره صده عن قبول ارشادات الالمان فاسفرت الواقعة عن انتحاره حيث لم يبق له وجه امام سيده انور باشا .

فاما جبهة الدجلة فان الجنرال [طاوزند] يقول فيها: « كان موقع (عمران) اهم خطوط مدافعة الترك المعزز بستة افواج و ١٠ مدافع تركية ونحو ٦٠٠ مجاهد بالمركب الحربي (مرمريس) ونحو من ١٣٠٠ عربي وكانت المواقع التركية فى ذلك الحين منيعة جدا بسبب فيضان النهر وظهر لي والحالة تلك ان كفة الميزانة راجحة فى جانب الترك واعتقد كل الاعتقاد انى لو كنت محل لقائد التركي لكسرت الجنود البريطانية شر كسرة وكبدتها خساره فادحة ولم تتم لنا الفوز فى تلك الوقعة الا لان القائد التركي الزعيم [حليم بك] كان جبانا لا يملك مثقال ذرة من الحزم فانه لما استولينا على مواضعه الامامية اركن الى الفرار بدلا من الثبات فى وجهنا .. »

سقوط العمارة والناصرية :

ولما انهزم حليم بك وفوته فى ١ حزيران ١٩١٥ تاركا مواضعه الحربية



﴿ محمد باشا الداغستاني ﴾

في (عمران) اراد الجنرال (طاوزند) مطاردته بالاسطول النهري حتى (العمارة) لكي لا يفسح له مجالا للم شعث فرقته فطارده ولما وصل الى (قلعة صالح) جلب (طاوزند) شيخها وامره باحضار ارزاق لعشرة آلاف جندي وكان يقصد بذلك ان يفهم الشيخ واتباعه ان الجيش البريطاني الجرار قريباً يصلهم ليشيع الخبر حتى يسمع الترك به فيهربوا وكان كلما تصل باخرة الجنرال (طاوزند) الى بلدة قريبة على الدجلة تعلق اهاليها الراية البيضاء رغماً عن عدم وجود قوة لدى الجنرال فواصل سيره على ظهر الباخرة (كوميت) حتى وصل العمارة يوم ٣ حزيران سنة ١٩١٥ بعد الظهر فاستقبله الزعيم حليم بك قائد القوة التركية في جبهة الدجلة وعاصم بك متصرف لواء العمارة واربع زعماء عسكريين مع ٤٠ ضابطاً وسلموا انفسهم الى الجنرال ثم سلموا فوج الاطفائية فاركبوا في دوبة حديدية والقوا في النهر تحت رحمة المدافع البريطانية وما اشنع ذلك التسليم لأن كان في امكانهم ان يأسروا الجنرال وحاشيته ويوصلوه الى قرب الكوت قبل ان تصل طلائع الجيش البريطاني الى العمارة.

فعلى أثر اندحار جبهة الدجلة التركية وهزيمة الشعيبة وسقوط العمارة انسحب الجيش التركي المرابط على الفرات الى (النـــاصرية) مخذولا وانسحبت فرقة محمد فاضل باشا الداغستاني من (ام الحليب) الى استقامة العمارة بتأثير مفرزة (غورنج) التي كانت تتحرك من (الاهواز) والظاهر ان قوة الداغستاني كانت تجهل امر احتلال الانكليز العمارة فعند تقربهم الى الساحل اطلق عليهم المركب المسمى (شيطان) النار فشعروا بذلك فهربوا شمالا.

وفي ٤ حزيران ١٩١٥ اخذ اهل العمارة ينهبون منازل الضباط الترك والمستشفيات والمستودعات وغيرها وكانوا ينقلون الاثاث والطنافس والاسرة والاحرامات من دور الحكومة والمستشفى فكان المشاهد يراهم يسرحون كالنمل على ضفة النهر وهم يجدون في عملهم ذلك . فقتضى الامر منع الفوضى على الفور فاطلقت الباخرة (كوميت) عليهم نار رشاشاتها فسقط بعض الاشخاص منهم فرموا المنهوبات التى كانت بايديهم وانهزموا لايلوون على شيء فساد السكون ووصلت طلائع الجيش البريطاني فتحشدت في (العمارة) وقد ظهر في المحاربات كلها ان العشائر لايتحاشون عن الهجوم على الطرف المغلوب فانهم كانوا يهجمون على الاتراك فيقتلونهم وينهبونهم حينما كانوا مغلوبين وانهم يفتكون بالانكليز فتكا لمايرونهم فى اندحار وتقهقر وهذا دأب العشائر والقبائل جميعا .

وكان قد تعين الزعيم نور الدين بك قائدا للجيش التركي في العراق فوصل بغداد من الاستانة في خلال شهر حزيران ١٩١٥ وكان من قواد الترك القديرين فاراد مشاغلة الانكليز بقواه القليلة بذلك الزمن ريثما تأتيه النجدات الموعود بها من الاناضول . ولكن لما احتل الانكليز (العمارة) اصبح من الضروري لهم ضبط (الناصرية) لانها كانت مركز لواء المنتفك وقبائله ولم يتمكن البريطانيون من السيطرة على عشائر ولاية البصرة ومن تأمين المواصلات ما بين الدجلة والفرات ما لم يحتلوا (الناصرية) فزحف الجنرال (نيكسون) بقواته التى تعززت اخيراً بقوة (غورنج) شمالا واحتل في ٦ تموز ١٩١٥ (سوق الشيوخ) ثم ضبط الناصرية فى ٢٤ تموز بعد محاربات عنيفة اسفرت عن ٥٠٠ مقتول



﴿ نور الدين باشا ﴾

و ١١٠٠ اسير تركي وبضعة مدافع . فنظراً لذلك كان قد خسر الترك في جبهتي الدجلة والفرات معظم مدافعهم وقوتهم وكانت قد بلغت خسارة فرقة حليم بك الى ١٧ مدفع و ١٧٧٣ اسير .

احتلال كوت الامارة :

وعلى اثر هذه النكبات حشد الزعيم نور الدين بك قطعاته في موضع حصين بمحل يدعي (السن) على ضفتي دجلة على مسافة ٨ اميال الى شرق (كوت الامارة) وكانت قد تراجعت القوة التركية [المنهزمة من (الناصرية) نحو (الحي) فالتحقت بقوة نور الدين المؤلفة اذ ذاك من الفرقة ٣٨ البالغ مقدارها الى ٣٠٠٠ محارب تقريبا ومن الفرقة ٣٧ (٤٠٠٠ محارب)ومن الفرقة ٣٥ التي تراجعت من الناصرية(٣٠٠٠ محارب تقريباً) وعدا ذلك كانت بعض القطعات العسكرية مجدة السير من الاناضول نحو العراق وكانت لجنة خصوصية تشتغل بتحكيم موضع (سلمان باك — طيسفون) .

وكان الجنرال(طاوزند) يعتقد ان قوته لاتكفي للاستيلاء على بغداد في الوقت الذي تواردت فيه الاخبار بقرب مواصلة الفرق الامدادية الى جيش نور الدين وجرت بينه وبين القيادة العليا الانكليزية مخابرات طويلة اسفرت عن وجوب طرد الجيش التركي المتحشد بقرب (الكوت) والزحف الى بغداد خلافاً لرأيه حيث قال المشار اليه :

« واعيد هنا رأيي الذي بسطته فيما مر وهو انه بعد استيلائنا على العمارة والناصرية كان الامر يقضي علينا بان نحصن موقعنا في ولاية البصرة

على الوجه الذي بسطته وذلك تتحصن القوة الصغرى تحصنا منيعا في العمارة والناصرية والاهواز وتتحصن القوة الكبرى في الموقع المركزى وهي البصرة مع توفير وسائل النقل الكافية لضماى القوتين الكبرى على جناح السرعة حينما تمسي تلك القوة الصغرى عرضة للخطر والواجب يقضي ان لا تتخذ خطة التعرض في العراق الا عند فوز الحلفاء في شبه جزيرة (غاليبولى) او في فرنسة وهي ساحة الحرب الكبرى »

وقد زحف الجنرال (طاوزند) بفرقته نحو (الكوت) وبدأ القتال بين الجيش الانكليزى وجيش نور الدين في صباح ٢٧ ايلول سنة ١٩١٥ في جبهة (السن) على الضفة اليمنى وفي جهة (السويجه) على الضفة اليسرى وفي نهر الدجلة بين الاسطولين التركي والبريطاني ودارت رحى الحرب حتى فجر اليوم التالي حيث فاز الجنرال طاوزند باجرآء حركة التفاف وضربه جناح نور الدين الايمن وبذلك هجر الترك مواضعهم وقت الفجر وانسحبوا شمالا نحو موضع (سلمان باك) تاركين ١٧ مدفعاً و ١٢٨٩ اسيراً و (١٧٠٠٠) قتيلا وجريحاً واما خسرات الانكليز فبلغت ١٢٢٩ رجلا بين قتيلا وجريح فاحتل الانكليز (كوت الامارة) فى ٢٩ ايلول سنة ١٩١٥ ثم اخذ الجنرال طاوزند يطارد الجيش التركي شمالا فاحتل (العزيزية) في ٥ تشرين الاول ولكن استفاد الاتراك من عدم مساعدة ماء الدجلة لمرور السفن البريطانية في تلك الايام فنظموا جمع قطعاتهم بانتظام واشغلوا مواضع (سلمان باك) المحصنة .

صفحة ١١١



الجنرال طاوزند

واقعة سلمان باك واندحار الانكليز:

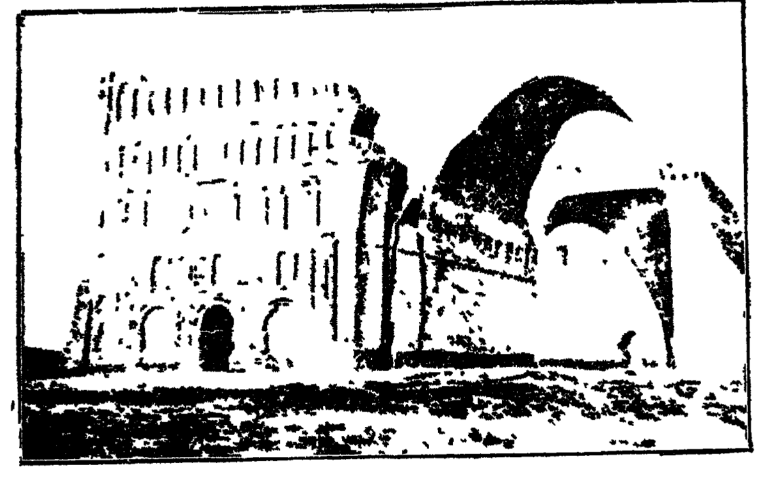
وكانت قوة الاتراك في مواضع (سلمان باك) قد بلغت في بادئ الامر الى (١٣٠٠٠) محارب و ٣٨ مدفع وذلك مع الفرقه (٤٥) التي انضمت الى نور الدين في سلمان باك فاصبح الجيش التركي مؤلفاً من الفرق ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٥ وهذا لم يكن يعادل فرقة الجنرال (طاوزند) اذ كانت تتألف فرقته من (١٥٠٠٠) محارب .

عزز نور الدين مواضع سلمان باك بالاسلاك الشائكة وعبئ جيشه في ذلك الموضع الحصين منتظراً القوة الامدادية الواردة من الاناضول ومتهيأ لقبول الحرب مع الجيش البريطاني هناك فاما الجنرال (نيكسن) القائد البريطاني العام كان يفكر بالهجوم على مواضع الترك في سلمان باك وتشتيت شمل جيش نور الدين قبل ان تصله القوة الامدادية من الاناضول فابرق في ٣ تشرين الاول سنة ١٩١٥ الى وزير المستعمرات انه سوف يحشد القوة اللازمة في (العزيزية) للزحف على (بغداد) فسئله وزير المستعمرات برقيا بتاريخ ٨ تشرين الاول عن مقدار القوة التي يحتاجها لضبط بغداد فاجابه (نيكسن) انه يعتمد على قوته الحالية ويتمكن بها من استيلاء على بغداد ولكنه مع ذلك يحتاج الى فرقة ولواء خيالة لتمزيق جيش نور الدين وضبط بغداد في آن واحد . وقد جرت مخابرات طويلة بين اللورد (هاردينغ) حاكم الهند العام واللجنة العسكرية ووزارة الحربية البريطانية وطالت المخابرات بينهم وبين الجنرال (نيكسن) والجنرال (طاوزند) حتى اسفرت عن قرار الزحف على (بغداد)فبلغوا

قرارهم واصدروا اوامرهم الى الجنرال (طاوزند) بلزوم الهجوم على جيش نور الدين وتمزيقه وضبط بغداد ولكن لم ترسل الفرقة واللواء الخيالة التي وعدوا ارسالها لتقوية فرقه (طاوزند) في الوقت اللازم .

فقر رأى الجنرال (طاوزند) بعد استحضارات استغرقت مدة ستة اسابيع على الزحف في ١٦ تشرين الثاني ولم يمضي يوم ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ الا واجتمع الجيش البريطاني امام مواضع (سلمان باك) في الضفة اليسرى وهجمت الوحدات الانكليزية على مركز الجيش التركي وعلى جناحه الايسر بقوة كلية واشغلت بعض الوحدات البريطانية الجناح الايمن التركي مشاغلة بسيطة وكان القصد احاطة الاتراك وقطع خط رجعتهم على نهر (ديالى) فكان الفوز للبريطانيين في بادئ الامر اذ ضبطوا الاستحكامات الامامية واغتنموا ٨ مدافع و ١٧٠٠ اسيراً ومزقوا فرقة ال ٤٥ ولكن لما وصلت الفرقة ٥١ تحت قيادة الزعيم خليل بك [عم انور باشا الذى ارتقى الى رتبة امير اللواء بعد ذلك وتعين قائدا للجيش التركي فى العراق فى الايام التالية] الى ميدان القتال تعزز بها الجيش التركي فاصبحت الكفة راجحة بجانب الاتراك فاسترد نور الدين ما اضاعه من الاستحكامات الامامية واوقع بالجيش البريطاني خسارات فادحة فاضطر الجنرال (طاوزند) على الانسحاب ليلة ٢٤ — ٢٥ تشرين الثانى سنة ١٩١٥ فى الوقت الذى كان فى نية الاتراك ان ينسحبوا الى مواضع (ديالى) نظرا لما جاء الى نور الدين فى كشف احد ضباط الخيالة الذي يخبر ان رتلا مهما يزحف باستقامة (النهروان) لاحاطة الجيش التركي وقطع خط رجعته من (ديالى) واخيرا ان ذلك الضابط كان قد اخطأ بكشفه هذا .

صفحة ١١٢



طاق كسرى

وقد طارد نور الدين جيش طاوريد اعتباراً من ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٥ فلحق بالجيش الانكليزي المتراجع في اول كانون الاول واحاطه في (ام الطبول) وكاد ان يأسره لولا معاونة معروه الجنرال (ميلس) وبداير (طاوريد) وقد اغرق الترك المركب الانكليزي المسمى (شطاان) في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٥ ومركب (كوميت) في اليوم التالي واغتنموا مركبا آخر

ولم يتمكن الجنرال (طاوريد) من الالتجاء الى (كوت الامارة) الا في ٣ كانون الثاني ١٩١٥ وذلك بعد خسارات فادحة وقد فكر الجنرال (طاوريد) بلزوم محافظة وتحصين (كوت الامارة) ووجوب التحصن والدفاع فيها الى ان تصل الامدادات المقرر ارسالها وقد احسن بعمله هذا واصاب اذ ان (الكوت) نقطة مهمة جدا من وجهة السوق الجيشية فان الجيش البريطاني اذا تحصن هناك يملك مقاليد (شط الحي) وولاية البصرة كلها ويتمكن من صد هجمات الترك نحو الجنوب فقد استخلص (طاوريد) بتحصنه في (كوت الاماره) شرف بريطانيا العظمى وجيشها الاحتلالي في الدور لعرقة .

ولم ينس الجنرال(طاوزيد) وجوب تطهير الحصن (اى كوت الامارة) من الافواه الآكلة الكثيرة ... وجميع المرضى والجرحى نهراً الى البصرة واستغنى عن لوآء خياله ... فأرسله من (كوت الامارة) في ٦ كانون الاول نحو الجنوب

وقد لحق الجيش التركي بالجيش البريطاني في ٦ كانون الاول وحاصر (الكوت) اعتبارا من ٧ كانون ... سنة ١٩١٥ وكان قد وصل

المشير فوندرغولج باشا الى بغداد فى اواخر شهر تشرين الثاني وتقلد قيادة الجيش السادس التركي فى العراق.

فأما الزعيم نور الدين قائد جبهة الدجلة فانه بعد اتمام احاطة (كوت الامارة) ومحاصرتها ارسل بعض القوة الى جنوب (الكوت) بقصد تعقيب القواة البريطانية المتراجعة وتأخير وصول القوى الامدادية لها وقد وقعت محاربات عنيفة في (شيخ سعد) خسر فيها الطرفان خسائر فادحة.

ولما تواردت القوى الامدادية البريطانية الى جنوب (شيخ سعد) قر رأي المارشال فوندرغولج باشا على سحب القوة الى جبهة (الفلاحية) وقبول الدفاع هناك والاكتفاء باحاطة (كوت الامارة).

فأما جبهة (الفلاحية) فهي تمتد بين الدجلة وبين (هور السويجة) فحفر الترك خنادقهم واستحكاماتهم فيها ومدوا اسلاكهم الشائكة من جهة واما من الجهة الاخرى فان قائد جبهة الدجلة (خليل باشا) الذي استخلف نور الدين بعد عزله قد امر بأجراء هجوم جبري على مواضع كوت الامارة الحصينة ولا سيما على حصن (قلعة الاخضيري) في خلال شهر كانون الاول ولكن ذهبت هجماته كلها ادراج الرياح واسفرت عن خسائر عظيمة فعلى ذلك اصر القائد العام فوندرغولج على وجوب الاكتفاء بمحاصرة الكوت فقط من دون تكرر الهجمات مرة اخرى على ان ينتظر سقوط (كوت الامارة) جوعاً. فقد خصص الاتراك قوة مؤلفة من ٣٠٠٠ جندي لمحاصرة (كوت الامارة) وقد وردت بهذه الايام قوى امدادية اخرى للاتراك فتألف الفيلق الثالث عشر تحت قيادة الجنرال

﴿ الجيوش التركية امام الكوت ﴾



علي احسان باشا من الفرقة الثانية والسادسة ولواء الخيالة المستقل وسيق الى ضفة الدجلة اليمنى عدا عن الفيلق الثامن عشر المؤلف من الفرقة ٤٥ و٥١ و٥٢ المرابطة في مواضع (الفلاحية) .

ولا يخفى ان الانكليز هاجموا الجيش التركي مرات عديدة فى خلال اربع الاشهر الاولى من عام ١٩١٦ لاستخلاص فرقة (طاوزند) من اسارة (الكوت) وكانوا قد جلبوا من جبهة فرنسة فرقتين وبعض الواحدات لذلك الغرض واستخدموهم فى الهجمات المبحوث عنها .

وكان الاتراك قد حصنوا ثلاث مواضع مستحكمة واحد وراء الآخر على ضفتي الدجلة وعززوها باسلاك شائكة . فلذلك لم يتمكن الجيش البريطاني السيار من طرد الاتراك الا من مواضعهم الاولى والثانية وذلك بعد محاربات عنيفة جرت في ٧ و٩ و١٤ كانون الثاني ١٩١٦ ولكن لما وصلت هجمات الانكليز الى الموضع الثالث قابلهم الاتراك بهجوم معاكس فردهم على اعقابهم بخسائر عظيمة .

وقد كرر الانكليز هجماتهم فى ٧ آذار سنة ١٩١٦ على مواضع (السن) التركية بقوى جديدة فردهم الترك على اعقابهم . وقد هجم الانكليز فى ٩ و٢٢ نيسان على جبهة الفلاحية ولم ينجحوا فاصبحت قضية استخلاص (طاوزند) وفرقته من الاسارة ضرباً من المحال . ولولا ان الجنرال (طاوزند) قد اشترك في الحرب اثناء هجمات الجيش الانكليزي السيار على ضفاف دجلة وتشبث بأجراء حركة (خروج) بكل شدة لتمكن من تبديل الوضعية الحرسة وقلبها ظهراً على بطن ولكن لاندري ماكانت الموانع الحقيقية التي حالت دون ذلك . فأن فرقة (طاوزند)

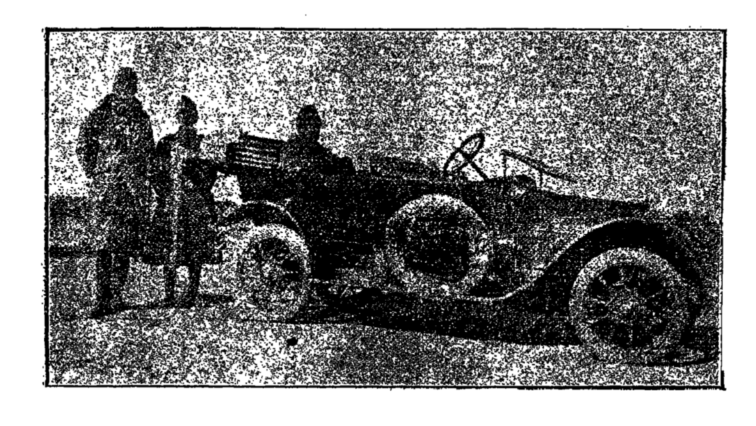
اصبحت منهوكة القوى بعد تلك المحاصرة الطويلة التي ادت الى الجوع في الواحدات البريطانية حيث اضطر الانكليز على ذبح الحيوانات واطعامها الى الجنود الى ان قطع (طاوزند) ءا‌له من القوى الامدادية الانكليزية فلم يتمكن على المقاومة اكثر من ذلك فاستسلم في ٢٩ نيسان ١٩١٦ هو وفرقته الى الجيش التركي بعد ان خرب اسلحته وعتادة . وكانت قد بلغت عدد الجنود الاسرى من الانكليز نحو (١٣٥٠٠) جندي ماعدا الضباط وسيقوا الى معقلهم في [اسكيشهر] من اعمال الاناضول .

توفي المارشال فوندرغولج باشا في ٦ نيسان ١٩١٦ في بغداد ولم ير في حياته اسارة (طاوزند) فخلفه الجنرال (خليل باشا) بالقيادة العامة على الجيش السادس التركي في العراق . ثم نقل الالمان جنازة (غولج) الى الاستانة حيث دفنت في (طرابية) باحترام فخمة في ٢٤ حزيران سنة ١٩١٦ . [١]

فأما خليل باشا فأنه اصبح لايوعي من شدة فرحه وسكره بظفر (كوت الامارة) ولم يفكر بلزوم الاستفادة من هذه الموفقية العظمى التي لم يأت حضه بمثلها اذ كان الواجب يقضي عليه ان يغتنم هذه الفرصة فيهجم على الجيش البريطاني المنكسرة قواه المعنوية وبطرده نحو سواحل خليج فارس . ولكنه لم يفكر بذلك بل واضب على سكره وسفاهاته .

وكان الجنرال [باراتوف] الروسي قد اجتاز بهذه الاثناء حدود العجم واحتل [خانقين] بقصد تهديد الجيش التركي من جهة [بغداد] فساق خليل باشا الفيلق ١٣ تحت قيادة احسان باشا لطرد المسقوف ولكن

[١] وتوفي الجنرال طاوزند في شهر اذار عام ١٩٢٤ في لندن .



فون درغولج باشا الالماني في التفتيش

صفحة ١١٦



الجنرال خليل باشا

قوة الروس التي وصلت الى [خانقين] لم تكن قوة جسيمة بل انها كانت فوجين او ثلاث من المشاة وخمسة كتائب خيـالة . ولم يكن من المعقول ارسال فيلق كامل لطرد قوة صغيرة كهذه . ورغماً عن عدم موافقة الالمان على ذلك سيق الفيلق ١٣ باسره الى [خانقين] وبعد محاربة عنيفة جرت فيها استرد على احسان البلد ودحر القوة الروسية في اوائل مايس سنة ١٩١٦ فطاردها تواً حتى احتل (كرمنشـاه) و (همدان) في خلال حزيران وتموز وهكذا احتل الترك مقاطعة واسعة من بلاد فارس .

وكان الواجب العسكري يقضي على (خليـــل باشا) ان يكتفي بطرد المسقوف الى وراء مضيق (بايتاق) فيترك قوة صغيرة للدفاع عن تلك الحدود هناك ويسحب فيلق علي احسان باشا الى (كوت الامارة) من دون ان يطمع بفتح بلاد متحايدة لمكن الدولة العثمانية ولكن اراد ان يفتخر بالفتوحات الايرانية التي لاتجديهم نفعاً من وجهة السوق الجيشية في الوقت الذي تقضي عليهم واجبهم العسكري بالدفاع عن الديار العراقية امام دولة معظمة كبريطانيا العظمى . هذا وقد وافق انور باشا بذاته حينما وصل بغداد في حزيران سنة ١٩١٦ على احتلال البلاد الفارسية ولم يبق لاحد ماسوى السكوت .

وقال اخي محمد امين في مذكراته . « كنت قد تعينت ضابط اركان حرب الماشية المنزل في الخمس السادس في بغداد في اوائل تموز عام ١٩١٦ وذلك بعد ان جرحت فوق ركبتي اليمنى في (واقعة كربلا) الاخيرة في ١٠ مايس سنة ١٩١٦ وصادف تعييني لهذه الوظيفة ايام احتلال (همدان) من قبل علي احسان ولم اباشر بالوظيفة في المقر اطلعت على برقيات عديدة

من القائد المشار اليه يشكو فيها من قلة العتاد والارزاق ويفهم منها انه يرغب في الدخول في بلاد فارس اكثر من هذا الحد لابتعاده وطول خطوط مواصلاته مع العراق ثم بعد بضعة اشهر تحركنا بسيارات خاصة انا ومفتش المنزل الزعيم نورى بك وخليل باشا وهيأت اركان حربه في شهر تشرين الثاني الى (همدان) لزيارة فيلق ال ١٣ . وكانت بلاد الفرس اذ ذاك قسما تحت احتلال المسقوف وقسما تحت اشغال الترك والقسم الجنوبي منها تحت احتلال الانكليز فكان المشير نظام السلطنة نائباً لملك العجم في المنطقة التى تحت اشغال الاتراك . ولما وصلنا الى (كرمنشاه) نزلنا ضيفاً على حاكم منطقة (كرمنشاه) فأدب لنا نظام السلطنة نائب ملك العجم مأدبة فاخرة حضرها احد امراء الافغان ، وعند الختام القيت الخطب الرنانة من قبل القائد العام خليل باشا ونظام السلطنة والامير الافغانى اعربوا فيها عن شعورهم نحو الامم الاسلامية ولاسيما ايران والدولة العثمانية وعن وجوب التساند والتعاضد حتى الفوز النهائي .

وبعد ان قضينا ثلاثة ايام فى (كرمنشاه) ذهبنا الى (همدان) جميعاً ونزلنا ضيفاً على قائد الفيلق علي احسان فى قصر بديع حيث ادب المشار اليه لنا مأدبة فاخرة حضرها نظام السلطنة وحاكم همدان والامير الافغاني والبعض من كبار ايران وهيأت اركان الحرب واعرب خليل باشا فى خطبته عن رأيه بوجوب الاكتفاء بالبلاد الفارسية المحتلة وابان انه قد اتى الى (همدان) ليرجو على احسان ان لايواصل هجماته نحو (طهران) وان يبقى فى مواضعه الحالية الى ان تنكشف الوضعية الحربية في جبهة رومانيا واضاف على ذلك اعتقاده بالنجاح التام والظفر النهائي لتركيا وحلفاؤها

الامر الذى سوف يفتح للاتراك طريق الافغان وبلاد توران .

«وعدنا في اليوم التالي الى كرمنشاه . وكانت قد وردت اخبار (ثورة الحلة) ضد الحكومة التركية برقياً الى خليل باشا فاصدر اوامره من هناك بتجريد حملة تحت قيادة الزعيم (عاكف) الالباني لتنكيل اهل البلد وشنق المتجاسرين فزحف عاكف بمفرزته ودمر الحلة وسبى اهلها وشنق كثير من الابرياء .

وكذلك ورد برقياً اقتراح والي بغداد ممدوح بك بلزوم جمع النقود الذهبية من اهالي العراق وتبديلها بالاوراق النقدية من قبل الحكومة على ان يبعد الى خارج العراق او يسجن كل من يخفي نقوده الذهبية فاصدر القائد المشار اليه حالا اوامره بذلك من دون تروي وبلا احجام. فقلت هذا منتهى الافلاس وسوء السلوك لحكومة تريد ان تجعل نفسها في مصاف الامم الغربية ولا حول ولا قوة . . .

«بعد ايام قضيناها في دار حاكم كرمانشاه بأنس وطرب عدنا الى بغداد في اواخر تشرين الثاني واذا بعدة كشوف تؤكد لنا ما اخبره طيارو الالمان في شهر ايلول سنة ١٩١٦ عن استحضارات الانكليز العظيمة واستعدادتهم للقيام بتعرض مهم ضد الجيش التركي في جبهة الفلاحية . ولكن قائدنا الهمام لم يزل في سكره وطربه ولم يفكر بزحف الانكليز حتى ولا يفتكر بلزوم تصليح طرق الرجعة لجيشه .

هذا وان الالمان كانوا قد الفتوا انظار المقر العام على قرب وقوع الخطر على بغداد من تعرض الجيش البريطاني نظراً لما كشفه الطيارون من ازدياد النقليات في السفن النهرية وكثرة العتاد التي ادخرها

الانكليز وكان قائد جبهة الفلاحية الزعيم كاظم قرة بكر [قائد فيلق الـ ١٨ الذى رفع اخيراً الى رتبة فريق] قد ابرق مراراً الى خليل باشا لاسيما في شهر كانون الاول عام ١٩١٦ ان الجيش الانكليزي يبلغ نحو ٤٠ الف محارب وان الفيلق الـ ١٨ التركي لا يزيد عن (١٠٠٠٠٠) محارب وان بقاء جبهة الفلاحية بهذه القوة مما يؤدى الى خطر عظيم وطلب تقوية جبهة الدجلة ولكن استخف خليل بهذا الطلب ولم يصغ ولما كثرت الشكايات تكلم انور باشا وهو فى الاستانة فى ٢٧ كانون الاول سنة ١٩١٦ على رأس ماكينة التلغراف مع خليل باشا واستوضح منه الحال والوضع فاجابه خليل ان اخبار زيادة قوة الجيش البريطاني لا اصل لها وان فيلق كاظم قره بكر يكون لصد هجمات الانكليز وانه له انه لم يرموا بالسحب فيلق على احسان من بلاد فارس وبذلك اصل خليل باشا المقر العام واغفله بجهله وغروره اذ انى اظن ان خليل باشا قد فشل وخجل عند شروع الجيش البريطانى بالتعرض فى ٩ كانون الثانى سنة ١٩١٧ — بعد تلك المكالمة التلغراف مع انور باسبوعين — وبدء الجنرال « مود » قائد الجيش البريطانى بالهجوم فى ٩ كانون الثانى سنة ١٩١٧ على مواضع الترك بقرب « ام محمد » بلاد فرق هندية فضبط خطوط الدفاع الامامية من الاتراك ودام الحرب حتى ١٢ كانون الثانى ورغما عن خطر الموقف ابرق خليل باشا الى مقر القائد العام فى برلين في ١٤ كانون الثانى انه مرتاح للوضعية الحربية في جبهة الدجلة جداً والحال كان خليل قد امر قائد الفيلق الـ ١٨ بلزوم الدفاع القطعي فى (ام محمد) مهما كلفه الامر فبالنتيجة كان قد اضطر القائد المذكور كاظم

قره كر على ادخاله افواجاً منفردة في الخنادق لصد هجمات الالوية المتعرضة البريطانية فلم يكن مصير الفوج الا الهلاك فيرسل ليلا الفوج الآخر عوض الاول وهكذا كان قد سبب خليل باشا محو الافواج التركية واحداً تلو الآخر بلا جدوى . ولقد دخل بعض الافواج فى الخنادق بموجود (٤٠٠) او (٥٠٠) جندي ويخرج منها بموجود (٤٠) او (٥٠) جندي ولا شك انه قد سفكت الدماء هناك بصورة غير معقولة والحق يقال دافع الترك فى تلك المواضع دفاع الابطال

وكانت قد وردت برقية من جمال باشا السفاح من دمشق الشام فى خلال محاربات (امام محمد) يسئل فيها من خليل وضعية الجبهة العراقية ؛ فاجابه هذا ان وضعية جبهة العراق الحربية اقوى وامتن من ذي قبل وانه مرتاح كل الارتياح من الدفاع الجاري فى مواضع (امام محمد) حتى انه قد اطلق عنوان (قرق غاربلر تبه سي) على التل الذي جرى عليه الدفاع هناك تذكارا لهلاك فوج لم يسلم منه سوى ٤٠ جنديا كنت ارى هذا الجواب وقلبي يتلهف على ذلك الحال واتأسف على تلك الاكاذيب .

ولم يمضي على ذلك بضعة ايام الاوسقطت مواضع (امام محمد) الاخيرة في ٩ شباط سنة ١٩١٧ وقد شرع الجنرال (مود) بتعرض شديد على ضفاف (نهر العراف) وامطر وابل قنابله على مواضع الترك فعبر النهر امام عينهم واضطرت القطعات التركية الى الانسحاب والعبور على ضفة دجلة اليسرى في ليلة ١٦ شباط فاصبحت الصفة اليمنى بقبضة الجيش البريطاني .

ليت شعري او كان خليل باشا قد جلب الصياق ١٣ من بلاد فارس

وادخله الحرب فى هذه الجبهة هل كانت العاقبة تكون كهذا الفشل والانهزام ؟.

تعرض الجيش البريطاني على جبهة الفلاحية في ذات الوقت وكرر الهجوم مع نار المدفعية الشديدة الذي دام اربعة ايام متمادية حتى انه تمكن من ضبط المواضع الامامية في ٢٢ شباط فاضطر الترك على الانسحاب الى مواضعهم الاخيرة .

وفي ٢٣ شباط اجتازت القطعات الانكليزية (نهر الغراف) وحفرت على ضفة الدجلة خنادقها وامطرت وابل قنابلها (٨٤ مدفع تقريباً) على ضفة دجلة اليسرى وجعلتها غير قابلة للحركة مدة عدة ساعات فبذلك تمكن الجيش البريطاني من نصب جسر زورقي (بونطون) على دجلة في دورة (شمران) فعبرت الوحدات الانكليزية تحت حماية نار المدافع الشديدة فى ٢٤ شباط ومزقوا الفرقة الـ ٥٢ التركية واسروا منها الاي الـ (٤٠) فاضطر الاتراك على الانسحاب الى (الطويل) ليلة ٢٥ شباط . وقد خسر الترك بهذه المحاربات خسارات فادحة اضطرتهم على الغاء الفرقة (٤٥) وتوزيع انقاضها الى الوحدات الباقية .

ولم يتأكد خليل باشا من حراجة الموقف الا بعد هذا الانهزام حيث قد ايقن ان بغداد اصبحت تحت خطر قابرق في ٢٥ شباط الى همدان طلب تحريك الفيلق الـ ١٣ نحو (خانقين) وتخلية بلاد فارس على عجل ولكن الفيلق المذكور لم يتمكن من الحركة من (همدان) الا في اول آذار عام ١٩١٧ وطبعاً لم يكن قد استفاد خليل باشا من هذا الفيلق لمنع الانكليز من احتلال بغداد اذ كان من المستحيل ان يصل

هذا الفيلق الى امداد بغداد قبل دخول الجيش الانكليزي فيها .

ولما عبر الجنرال (مود) نهر الدجلة اصبحت وضعية جبهة الفلاحية في خطر حيث قطع خط مواصلاتها وبادرت بعض الواحدات البريطانية تجري حركة الالتفاف على جناح الجبهة المذكورة اليسرى فاضطر الترك الى الانسحاب نحو (العزيزية) ليلة ٢٥ شباط وقد اسر الانكليز في اليوم عينه مراكب الترك المسماة (بصرة) و(سلمان باك) و(طوغان) وواصل الفيلق التركي انسحابه فوصل الى (سلمان باك) في ٢٨ شباط بعد خسارات عظيمة وحفر الخنادق للدفاع هناك وكان موجود الفيلق المذكور حينئذ (٦٢٠٠) بندقية و ٨٠ رشاشة و ٢٢ مدفع ميدان و ١٢ مدفع جبلي و ٢١ مدفع ابوس وهكذا اصبحت بغداد على وشك السقوط بيد الانكليز بفضل دراية القائد خليل باشا !!!

ولم تصغي ايادي خليل باشا بالتوقيع على اوامر تخلية بغداد الا في ٢٧ شباط ١٩١٧ اذ لم يتخذ سعادته التدابير اللازمة بوقته لاحضار المواضع المقتضية للدفاع عن عاصمة هارون الرشيد فاضطر الى توقيع امر التخلية بلا تردد ولا احجام .

احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني :

كتب اخي في مذكراته الخصوصية :

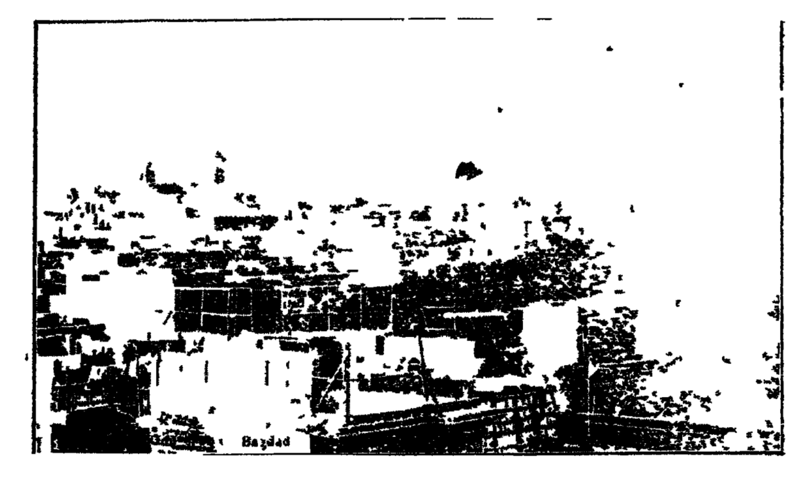
« دخلت في غرفتي صباح ٢٧ شباط سنة ١٩١٧ في مقر مفتشية المنزل واذا بالمرافق يبلغني ان المفتش قد استدعاني للمذاكرة فذهبت الى غرفته فالقى امامي امر قائد الجيش خليل باشا السري وكان فحواه » (١)

لزوم تخلية بغداد مستعجلا (٢) قطع نقليـات المنزل في نهـر الفرات والغاؤها (٣) تخريب جميع المراكب النقلية حالا . فقلت سمعاً وطاعة غير اني لااوى من الموافق تخريب المراكب النقلية تواً ، بل يجب الاستفادة منها في النقليات واستصحابها الى (سامراء) فشمال مهما امكن وعند عدم امكان سوقها الى الشمال حينئذ نخربها وزدت على ذلك لزوم المواضبة على نقليات الفرات النهرية الى (الرمادي) فقط في الحال الحاضر وعند سقوط (الرمادي) نجري السوقيات الى (هيت) وعند ضياع (هيت) حينئذ نجري النقليات الى (عانة) وعرضت لزوم تشكيل خط مواصلـة مابين (الرمادي) و (سـامرا) او مابين (هيت — تكريت) لنقل العتاد وافراد الاكمال الواردة من (جرابلس) نهراً الى جبهة الدجلة فاستصوب المفتـش تكليفا في هـذه وعرضناها على مقر الجيش فبادرنا بتنفيذها تدريجاً .

ولم يتمكن الفيلق الـ ١٨ من المقاومـة في مواضع (سلمان باك) فانسحب ليلة ٦ آذار الى موضع (دياله) وجرت عدة محاربات في هـذه المواضع في ٩ آذار اسفرت عن انسحاب الترك في اليوم التالي .

« شرعنا باعطاء الاوامر والتعليمات اللازمة لتخلية بغداد اعتبارا من يوم ٢٧ شباط وقد اكملنا عمليات التخلية الى يوم ١٠ آذار ولم نترك في بغداد شيئاً من الارزاق والمهمات والتجهيزات ماعدا ارزاق يوم واحـد للفيلق المتراجع وبعض المرضى التي لايجوز نقلهم وبعض المهمات التي نستفيد منها في الجيش . وقد شكلنا على صفتي دجلة عدة منازل لتأمين اعاشة لقوة التركية المتراجعة ولا تسأل عن المشغولية العظيمة التي كنا فيها خـلال العشرة

صفحة ١٢٥



منظر بغداد العمومي

ايام الاولى من شهر آذار ١٩١٧ .

« اراد الانكليز تخريب السكة الحديدية بين سامراء — بغداد وتدمير قاطرات النقل فأخبرنا بالتلفون مخفر المحطة بمرور طيارة من بغداد الى جبهـة (سامرا) فى ٨ آذار فاوعزنا الى محافر الخط بترصد الطيـارة المذكورة لئلا تفتك بالسكة الحديدية ولما نزلت الطيارة بقرب السكة مابين (سميكة) و (بغداد) لحقها خيالة الدرك فطارت ووجدوا انها قد وضعت ديناميت تحت السكة الحديدية لتدمير القاطرات عند مرورهم من على الخط . فرفعوا الديناميت وازالوا الخطر ولم يتمكن الانكليز من احداث اي تخريب فى السكة الحديدية

« نقلنا كل شيء الى (سامرا) نهراً بالمراكب وبراً بالسكة الحديدية وبقينا في بغداد بمقر مفتشية المنزل انا والمفتش وثلاث ضباط من المقر حتى مسـاء ١٠ آذار وجرت كل محاربات (ديالة) و (تل الاسود) و (ام الطبول) ونحن في بغداد تزورنا طيارات الانكليز كل يوم وترمي علينا القنابل ولم يصيبنا منها سـوى قنبلة واحـدة اطلقت بقرب دائرة البلدية على دار احد الاهلين فحرقته .

« توادعت مساء ١٠ آذار مع عمي كامل افندي واخبرته ان الجهة العسكرية سوف تنسف محل العتاد والباروت المسمى (الطلسم) بالديناميت ليلة ١٠—١١ آذار عند انسحاب مؤخرات الجيش من بغداد وعرضت له ذلك لكى لايخاف اهل البيت فيرتعدوا من صدى الاطلاق فاستودعته الله وذهبت الى المحطه وترى الناس فى ذلك اليوم سكارى وماهم بسكارى والشوارع قد اكتظت بالناس فيهم من هو ينقل اثاث اقاربه من الموطفين

الذين يتركون بغداد وفيهم من يشيع حبابه وفيهم المتفرج لفحص الحالة والطور وفيهم المحزون وفيهم المسرور لقرب الخلاص من سوء ادارة الاتراك واعمالهم .

« تركنا محطة بغداد فى منتصف ليلة ١٠–١١ آذار سنة ١٩١٧ فى آخر قطار وكان من المقرر انسحاب الفرقتي الـ ٥١ و٥٢ من الضفة اليمنى والفرقة ١٤ من الضفة اليسرى نحو (سامرا) وكان قد رجع غروب الفرات (اي قوة جبهة الفرات التركية) منذ ٢٧ شباط من جهة (السماوة) نحو الشمال فوصل الى (الفلوجة) في ١٥ آذار وفى محاربة ١٩ منه انسحب الى (الرمادي) . اما الفيلق الثالث عشر فكان قد وصل معظمه الى (خانقين) في ١٤ آذار وواصل سيره نحو(قزلرباط) تطارده فرقة خيالة من المسقوف مع بضعة افواج مشاة حيث اتصل هنا الجيش الروسي بالجيش البريطانى .

« سقطت بغداد فى فجر ١١ آذار عام ١٩١٧ بيد الجيش الانكليزي الذي كان تحت قيادة الجنرال (مود) وما اتعس تلك الليلة اذ هبت فيها اشد العواصف والرياح واستمرت هذه الزوبعة العظيمة الى اليوم الثاني وحتى الثالث بكل شدة كأن الطبيعة قد غضبت على الاتراك في تلك الايام المنحوسة فصبت على رؤوسهم وعيونهم وابل الرمل والرماد .

« ولم يطلع فجر اليوم الحادي عشر من شهر آذار الا وقد خرج آخر جندي تركي من جنبنات دار السلام فودعها الوداع الابدي فدخل الجيش البريطاني من الباب الشرقي الى بغداد واحتلت مفرزة اخرى بريطانية المحطة وقد استقبل البعض من الملل غير المسلمة الانكليز بكل حفاوة وترحاب وكان

بعض الاشرار قد نهبوا بعض الدكاكين من الاسواق ونقلوا بعض الأثاث الاميرية الى بيوتهم فاعلن القائد البريطاني لزوم ارجاعها وتسليمها الى حكومة الجيش الاحتلالي ووجوب التزام السكية واستتباب الامن وتوعد من يخالف ذلك بالعقاب الصارم فبادر الناس يرمون ماعندهم من المنهوبات والاثاث الاميرية في الازقة تخلصاً من المسؤولية والعقاب.

«اعلن القائد البريطاني وجوب تسليم الجنود الذين اختفوا في بغداد وهربوا من الجيش التركي ولزوم تسليم جميع الاثاث والاشياء العائدة الى الضباط الذين انسحبوا مع العدو فاخذ الانكليز من داري جميع ما تركته من الاثاث واعز ما كان عندي هي اربع صناديق من الكتب الثمينة»

ارسل الانكليز حكامهم السياسية الى أقضية بغداد والويتها تدريجاً بعد احتلالهم الزوراء ونشر الجنرال (مود) في ١٩ آذار المنشور الآتي:

« يا اهالي ولاية بغداد!

« انني باسم جلالة ملكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم عليها اوجه اليكم الخطاب الآتي: —

ان الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع فاتماماً لهذه المهمة وجهت الي السلطة العليا المطلقة على جميع الاطراف التي تتحارب فيها جنودنا. الا ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين او اعداء بل بمنزلة محررين فقد اخضع مواطنكم منذ ايام هلاكو لمظالم الغرباء فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم وانت اشخاصكم واسلافكم من جور الاسترقاق. لقد سيق ابناؤكم الى حروب لم تنشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في اصقاع شاسعة. تكلم الاتراك

منذ ايام مدحت باشا عن الاصلاح ومع ذلك افليس دثور اليوم وقعوره برهاناً لبطلان هذه المواعيد.

« انها ليست امنية جلالة ملكي المعظم فقط وامنية شعوبه ، بل انها ايضاً امنية الامم العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته ان تفلحوا كما في السابق وقد كانت اراضيكم مخصبة . وكان العالم يتغذى بالبان آداب اجدادكم وعلومهم وحرفهم وقت كانت بغداد احدى غرائب الدنيا .

« لقد ارتبط قومكم بايالات جلالة ملكي المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تعاطى تجار بغداد وتجار بريطانيا العظمى بعضها مع بعض مدة مئتي سنة متبادلين المنفعة والصداقة . اما الالمان والاتراك الذين نهبوكم انتم وذويكم فانهم اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركز قوة يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في بلاد ايران والاقطار العربيه . فعلى ذلك لم تتمالك الحكومة البريطانية من البقاء صارفة الصفح عما يحدث في وطنكم حاضرا او مستقبلا. اذ انه قياماً بواجب مصلحة الشعوب البريطانية وشعوب حلفائها لاتستطيع الحكومة البريطانية المجازفة في وقوع ماعمله الاتراك والجرمن ببغداد اثناء الحرب مرة ثانية

ولكنكم يا اهالي بغداد ، يامن حرفكم بالتجارة وتأمينكم من الظلم والغزو امر يستوجب ادق اهتمام الحكومة البريطانية بهابد الدهر لايجب عليكم ان تظنوا بان رغبة الحكومة البريطانية هي تكليفكم نظامات اجنبية . فامنية الحكومة البريطانية هي ان تحقق ماتطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة اخرى ولسوف يسعد اهالي بغداد حالهم ويتمتعون بالغنى المالي والمادي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة وأطماعهم



﴿ الفريق السر ستانلي مود ﴾

بالغنى المالي والمادي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة واطماعهم القومية الفكرية .

لقد طرد العرب في الحجاز الاتراك والجرمن الذين بغوا عليهم وقد نادوا بعظمة الشريف حسين ملكا عليهم وعظمته يحكم الاستقلال والحرية وهو متحالف مع الامم التي تحاوب دواتي تركيا وجرمانيا وهذا هو حقيقة حال اشراف العرب وامراء نجد والكويت وعسير.

كثيرون هم اشراف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على ايدي اولئك الحكام الغرباء الاتراك الذين ظلموهم . ان التصميم لهو تصميم بريطانيا العظمى وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على ان لا يذهب ماقاساه هؤلاء الاعراب الشرفاء هباء منثوراً . ان المأمول لهو مأمول بريطانية العظمى والامنية امنيتها بل هي مأمول الامم المتحالفة معها ان تسموا الامة العربية مرة اخرى عظمة وصيتاً وان تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام .

يا اهالي بغداد ! تذكروا انكم تألمتم مدة ٢٦ جيلا اذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائما ابداً الى الايقاع بين البيت ورب البيت كي يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا العظمى وحلفاءها اذ انه حث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح . فبناء عليه اني مأمور بدعوتكم بواسطة اشرافكم والمتقدمين فيكم سنا وممثليكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية لمعاضدة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين الجيش كي تنضموا مع ذوي قرباكم شمالا وشرقا وجنوبا وغربا في تحقيق اطماعكم القومية .

اختلاف اشكاله وانواعه وقد ظهر بين هؤلاء الموظفين من اختلس وملأ جيوبه بالرشوات وانواع الهدايا بوسيلة وضع يد الجهة العسكرية على جميع الذخائر والمواد الغذائية والمنسوعات القطنية والحريرية والوسائط النقلية والمواد الابتدائية للاهلين تحت عنوان (التكاليف الحربية) وفيهم من ارتشى بوسيلة معاملات التجنيد حيث يؤجل من يشاء بانواع الحيل والدسائس ويسوق من لم يكن لديه درهم ليرشيه الى ميدان القتال.

الصقت اللوحات المحرر فيها كلمات: « سفر برلك وار ! عسكر اولانلر سلاح باشنه ! » على الجدران يوم ٢ آب سنة ١٩١٤ في كل البلاد ففار التنور وقامت القيامة فاخذت الحكومة كل من يتمكن من حمل السلاح الذي له عشرون من العمر حتى ذوي الاربعون تدريجاً فتيتم الاطفال وايتم المخدرات فكنت ترى الناس سكارى وماهم بسكارى. اصبحت القرى والمدن خالية عن الرجال ولم يبق فيها سوى النساء والشباب. ولما كانت الحكومة التركية قد قبلت البدل النقدي عوض الخدمة العسكرية من صنوف الاحتياط ظهر فى البلاد عسر مالى لم يكن فى الحسبان فبلغت الفائدة (الفائض) ٦٠ في المائة لقاء رهن ذهب. ولم تصادف شاباً الا وقد اشترى حياته بالبدل النقدي اوهو من المأمورين الذين استثناهم قانون التجنيد من العسكرية اوهو من الذين قد ملأوا جيوب ضباط التجنيد اوالاطباء بالرشوات لقاء معاملة كاذبة مرتبة او لقاء كشف طبي.

علت اسعار الحاجيات والكماليات تدريجاً لاسيما بعد ان دخلت تركيا الحرب في ١٩ تشرين الاول ١٩١٤ بجانب المانيا فمنع الحلفاء عنها المراكب وسدوا في وجهها سبل التجارة ورغماً عن ضبط اموال وبيوت

التجار الاجنبية من قبل الحكومة التركية التي انتفعت بكثير من بضائعهم وباعت الباقي منها بالمزاد العلني. ثم اخذت الاسعار بالترقي يوما فيوما واعلنت الحكومة (الموراتور يوم) اي قانون تأجيل الديون فاصبحت البلاد العراقية في عسر مالي يزداد بالتدريج .

وقد كان لاصدار البنكنوط العثماني دور مهم في سوء الادارة في البلاد حيث انقلبت اسعاره بين صعود وهبوط كان يفيد الاهلين ويضر بمصالح الموظفين وبعضا يضر بالجميع لاسيما وان المعاملات الرسمية بين التجار والبنوك والحكومة كانت تجرى بسعر النوط الاسمي فيعتبر في الاخذ والعطاء واستيفاء الضرائب ليرة ذهب وكان القانون يقضي بالتعامل به اجباريا . وكانت الحكومة تحتاج الى نقود الذهب فتبدل عند التجار كميات من عملة الورق كل ليرة منها بليرة ذهب . وراقب الاتراك الصيارفة اشد المراقبة ونكلوا اشد التنكيل ببعض الذين تعاملوا بدراهم الورق باوطئ من سعرها الاسمي .

ولا تسئل عن سوء معاملات موظفي الشرطة والدرك العثماني ابان الحرب الكونية واختلاساتهم من القرويين الفقراء ومن كثير من الاهلين القاطنين في المدن فانهم يحلبون الناس حلب البقرة فلا يقضون مصلحة احد الا وارتشوا منه ما يمكنه .

فلهذه سوء الادارة والمعاملات المتنوعة هرب كثير من الاهليين الى الجبال والاقفار والتجأ نفر غير قليل الى القبائل والعشائر تخلصا من الخدمة في الجيش اذ رأوا بام عينيهم هلاك الجنود العراقية التي ذهبت الى جبهة القوقاس بين الصخور والثلج جوعا وبردا

ولما كثر عدد الهاربين من الخدمة العسكرية اصدر انور باشا اوامره لجميع موظفي التجنيد والمجالس العسكرية والولاة باعدام نصف الهاربين المقبوض عليهم وسوق النصف الاخر الى الجبهات الحربية تحت الحفظ فجعل موظفي التجنيد هذه الاوامر وسيلة لتزييد اختلاساتهم فشرعوا يأخذون الرشوة من نصف الهاربين المقبوض عليهم لقاء تخليص حياتهم من الشنق والاعدام .

واقد سمعت من رجل موثوق الكلم ان احد موظفي التجنيد قد بدل شخصاً هاربا من الخدمة العسكرية لشخص آخر غير هارب وسحب البريء الذمة الى المجزرة فاعدم رميا بالرصاص عوض الهارب وستغيث ولا من مغيث .

وكان ابان الحرب الكونية لا يدخل شرطي او دركي في قرية الاويفلي جيوبه من الدراهم والاثاث فيمحقها ويقلبها رأسا على عقب وكان يعلم الشرطي انه غير مسؤل عن سوء تصرفاته اذ انه يدرى ان آمره يختلس اكثر منه فلا يخف القانون ولا الشريعة .

وصلت سوء التصرفات والادارة الى منتهاها لا سيما عام ١٩١٨ الذى بلغ الجوع فيه الى ما فوق لتصور كما سنبحث عنه فى القريب .

ولا تسأل عن السوء الاستعمالات التي كانت تجري في الدوائر الملكية فيما هي العقبة الكؤد فى سبيل تمشية مصالح الناس وقد بلغت هذه الاختلاسات الى منتهاها لا سيما فى اواخر سنى الحرب العظمى .

وقد ، ترك كثير من الموظفين العسكريين والملكيين مع بعض ارباب الاحتكار و حتكروا انواع المواد الغذائية والمصنوعات وربحوا بها الارباح

الطائلة وقد اصبح الفقراء العوبة بيد هؤلاء الصناديد

الغلاء والجوع عام ١٩١٧ - ١٩١٨ :

كتب اخي محمد امين في مذكراته: « لما انسحبنا من بغداد ليلة ١٠-١١ آذار عام ١٩١٧ الى (سامرا) كنت حسب الوظيفة قد رفعت تقريرا الى مقر الجيش السادس قلت فيه : انه لم يبق للجيش اس الحركة ومنبع اعاشة — بعد ضياع بغداد — سوى ولاية الموصل. ولما كانت محصولات هذه الولاية لا تكفي لتأمين اعاشة الجيش والاهلي في ذات الوقت فقد اقتضي الامر بضم بعض الالوية من ولاية (ديار بكر) ولواء (اورفة) الى ولاية الموصل من وجهة الاعاشة فقط. ولما كان لا يوجد معمل للمهمات والتجهيزات في الموصل فعلى مقر الجيش ان يتأمل بوجوب جلب جميع المهمات والتجهيزات المقتضية للقطعات من الاستانة وان يجعل هذه النقطة المهمة امام عينه حين اصدار الاوامر الدفاعية او الهجوم ويجري اللازم لضم لواء (اورفة) الى ولاية الموصل من وجهة الاعاشة. لكن اجاب خليل باشا على هذا التقرير ان ولاية الموصل مستودع ذخائر العراق فلا حاجة الى اي تشبث كان ولما غادرنا (سامرا) ووصلنا الموصل في اواخر شهر آذار ١٩١٧ وجدنا الناس تتفاءل سرا من عدم جباية الزرع في تلك السنة.

«وكانت الحكومة التركية تعيش جيشها اذ ذاك من واردات الاعشار من الذخائر التي تجبيها من الزراع ومن انتهى موسم الحصاد لسنة ١٩١٧ نظمنا ميزانية تحتوي على واردات الحكومة من الاعشار وصرفيات الجيش لمدة سنة كاملة الى موسم الحصاد المقبل لعام ١٩١٨ فوجدنا الواردات

والارزاق . وبذلك نقص خليل باشا قوة جيشه واخذ الوضع التدافعي القطعي ضرورة اذ فقدت جميع الوحدات قابلية حركتها للتعرض ولاسيما كنا قد اضطررنا على تنقيص استحقاق الجنود بنسبة النصف حتى الربع في خلال الشهور الاربع الاولى من سنة ١٩١٨ وهكذا بدأ الغلاء والجوع العظيم عام ١٩١٧ واشتد حتى بلغ اشده عام ١٩١٨ بدرجة استوجبت كثرة هرب الجنود من خط الحرب ارهاطا ارهاطا وادت الى وقوع الخسارات العظيمة بالنفوس جوعا ومرضا وبذلك نزل موجود الجيش الى النصف واصبح كميت متحرك .

اما الاهلين في ولاية الموصل وملحقاتها فانهم رأوا من الغلاء مالم يروه في قحط سنة ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ ومن الجوع مالم يروه في غلاء عام ١٢٩٥ هـ (المسمى سنة الليرة) .

فكنت ترى الفقراء والمساكين يطوفون بالشوارع والازقة من الصبح حتى الغروب ويستغيثون مستصرخين : « خاطر الله جوعان ! » وفيهم من لم يتمكن من المشي للتسئل فينبطح على قارعة الطريق ويعلى الخافقين بانينه واستغاثته طالباً من المارين والعابرين امداده بلقمة خبز يسد رمقه ويستخلص بها حياته وقد مات الوف من المهاجرين الفقراء والاهلين الضعفاء جوعا في المساجد والخرابات اذ كان قد بلغ سعر الوزنة (١٣ كيلو ونصف كيلو) الحنطة ثلاث ليرات ذهب فكيف تتمكن الفقراء من شراء هذا القوت العزيز ؟ .

سرى الجوع على الحيوانات فقط من الدواب الوف على حساب بني الانسان حيث كنا نرى كثيراً من النساء والرجال الفقراء يتسابقون

بالتقاط جثث الدواب الفاطسة فبعد ان يطردوا عنها الكلاب الجائعة يقطعون اللحم منها ويملؤن حقائبهم ويعودون الى بيوتهم بكل فرح وسرور ليطبخوا ذلك فيسدوا به رمقهم تخلصاً من الموت .

اشتد الغلاء والجوع في اوائل سنة ١٩١٨ وبلغ الى درجة اضطر احد الاهلين الى سرقة اطفال الناس وخطفهم فذبحهم كما يذبح الانسان الغنم وطبخ من لحمهم القلية فاكلها هو وامرأته وبادر ببيع البعض منها في الاسواق حتى بلغ الخبر الحكومة فالتقطته دائرة الشرطة وتحرت داره فاخرجت رؤوس بضعة اطفال ذبحهم واعترف هذا الجاني بجنايته فشنق وامرأته وهو يعاتب الحكومة وجمهور المتفرجين بكل جلادة وقساوة قلب .

فتصور ايها القارئ ! المنزلة التي سقط بها ابن آدم من اوج البشرية والانسانية الى حضيض الوحشة والحيوانية .

تجرى كل هذه المصائب على الامة ولم تتخذ الحكومة التركية ورجالها التدابير اللازمة لسد رمق هؤلاء الفقراء شهداء الجوع و الغلاء ، بل كان قائد الجيش خليل پاشا يصم اذنه عن هذه الاخبار ويغمض عينه عن تلك الفجائع المدهشة .

وبعد ان وقع جيشه طريح الجوع وكثر هرب الجنود واصبحت جبهة الحرب في خطر عظيم اضطر حينذاك خليل باشا على مراجعة المقامات العالية فاستحصل امرا من المقر العام في الاستانة فى اواخر شهر آذار ١٩١٨ بجلب مقدار بضعة ملايين كيلو من الحنطة والشعير من (قونية) لسد رمق الجيش ولم يصل من هذه الذخائر شئ الى محطة (نصيبين) الا فى وسط نيسان ١٩١٨ حيث نقلت تدريجاً على ظهور الجمال من نصيبين

الى الموصــل فتمكن الجيش من ابلاغ استحقاق الجنود من الربع الى النصف ثم الى الثلثان حتى موسم الحصاد .

* اظن انه قد اتضح للقراء الكرام اسباب الغلاء والجوع العجيب عام ١٩١٧ — ١٩١٨ فان المسؤل من تلك المصائب والعجائب هو بالذات خليل باشا وهيئة الاركان حرب والولاة لبس الا .

وبهذه الوسيلة اريد أن لاانسى سوء معاملة بعض الاشراف وكبـار الزراع للفقراء اثناء ذلك الغلاء والجوع المدهش . فان البعض منهم كانوا اعضاء المجلس الذي يطرح ضرائب مبايعة الذخيرة على الاهالي . يطرحون على البقال والاصناف ضريبة الزراع الكبـار الذين كانت مستودعاتهم السرية ممتلئة بالذخائر فيضطر هذا المسكين على بيع قدره وذهب امرأته اومنامه ليشتري المقدار المكلف به من ذلك الفلاح المثري الذي طرح عليه تلك الضريبة الفادحة .

ولاتسئل عن سوء تصرفات الشرطيين والدرك حينما يرسلون الى قرية لاستحصال ضريبة المبايعة منها فانهم يحقون اهل القرية عن بكرة ابيهم فيدخــلون دار العجوز التي لاتملك سوى مايسد رمقها فيصادرونه منها عنوة فتشتريه المسكينة منهم لقاء نقود ذهبية مرة فثانية اوثالثة تخلصا من الموت جوعا . وقد اختلس كثير من هؤلاء الموظفين المبالغ الطائلة واصبح البعض منهم اصحاب املاك ونقود بعدما كانوا يحتاجون الى لقمة الخبز

وقصارى القول ان جوع سنة ١٩١٧ — ١٩١٨ كان من اعظم المصائب والخسارات على ولاية الموصل بدر وقوعه فى تاريخ البشرية والانسانية

واما الغلاء فى بغداد فانه بدأ بعد سقوط المدينة بيد الانكليز وذلك

لان الاتراك كانوا قد سحبوا الذخائر من بغداد ونقلوها الى مراكز الجيش ولما دخلها الجيش البريطاني الجرار طبعا ترفعت الاسعار الى درجة لم يسبق لها مثيل ولولا ان الانكليز قد جلبوا الذخائر من الهند لحدث في بغداد نفس الجوع الذي وقع في الموصل .

عقد الهدنة في (موندروس) :

لا يخفى ان الذي ادخل بلغاريا الى الحرب هو المسيو (رادوسلاروف) ولما سقطت وزارته خلفه المسيو (مالينوف) فاخذت بلغاريا تنحرف شيئاً فشيئاً بسياستها عن حلفاؤها وكان الترك والحلفاء يعرفون هذه الحقيقة غير انهم ارادوا التجاهل عنها فغلبت عليهم البروباغندات الانكليزية والفرنسوية فانتج الامر اختلالا في الجيش البلغاري ادى الى خروج بلغاريا وانفرادها عن حليفاتها بعقد الهدنة فعلى اثر الاختلال والانحلال الطارئ على الجيش البلغاري كان قد حصل خرق عظيم في جبهة البلقان التي هي من اهم الجبهات بالنسبة الى تركيا نظراً لبقاء طرق الاستانة تحت الخطر .

وكانت بلغاريا قد دخلت في المفاوضات مع دول الائتلاف في شهر تشرين الاول ١٩١٨ وقبل البلغار كل شرط وعقدوا الهدنة وما مضت ايام الا وسارعت النمسا والمانيا الى مراجعة رئيس الجمهورية الاميركية الدكتور ولسن طالبتين عقد صلح شريف بواسطته فاضطرت تركيا على التقرب من الصلح ولكنه كان من الضروري اسقاط وزارة طلعت باشا مباشرة قبل التشبث بعقد الهدنة فأسقطت وزارة طلعت وتألفت وزارة

تحت رئاسة المشير عزت باشا فبعث هذا الى الجنرال (طاوزند) الذي كان اذ ذاك اسيراً في الاستانة ورجا منه ان يغادر تركيا مع الوفد التركي الى ازمير ومن هناك الى (موندروس) ليتوسط لتركيا بعقد هدنة شريفة فغادرها المشار اليه فعقدت هدنة (موندروس) في ٣١ تشرين الاول عام ١٩١٨ وهذا ملخص نصها :

١ — فتح مداخل الدردنيل والبوسفور لدخول اسطول الحلفاء فى البحر الاسود ثم تشغل قوات الائتلاف استحكامات البوسفور والدردنيل

٢ — تعيين اماكن الطوربيدات والالغام وبقية الموانع الموجودة فى مياه تركيا واجراء المساعدة برفعها وتطهيرها .

٣ — يلزم اعطاء المعلومات اللازمة بخصوص الالغام الموجودة فى البحر الاسود .

٤ — جميع الاسري من عساكر الائتلاف الذين اخذوا اثناء الحرب وجميع الارمن الموقوفين يلزم جمعهم في الاستانة وتسليمهم لدول الائتلاف بلا قيد وشرط .

٥ — يجب ترخيص الجيش العثماني حالا ماعدا القطعات اللازمة لمحافظة الحدود وتأمين الانتظام الداخلي اما مقدار العسكر الذي يبقى ووضعيته السوق الجيشية فتعينها دول الائتلاف بعد المراجعة مع حكومة تركيا .

٦ — تسليم جميع المراكب التى هي فى مياه تركيا او في المياه التى اشغلتها تركيا وتوقيفها في الموانى (او فى غيرها) التى تعينها دول الائتلاف ماعدا المراكب الصغيرة اللازمة للبوليس او لاشغال مثل هذه فى مياه تركيا .

٧ — يحق لدول الائتلاف ان يشغلوا مواقع السوق الجيشية كلما اقتضى الحال وحدث مايخل في امنية دول الائتلاف .

٨ — لدول الائتلاف حرية التصرف في جميع الموانى التي تشغلها تركيا ومنع العدو من التصرف فيها ولها ايضاً حرية تطبيق هذه الشروط بخصوص المراكب التجارية في مياه تركيا لاجل التجارة وترخيص العساكر .

٩ — التسهيلات لاجل تعمير المراكب في جميع موانى تركيا ومعاملها

١٠ — تشغل دول الائتلاف التونيل فى جبل (طوروس)

١١ — اعطاء الاوامر بان تنسحب حالا من شمال شرقي العجم قطعات تركيا الموجودة وراء الحدود المعينة قبل الحرب وتبليغ عساكر تركيا الامر بتخلية قسم من قفقاسيا . اما باقي الاراضي التي هناك فستخلى لدى طلب دول الائتلاف وذلك بعد فحص الوضعية .

١٢ — توضع جميع مراكز البرقيات اللاسلكية والعادية تحت مراقبة دول الائتلاف ماعدا مواصلات حكومة تركيا .

١٣ — لايجوز تخريب شيء مما يختص بالبحرية والعسكرية والتجارية

١٤ — يلزم تسهيل الطرق لمشترى الفحم والمحروقات والزيت وغيرها من المواد التي تختص بالبحرية من منابع تركيا وذلك بعد سد أحتياجات المملكة ويمنع ايضاً اخراجات هذه المواد الى غيرها من البلاد .

١٥ — تعيين مأمورين لمراقبة جميع سكك الحديد وكذلك الى سكك الحديد في قفقاسيا الموجودة تحت مراقبة تركيا وتكون تحت تصرف حكومات الأئتلاف ومع هذا فيؤمن قضاء احتياجات الاهالي وهذه المادة تتضمن ايضاً اشغال باطوم من قبل الأئتلاف ولم يكن لتركيا حق الاعتراض على

اشغال (ما كو) .

١٦ — تسليم جميع المواقع العسكرية المحفوظه التي فيسوريا والحجاز والعسير واليمن وما بين النهرين الى اقرب قائد من دول الائتلاف وانسحاب القطعات التركية من ولاية اطنه ماعدا العساكر التي تلزم لتأمين الانتظام بحسب المادة الخامسة .

١٧ - تسليم جمع ضباط تركيا الذين فى طرابلس الغرب الى اقرب مركز ايتاليانى ويجب على تركيا ان تقطع الارزاق والمخابرات مع هؤلاء المأمورين اذا لم يذعنوا للتسليم.

١٨ - تسليم جميع الموانى المشغولة في بنغازي وفى طرابلس ومسراطة الى اقرب موقع او قائد جيش الائتلاف

١٩ - يجب اخراج الالمان والنمساويين العسكريين والبحريين والملكيين من تركيا وذلك في طرف شهر واحد والذين هم موجودون في نواحى بعيده يلزم ان يخرجوا في اسرع مدة ممكنة .

٢٠ — اجراء الاوامر التي تعطى بخصوص استعمال الاسلحة والمهمات والتجهيزات والوسائط النقلية العائدة للقسم الذى يترخص من الجيش العثمانى بموجب المادة الخامسة .

٢١ — لاجل محافظة حقوق دول الائتلاف يلزم ان يقيموا معتمداً من الائتلاف على نظارة الاعاشة في تركيا . ويعطى لهذا المعتمد كلما يقتضي لتأمين هذا المقصد .

٢٢ — اسرى الاتراك تبقى تحت امر دول الائتلاف وسيؤخذ بنظر الاعتبار اطلاق اسرى تركيا الملكيين والاسرى الذين هم خارج سن العسكرية

٢٣ – تتعهد تركيا بقطع جميع علاقاتها مع الدول المركزية .
٢٤ – اعتباراً من ظهر الخميس المصادف ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ تتوقف المخاصمات بين تركيا ودول الائتلاف .

احتلال الموصل من قبل الانكليز :

ولما عقدت الهدنة في ٣١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ كما ذكر آنفاً دخلت جيوش الحلفاء واسطولاتها في اول تشرين الثاني ١٩١٨ بحيرة مرمرة فالاستانة واي دخول . وقد استقبلتهم جميع الملل غير المسلمة في الاستانة استقبالا لم يسبق له مثيل حاملين الاعلام المتضاربة ولايمكنك أن تمر بشارع (بك اوغلى) ما لم تسمع صيحات (زيتو ") تتصاعد نحو السماك من بين رايات الاروام والارمن والفرنسويين والبريطانيين والايطاليين ولم يمكن المرور من هناك ما لم تكدم المروء عشرين مرة من قبل الجموع المتجمهرين ولا تسأل عن التجاوزات والتحقيرات التي وقعت على المسلمين اثناء هذه التجمهرات فكان ضباط الاتراك يخجلون من أن يرتدون الملابس العسكرية فترى الشرف العسكري قد سقط الى الدرك الاسفل من الذل والهوان ولم يبق لا للضباط ولا للامراء والجرالية وحتى لا للسلطان شيء من الحيثية فوقعت تركيا في هاوية الانقراض وكان القلب يتلهف حزنا وكدرا من هذه الحقارات وقد كتب اخي محمد امين الذي كان اذ ذاك في الاستانة في المقر العام في مذكرته فيما يتعلق بالموصل ما يلي :

« كانت ترد الى المقر العام يومياً برقيات من قائد العراق التركي على احسان باشا وكنت اطلع اذ ذاك عليها فاقف على الوضعية الحربية في بلادي .

« وكان على احسان باشاقد اخلى بلدة (الموصل) فسحب معظم الموظفين الملكيين والعسكريين والمستودعات وترندات المنازل وبعض القطعات العسكرية من الموصل الى (زاخو) و (نصيبين)وذلك بعد انكسار الجيش التركي في مواضع (الفتحة) و (البلاليج) و (الشرقاط) و (الجرناف) وكانت القطعات المحاربة الامامية للجيس التركي التى سلمت من الاسارة في تلك المعارك تحاول الدفاع عن الموصل بجوار(الكيارة) ليكسب القائدعلى احسان وقتاً لاكمال تخلية الموصل ولاخذ نتيجة مذاكرات الهدنة فى ذات الوقت . لان القائد المذكور كان يخابر ممثله في الاستانة برقيا بالارقام الرمزية في كل يوم وكان له العلم من ذهاب الجنرال (طاوزند) وممثلي الاتراك الى جزيرة (موندروس) لعقد الهدنة وكان يؤمل قوياً انشروط الهدنة سوف تبلغ له قبل وصول الجيش الانكليزى الى الموصل . فبينما كان الطرفان متأهبين للحرب والصلح في عين الوقت وبينما كان قسم من الجيش التركي متهيئ للانسحاب الى (نصيبين)و(زاخو) واذابنود الهدنة تبلغت ليلة ١ ـ ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ الى القائد التركي على احسان باشا فبادر هذا يأمر بعودة الموظفين الذين غادروا الموصل فرجعوا اليها ولكن وصل فى ٢ تشرين الثانى ١٩١٨ الى الموصل على ظهر سيارة خاصة الكولونيل ليجمان الانكليزى فتواجه مع على احسان باشا ودعاه للمواجهة مع القائد البريطاني في جوار (البوسيف)



﴿ علي احسان باشا ﴾

جنو في الموصل فذهبا ثم رجع على احسان وامر بركز الاعلام العثمانية على جميع الدور والمباني الرسمية ولما سمعوا الانكليز بذلك عاد ايجمن فى اليوم التالي يصحبه جندي انكليزي فصعد هـذا الجندي الى سطح دار الحكومة وانزل العلم التركي وبعد ان طواه ووضعه في جيبه ركز العلم البريطاني وانذر الكولونيل ليجمن على احسان باشا بالرحيل وفي ذات الوقت تلقي قائد الفرقة البريطانية الجنرال (كوب) امرا بالزحف الى الموصل فاحتلها وطلب من على احسـان مغادرة الموصل وافهمه بنود الهدنة التي كانت تقضي بتسليم كل المواقع الحربية في الحجاز والعسير واليمن وسوريا والعراق فابرق على احسان باشـا الى الاستـانة طالباً ماذا يراد بالعراق في مادة (١٦) من بنود الهدنة وعما اذا كان يقتضي اخلاء الموصل وتسليمها للانكليز حسب طلب الجنرال (كوب) وفى ذات الوقت اعطى ممثل الانكليز في الاستانة الاميرال غالتروب نوطة الى الباب العالي طلب فيها تخلية ولاية الموصل بدعوى ان الجنرال نورى باشا شقيق انور باشا الذي هرب من الاستانة يقود جيشاً في اذربايجـان وان سـلامة الحملة العراقية البريطانية في خطر من ذلك الجيش التركي فلابد من اشغـال ولاية الموصل لتكون اس الحركة للحملة البريطانية عندالحاجة صدجيش نوري باشا فاستنادا على البند السابع من بنود المعاهدة طلب ممثل انكلترا الاميرال (غالتروب) من الباب العالي اخلاء ولاية الموصل عاجلاوالا فتطرد الحملة الانكليزية جيش علي احسان باشاعنوة وتأسره فعلى ذلك وافق المقر العام التركي على اخلاء ولاية الموصل من الجنود التركية بشرط ان يشغلها انكلترا اشغالاعسكريا وقتياً وان تبقي الموظفون الملكية والانضباطية

فيها يؤدون واجباتهم كالسابق بأسم الحكومة العثمانية .

فاعطى الامر بذلك الى علي احسان باشا فانسحب الجيش التركي الى الشمال وابقى اليوزباشي الممتاز حسن بك الكركوكي ممثلا له في الموصل غير ان القائد علي احسان باشا لم يتمكن من مغادرة الموصل الا في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ على ظهر سيارة تحميها عدة مدرعات انكليزية نقلته الى (نصيبين) وذلك لسبب انقطاع الطرق وخطرها لتجاوزات العربان على الاتراك اثناء انسحابهم من الموصل وهكذا كانت قد احتلت انكلترا الموصل قلعة العراق ومستودع حبوبها ومفتاح الديار العراقية من الوجهة العسكرية .

فغادر علي احسان باشا الموصل وبقي نوري بك نائب والي الموصل والمأمورون الملكية يواظبون على الادارة الملكية غير ان الموما اليه نوري بك بلغ الكولونيل ليجمان انه لا يمكنه أن يبقى واليا والعلم البريطاني يرفرف فوق رأسه فغادر الموصل وتولى الكولونيل ليجمان زمام الامور الادارية والسياسية .

وهنا لا يمكننا ان ننسى ذكر بعض الشيء من اخلاق وميزات هذا الكولونيل القدير فانه ذاشهرة في العراق ولا سيما بين العشائر ويقال انه رافق الحملة العراقية البريطانية منذ مبداء الحرب حتى الهدنة بصفة مأمور سياسي ومدير استخبارات الجيش البريطاني . وكان يحسن اللغة العربية ويكتبها وواقف على احوال وطبائع العشائر والبلاد وانه جسور وعنود وعصى الميراح وكانت شهرته بين العشائر قد منحته لقب (خيال العليا انجيهان) وهذا يكفي لافهام درجة نفوذه وسلطته بين القبائل .

وقال اخي محمد امين :

« قبل ان اقدم استقالتي من الجيش التركي ابت الى الدائرة في المقر العام واذاً ببرقية سحبها على احسان باشا من نصيبين بعد مغادرته الموصل يذكر فيها ان الكولونيل ليجمن ذهب بالسيارة الى تلعفر وسنجار فختم مخازن الحبوبات ووضع اليد عليها وتواجه مع رؤساء سنجار ورجع الى الموصل وبلغ ممثل الجيش التركي حسن بك ان حكومة انكلترا لاتعترف بسيادة تركيا على الموصل وانذره بلزوم مغادرته البلدة . فهذه آخر برقية قرائتها في المقر العام التركي وبعد ذلك قدمت استقالتي فغادرت الاستانة قاصداً بلدي الموصل . فوصلت الى حلب في اوائل شهر كانون الاول ١٩١٨ ووجدت هناك قد تشكلت حكومة عربية فسررت بذلك وبعد ان تواجهت مع بعض الاحباء والزعماء ووقفت على الحالة هناك غادرت (حلب) وفي اواخر الشهر المذكور وصلت الموصل حاملا بعض النشرات والمعلومات عن القضية العربية .»

لا يخفى ما لموظفي الحكومة العثمانيــة من سوء السلوك والاستعمالات ابان الحرب العظمى فكان سكان العراق جميعاً مشمئزين من تلك المعاملات وكنت اذا اختليت باحد من الاهلين تجده يدعو ويتمنى من الله تعالى انتصار الانكليز على الاتراك واحتلالهم العراق كله لما داقوه من مرارة الحرب والادارة العرفية وتحكم الاتراك وسوء ادارتهم فكان خبر عقد الهدنة قد احدث سروراً عظيماً في الموصل خاصة وفي العراق عامة لانتهاء المصائب والويلات وكانوا يؤملون كل الخير والسعادة من احتلال الانكليز بلدة الموصل والعراق.

ومع ذلك كان الموصليون قد ابرزوا شيئاً من الرزانة في اثناء تخلية الموصل من قبل الاتراك قبل ورود امر الهدنة . اذ انه كان قد اجتمع لفيف من وجوه البلدة وراجعوا نائب الوالي نوري بك وافهموه انهم مستعدون لتشكيل جماعة حرس لتوطيد الأمن داخل البلدة ليلة انسحاب القائد علي احسان باشا وما بقي من عساكره من الموصل خوفا من وقوع بعض تجاوزات وشقاوات فاذن لهم الوالي بذلك فاجتمعوا في دائرة البلدية وشكلوا تشكيلات الحرس الوقتية باخراج بضعة حراس من كل محلة . وبينما كان الحراس المذكورون يدورون ليلة ١ — ٢ تشرين الثاني في الازقه فاذاً شاع ورود امر الهدنة ففرحوا جميعاً من ذلك الخبر فلاجل اعلان سرورهم اطلق البعض منهم طلقات نارية فغضب من ذلك قائد المركز البكباشي صالح بك فالقى القبض على بعض من الحراس وزجهم بالسجن واراد علي احسان شنقهم فعلى اثر ذلك ذهب لفيف من اشراف البلد الى نائب الوالي نوري بك وبينوا استياءهم من هذا العمل وافادوا انهم لم يخرجوا الحراس المذكورين الا بعلم الوالي ولكن كان الاتراك قد اولوا تلك الطلقات النارية باختلال ضد الحكومة العثمانية وحملوها على سوء نية ولكن لما افهم الاشراف ولاة الامور اطلق سراح المسجونين .

ثم في اليوم التالي وقع ما وقع من ملاقاة الكولونيل ليجمن مع علي احسان باشا وذهابهما الى مقر الجيش الانكليزي بجوار قرية (البوسيف) كما ذكرنا آنفاً .

وفي ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ بلغ نائب والي الموصل نوري بك البلاغ الآتي الى جميع الموظفين العثمانيين ندرجه بحروفه :

«بالعموم دوائر ومحاكم وشعبات ملكية عثمانيه قوانين واصول موضوعه عثمانيه يه توفيقاً وظيفة لريني كما في السابق دولت عثمانيه نامنه ايفايه دوام ايده جكلردر انكليز عراق اردوسي باش قوماندانى جنرال مارشال حضرتلرينك التنجى اردوى عثماني قوماندانلغنه يازمش اولدقلرى ٧ تشرين ثاني ٣٣٤ تاريخلي مكتوبك خصوصات مسروده‌يى مصدق بولنان ومذكور السحى اردو قوماندانلغي وكالتنك ١١ تشرين ثاني ٣٣٤ (رومي) تاريخ و (٢٠٤٩٤) نومرولو تذكره‌ريله تبليغ قلنان نشنجى ماده‌سني ايكى كيمه اراسنه درج ايدييورم : «موصل شهرنده وموصل ولا يتنده بولنان تورك ادارهٔ ملكيه‌سي حال حاضريله قاله‌جقدر .بوليس وژاندارمه لر وظيفه لرنده قاله‌جق وترك ادارهٔ ملكيه ومأمورينى انضباط وقانونك ادامه سيجون امر اخيره قدر بومقصدله باش قوماندان طرفندن تعيين ولونه‌جق مأمور سياسي يه قارشو مسئول بولنه‌جقدر مملكتلرينه عودت ايتمك ايسته‌ين سيويل اهالي انكليز مأموريى طرفندن كونديريله‌جكدر» ادارهٔ ملكيهٔ عثمانيه مأمورلرينك انكليز مأمور سياسيسنه قارشي مسئول بولونمسي قضيه سنه دولتين بيننده مسئله يه برنتيجهٔ حل ويريلنجه‌يه قدر پروتستومزك حكمي بالطبع ينه باقي قالمق شرطيله مراعات ايدلمك ضروريدر والي وكالتي موصل قاضيسي قصيلتلو شاكر افندى حضرتلرينك عهده سنه تفويض ايدلمش وكيفيت قائمقام ليجمن جنابلرينه‌ده تبليغ قلمشندر .

والي وكيلي

١٣ تشرين ثاني ٣٣٤ « نوري »

تعريبه :

« تؤدى جميع الدوائر والمحاكم الملكية العثمانية وعموم شعبات الادارة الملكية التركية واجباتها كما فى السابق باسم الدولة العثمانية . وهب أن أدرج للعموم بين معترضتين البند الخامس من خطاب قائد الجيش البريطاني العام في العراق فخامة الجنرال مارشال الى قيادة الجيش السادس العثماني المؤرخ في ٧ تشرين الثانى سنة ١٩١٨ والمبلغ لنا من قيادة الجيش السادس بتاريخ ١١ تشرين الثانى سنة ٣٣٤ (روميه) وبرقم (٢٠٤٩٤) : [ان الادارة الملكية التركية الموجودة في نفس الموصل وفي ولاية الموصل يجب ان تبقى على حالها الحاضر . فبناء على ذلك تبقى الشرطة والدرك في الموصل ويكونوا هم والموظفون الملكيون العثمانيون مسؤلون امام الحاكم السياسي الذى سيعينه القائد العام البريطاني في الموصل لتأمين الضبط وتطبيق احكام القوانين حتى ورود اشعاراً اخراً بهذا الخصوص . واما الاهلين الذين يرومون العودة الى بلادهم فانهم يسفرون من قبل الموظفين البريطانيين . واما مسؤولية الموظفين الملكيين العثمانيين امام الحاكم السياسي البريطاني فان قبول ذلك امر ضروري الى ان تنتج القضية بين الدولتين على ان تكون احكام احتجاجنا على اشغال الموصل باقية طبعاً. ولقد فوضنا امر ولاية الموصل الى صاحب الفضيلة شاكر افندي قاضي الموصل وكالة وبلغنا الكيفية الى جناب الكولونيل ليجمن »

١٣ تشرين الثانى ١٩١٨ — نوري

نائب والي الموصل

وبعد ان غادرعلي احسان باشا ونائب الوالي الموصل تولى الكولونيل ليجمن الحكم وبلغ الجنرال (فنشو) قائد جيش الانكليز في جبهة الموصل جميع المأمورين الملكية العثمانية لزوم المواظبة على ادارة شؤون البلدة كالسابق حتى ورود امراً آخراً بهذا الخصوص .

وكان قد عين الجنرال (فالشو) يوم الاثنين المصادف ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ الساعة خامسة لمواجهة اشراف ووجوه الموصل له وللحاكم السياسي الكولونيل ليجمن فتوارد الاشراف يصحبهم عبد الغني افندي النقيب وغبطة البطريرك مع وجوه المسيحيين وعا ان القوم كانوا مؤملين الخير من احتلال الانكليز لبلدة الموصل فاه سيادة النقيب بالخطاب الآتي :

« اولا نحمد الله الذي اخرجنا من الظلمات الى النور واطلق السنتنا بعد ان كانت صامتة وبدل خوفنا امنا وجعل العسر يسرا . ثم بكمال الاحترام نعرض لفخامتكم واجبات التهنئة بقدومكم الموجب للسرور وقدوم جنود دولة بريطانيا العظمى التي ابتهجت لها الصدور ثم نهنئ انفسنا بوجودكم ونحن مطمئنون بانكم تعلمون ان قلوبنا لكم مستبشرة ولانظن احداً لم يدخل قلبه السرور بوجودكم الا ان يكون خائنا حيل بدنه وبين خيانته اوشقيا سدت عليه طرق شقاوته وغير خاف على حضرتكم ان الايام الماضية في تلك الحرب التي لم يسبق لها في العالم مثال اذهبت قسما عظيما في بلدتنا هذه من النفوس والاموال وما بقي منا الا كمريض اشفى على الممات ويئس من الحياة وان قدومكم هذا كقدوم طبيب عالم بالداء بصير بالدواء ونرجوا ان يكون له على يدكم الشفاء »

ولاشك في ان سيادة عبد الغني افندي كان يؤمل من الانكليز خيراً

فقام بذلك الخطاب عن حسن نبة وها هو الآن عضواً في المجلس التأسيسي يدافع عن حقوق بلا ده دفاع الاسود .

ثم قام غبطة عمانوئيل بطريرك الكلدان فخطب قائلا:

« سادتي الاعزاء! ان التاريخ يعلمنا والاختبار يؤكد لنا ان علم بريطانيا العظمى اينما ذهب وحيثما رفع ينشر العدل والتمدن والرفاهية وهذا الامر معروف عند كل احد ولاحاجة الى اطالة الشرح بهذا الخصوص . وبما ان هذا العلم الذي يرفرف فوق ماينوف على اربعماية مليون من البشر يخفق اليوم فوق مدينتنا فبالطبع كل واحد منا يرجو منه اجراء العدالة وادخال التمدن والحصول على الرفاهية كي يعيش الغني بالهناء والفقير بالهدو والسلام شاكراً الله على رزقه وبما اننا متأكدون بالحصول عن قريب على هذا الامر فلم يبق علينا سوى ان نقدم تشكراتنا القلبية لممثل دولة بريطانيا العظمى طالبين من الباري عز وجل ان يكلل مساعيه بالتوفيق والنجاح التام الامر الذي نطلبه بشفاعة الانبياء والاولياء برحمتك ياارحم الراحمين .»

وبعده قرئت تبليغات القائد البريطاني على مسمع الجميع وهذا نصها :

« الى وجوه واشراف ولاية الموصل! اليوم اثبت لاراكم انتم وجوه واشراف ولاية الموصل تحت محافظة انكلترا العظيمة الشأن . الآن قد بطلت المحاربة . وتعرفون حق المعرفة ان حكومة انكلترا لم تكن هي اساس هذه الحرب الطاحنة . لاننا لم نقصد محاربة احد حتى ولا مع تركيا التي كنا مرتبطين معها برباطات الصداقة والمحبة ونروم الآن اعادة تلك العلاقات والصداقة التي كانت قديما قبل استعارة نيران هذه الحرب .وبعد اربع سنوات ونصف عقد الصلح وان شاء الله سيتم بيننا دائما . واليوم

لم يبق في ميدان الحرب الا الالمان وحدهم وهم كانوا اساس هذه الحرب المفجعة . اما البلغار والنمسا فيطلبون الصلح وفي المانيا توجد حركات داخلية وقد ارسلت حكومة المانيا مبعوثين الى الجنرال (فوش) قائد جيش الائتلاف في الغرب لاجل طلب المتاركة هذا مايختص بالحرب . والآن اريد ان اكلمكم بما هو عائد الى ولاية الموصل واطرافها ولهذا وكيلي هو الكولونيل لبجمن الحاكم السياسي يتولى امور الولاية ومن يخالف اوامره ينفى الى الهند .

« اولا . مقصدي ان اباشر بتنظيف ولاية الموصل واطرافها لان الموصل هي اوسخ بلدة رأتها عيني ويلزم ان تفكروا بمنصفة صحة الاهالي .

« ثانيا . الى الآن قيمة الاسعار على هواكم . وفكري ان اعدل وانظم هذا حالا وبعد الفحص والتدقيق اسعر القيم والاثمار بموجب ماتستحق وليكن معلوما لديكم ان التسعير يبقى كما يصير دون تغيير واذا لم نجد عملة للشغل بقيمة مناسبة الزم بجلب العملة جبرا للشغل وكل من رام يجلب منافع زائدة لنفسه من الحكومة او من الاهالي نرتب عليه جزاء صارما قانونيا.

« ثالثاً . حدث في هذه الايام في اطراف الموصل تعديات عديدة لم نسمع مثلها وهي المنهوبات التي صارت في هذه الايام . وحكومة انكلترا الان تجري حكمها على ولاية الموصل ومقصدي ان اضع جزاء جسيما على الذين يرتكبون مثل هذه السيئات وعلى الذين يفتحون مثل هذه الطريق ويكونون واسطة لارتكاب الجرائم والمنكرات .

« رابعا . حكومة انكلترا لاتقبل تفريقا في الدين وليس عندها محاباة بين الكبير و الصغير وان شاء الله جميعكم تبذلون السعي والجد معي

لتستتب الراحة والامن فى ولاية الموصل . »

هــذا ماجرى في الموصل بعد عقد هدنة موندروس . واما فى بغداد فكان قد تلى على اهالي العراق جناب الفريق الاول السروليم رين مارشال قائد العام لجيش الاحتلال في العراق المنشور الآتي ذكره وذلك بمناسبة عقد الهدنة وهذا نص المنشور الذي نشره في الجرائد وقتئذ :

« حينما دخل بغداد المرحوم السرستانلي مود برأس جنوده المنصورة قبل ثمانية عشر شهراً كان اول عمل قام به هو أصدار منشور الى اهالي بغداد وبواسطتهم الى سائر سكان العراق وكان الخطاب الذي حواه ذلك المنشور تأميناً فى الحاضر ورجاء في المستقبل . ولا بد ان كثيرا من الحاضرين يذكرون كلمات القائد مود وعنــدهم ايضاً صور من منشوره فقد قال لكم ان الجيش البريطا ني جاءكم منقذاً لافاتحاً وانه لايوجد تحت الحكم البريطا ني تعرض لديانة اي رجل كان ولا لاعماله الخاصــة ولكن تكون عدالة شاملة يتساوى فيها كل احد ويكون فيها مجال لسعي الجميع وقدوعدكم ان نبذل قصارى جهدنا فى تنشيط التجارة وزيادة التقدم وان نسخر انفسنا لرفع منار الحرية وكذلك لاجل ارتقاء منافعكم المادية ولكن القائد مود كما تعلمون ايها الســادة : لم يجد فسحة في عمره لانجــاز هذا الوعد فقد وضع الاساس وبقي على اتمام البناء . وفي هذا اليوم الذي يقع فيــه على حسب التقريب ذكــرى مرور سنة على وفاة القائد مود المأسوف عليه تلك الوفاة التي جاءت فى غير اوانها اتيت لاذيع بينكــم انتهاء القتال مع الجيوش التركية بصورة ظافرة وفي هذه البضعة الاشهر الماضية بعد قتال شديد دام طويلا تغير وجه الحرب تغيراً فجائياً فبلغاريا

اقضت بدون شروط والنمسا سلمت تسليماً مطلقاً والجيوش الالمانية تنسحب انسحاباً كاملا وتركية طلبت الصلح وقد علمتم ان الجيوش البريطانية تقدمت في ايام قلائل من الناصرة الى دمشق ومنها الى حمص وحما ولم يكن التقدم في سوريا فقط بل اننا على دجلة ايضاً اخذنا نصيبنا وبعد ان دمرنا واسرنا الجيش التركي بأجمعه اصبحنا الآن فى موقف يجعل مقادير الموصل بيدنا فعليه تكون الحرب قد انتهت في البلاد التي تتعلق بهذه الساحة ويمكننا اليوم ان نبين ان الوعود التي اعطيت مراراً يجب ان تنجز في اول فرصة ممكنة وبمثابة عربون في الوقت الحاضر يدل على نوايانا الحسنة ابلغكم ماياً تي :

١ — يسمح لاسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع الى اوطانهم ماعدا الذين هم من الجنس التركي .

٢ — تطلق الحرية التامة للتجارة وتخفف تضييقات الحصار في داخل ألاراضي المحتلة .

٣ — يخفف ايضاً من التضييق على العمل الشخصي .

٤ — يسمح بنقل الجثث التي تدفن في كربلا والنجف الاشرف بشروط مناسبة .

٥ — تفتح الطرق من جديد للزيارات المنظمة للاماكن المقدسة .

٦ — ان الموظفين الدائميين من الاهالي في دوائر الحكومة الملكية الذين لايخدمون فعلا في صفوف الجيش وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام يعطون جائزة معاش شهر .

٧ — ينتخب بعض المسجونين فى السجون الملكية ويطلق سراحهم .

٨ — يوزع طعام والبسة على فقراء بغداد والمدن الاخرى وتخفف القوانين الحالية تخفيفاً قليلا.

ايها السادة ! لااجد عندي مااقوله غير ذلك لكني اطلب اليكم ان تعتقدوا ان التضييقات والازعاجات التي لابد من وقوعها بسبب وجود جيش بين ظهرانيكم لم تكن ناشئة عن رغبة فينا ولكن اقتضتها الضرورة العسكرية واني اعدكم بأسم جلالة الملك الامبراطوري ان اقوم بازالة مايدعو الى الشكوى بالسرعة الممكنة وفي الوقت ذاته اطلب اليكم ان تشاركوني بتحية هذا العلم البريطاني المرفوع امامكم وان تهتفوا ثلاثاً لجلالة الملك جورج « حيا الله الملك » »

هذا وقد عقدت الهدنة بين الدول الائتلافية والنمسا فى ٤ تشرين الثانى سنة ١٩١٨ وبين الدول المذكورة والمانيا في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ وتم النصر النهائي لانكلترا وحلفاؤها ولقد انجز الانكليز وعودهم المحررة اعلاه والغيت ضريبة الحرب والمعافية العسكرية اعتباراً من ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ واذن الحاكم السياسي الكولونيل ليجمن لشبان الموصل بفتح ناد يدعى (النادي العلمي) على ان لايشتغل سوى بالامور العلمية ولكنه لم يلبث الا وسده بعد بضعة اسابيع .

والغت حكومة الاحتلال ادارة البرق والبريد التركية بالموصل فى ٢٣ تشرين الثاني وفتحت عوضها وعفت عن تحصيل الحاصلات الصيفية التى لم يجر تحصيلها الى ٣٠ تشرين الثاني وفي ٢ كانون الاول قدم من السليمانية الى الموصل على ظهر طيارته الخاصة الكولونيل ويلسن الحاكم العام في العراق وتعين الميجر نولدر حاكماً لقضاء دهوك وتعين الكابتن



﴿السير اي . تي ولسن﴾

مينشن حاكماً لبلدة الموصل .

وكان قد ورد لفيف من بوليس بغداد الى الموصل بتاريخ ١٦ تشرين الثاني تحت ادارة الكابتن هيـــل فشكل هذا دائرة الشرطة بمعرفة هذه الاشخاص المتضاربي الجنس وتعين في اوائل كانون الاول السيد احمدافندي الفخري قاضيالموصل وفي ٧ كانون الاول انذرت حكومة الاحتلال الاهالي بوجوب تسليم اولاد وبنات الارمن الموجودة عندهم الى الحاكم السياسي .

وفي ٧ كانون الاول جرى في بغداد احتفالات شـائقة بمناسبة افتتاح الجسر الحديد المسمى (جسر مود) تذكارا لقائد الجيوش البريطانية العام في العراق (مود) [الذي توفي في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧] وعوضا عن الجسر السابق الذي تكسر في ربيع سنة ٩١٧ على ازوبعة هبت هناك .

وفي ٢٦ كانون الاول سنة ١٩١٨ تعينت لجنة في الموصل باسم (المجلس العلمي) تحت رئاسة الحاج احمدافندي الحواني لاستشارة حكومة الاحتلال فيما يتعلق بالامور الشرعية واصول الاوقاف .

وتعين الميجر بروميلو حاكما سياسيا في تلعفر اعتبارا من ١٩ آذار ٩١٩ وكان قد تعين البعض من الضباط الانكليز السياسيين قبل هذا حكاما على اقضية زاخو والعمادية واوبيل وغيرهما

اهمية الموصل العسكرية والاقتصادية والسياسية :

فهكذا احتلت انكلترا ولاية الموصل [مع ملحقاتها السنجق سنجق

كركوك والسليمانية واربيل واقضية زاخو والعمادية والعقر ودهوك حتى نهر الهيزل والخابور] التي هي بمثابة رأس العراق وحصنه الحصين تلك البلدة الطيبة مفتاح الشرق الاوسط ومفرق طرقه المهمة لاتصالها برا ونهرا بقلب العراق والهند وبلاد العجم وسوريا وفلسطين والاناضول وكردستان ولاشك فى ان الموصل قلعة العراق تجاه الخطر العسكري الذي يمكن ان يهدد البلاد العراقية من جبال كردستان التي تمتد على شكل نصف دائرة في شمال وشرقي سهول الموصل . فمن الوجهة العسكرية تكون الموصل نقطة المقاومة المركزية لانها مرصد طرق المهاجمين ومعقل بغداد الحصين .

ومن يلقي نظرة على خارطة ولاية الموصل وشمالها يبان له ان العدو الذي يجتاح البلاد الكرديه والايرانية قاصدا الهجوم على العراق والهند قد لايرتاح ويهدأ باله الا فى الموصل مركز الدفاع والهجوم . حيث تصبح المدن العراقية تحت رحمة مدافع هذا العدو وطياراته .

فمن يتحصن من الدول فى الموصل ويحكم على جبالها الشمالية يمسك بيده مقاليد بلاد الشرق الاوسط خاصة اذا حصلت تلك الدولة على قطعات عسكرية مدربة ومجهزة بالوسائط الحربية الحديثة . فتهدد الهند وسوريا وبلاد العجم والاناضول . هذا من الوجهة العسكرية والجغرافية اما خطورة الموصل من الوجهة الاقتصادية فهي كثرة وجسامة منابعها المعدنية كمنابع البترول والفحم وحجر الكحل والمغنيسا والحديد والكبريت والزيبق وغيرها من المعادن فقد تأكد لدى الاخصائيين ان اعظم واجسم منابع نفط العراق هي في الكبارة وجوارها التابعة الى الموصل وان هذه المنابع

لاتقل خطورة عن منابع بترول (باكو) المدهشة ونظراً لافادة مهندس الكياره العبقري الانكليزي انه يخرج من الكياره خمس وعشرون بالمائة بترول وعشرون بالمائة دهن مكائن وثمانية بالمائة بنزين واذا تشغلت منابع الكيارة فنيا سوف يستثمر منها مبالغ جسيمة .

ويبان لمن ينظر الى موقع الموصل الجغرافي ان هذه المدينة مركز التجارة بين سوريا وفلسطين ومصر والاناضول والعراق لانه اوفر اقتصاداً واقصر مسافة ان تمخر السفن التجارية عباب البحر المتوسط من التوغل في البحر الهندي والوصول الى ميناء العراق وقد جاء في بعض الاحصائيات ان المسافة بين انكلترا والموصل عن طريق خليج العجم تبلغ نحو (١٢٠٦٦) كيلو مترا بينما تبلغ عن طريق سوريا نصف هذه المسافة . ومن هنا يبان جليا ان الموصل فضلا عن جودة هوائها وحسن ترتيبها ولطافة مناخها ستحوز موقعا اقتصاديا تفدسا بين الاقطار الشرقية كلها . لاسيما اذا امتدت السكة الحديدية الى الموصل من جهة بغداد ونصيبين فستكتسب الموصل اهمية زراعية كبرى ومن الممكن ان تكون سهول دجلة مزرعة العالم ومخزن الحبوب ومركز تجارة المواشي والجلود والصوف والعفص ودود الحرير والتبغ والقطن .

وقد صدق السياسي القائل: « اذا كانت بغداد قلب العراق فالموصل تكون رأسه » وبذلك قصد افهام اهمية الموصل الجغرافية والاقتصادية والسياسية والتجارية التي لاشك في انها كثابة الرأس من كل الوجوه بالنسبة الى العراق

الفصل الرابع

سر القضية العربية :

لما اشتد غيض الاوروباويين على الاتراك عند دخول تركيا في اوروبا في اوائل القرن الرابع عشر اعتبر البعض ذلك مبدأ القضية الشرقية غير انا نعتقد ان المسئلة الشرقية تبدأ من دور الانحطاط لتركيا حيث استضعفتها الدول الغربية التي بدأت تتحرى لها مستملكات وتطمع في بلاد الشرق لتسحب منه المبالغ الطائلة وتحلبه .

وقد عرفت اغلب رجال الساسة « القضية الشرقية » بقولهم : « انها نزاع شديد بين تركيا وبين من طمع بملكها من الدول الاوروباوية » وقد عرفها فريق آخر بقولهم « انها نزاع شديد بين تركيا والامم التي كانت تحت حكمها من جهة ودخول الدول الاوروباوية في هذا النزاع لسد اطماعها وتحقيق آمالها المتناقضة من جهة اخرى »

وقد كانت القضية الشرقية سببا في بعض المشاكل التي حدثت في العالم من القرن السادس عشر الى اليوم وبلغت اقصى شدتها بعد انهزام الاتراك في محاربة (كالنبرج) وابرام (الاتفاق المقدس) الذي كان يستهدف طرد الترك من اوروبا وتقسيم البلاد الشرقية بين روسيا والنمسا وقد اسفر ذلك الاتفاق عن حروب عديدة مع تركيا انتهت بمعاهدتي (كارلوفجة) سنة ١٦٩٩ و (باساروفجة) سنة ١٧١٨ اللتان جلا الترك بنتيجتها عن بلاد المجر و(ترانسيلوانيا) و (بوداليا) و (اسكلافونيا) ومن قسم

من بلاد البوسنة وصربيا .

وقد كانت روسيا العضو الخطير بين الدول الاوروبائية العاملين على خراب تركيا والمجتهدين بتزييد تعقد المسئلة الشرقية طمعا ببلاد الشرق فشرعت روسيا تعمل على هدم الدولة العثمانية من الداخل والخارج لاسيما بعد انتصارها على الاتراك على ضفاف (الدانوب) وبعد معركة (جشمه) الشهيرة سنة ١٧٧٠ وابرام معاهدة (قينارجة) سنة ١٧٧٤ فاخذت روسيا تحث العناصر البلقانية على القيام ضد الترك وخلع النير التركي عن اعناقهم من جهة واتفقت من الجهة الاخرى مع النمسا سنة ١٧٧٢ على ان يحتل الجيش المسقوفي البلقان الشرقي والدردنيل وان يعطى للنمسا البلقان الغربي ثم عدلت تلك المعاهدة سنة ١٧٨١ على اساس استقلال العناصر البلقانية تحت سيادة روسيا والنمسا وهكذا اصبحت كل من (مسئلة البوغازات) و (مسئلة ماكدونيا) و (مسئلة البانيا) ومثلها من المسائل السائرة فرعاً من القضية الشرقية .

وقد ظهر لنا مما تقدم ذكره ومما يتضح من تدقيق القضية الشرقية في التواريخ السياسية المفصلة ان الدول الاوروبائية الطامعة ببلاد تركيا ، لما تستهدف قطرا من الاقطار العثمانية وتريد ان تدخله في قبضتها تشرع بحث سكان القطر المذكور على القيام ضد الاتراك مباشرة وتصرف المبالغ الطائلة في هذا السبيل وتساعد القائمين بوجه الترك سرا وعلنا كما حثت روسيا الامم البلقانية (صرب ، بلغار ، يونان ، جبل الاسود) على الثورة بوجه الدولة العثمانيه ولاشك في ان استقلال الامة اليونانية مثلا لم يحصل الا بنتيجة مساعدات روسيا التي كان امبراطورها رئيسا لجمعية (اتريا)

السرية التي لعبت دوراً مهماً في استقلال اليونان .

فهذا دأب الدول الاوروباوية في القضية الشرقية منذ عدة قرون . ولما كانت البلاد العربية من اهم البلاد الواقعة على سواحل البحر الابيض والاحمر تجارة واقتصاداً وسياسة فقد استطمحتها الدول العظمى تدريجاً منذ القرن التاسع عشر وقد قال نابليون بونابارت الشهير : « ان اوربا وكرة اروليس ثمة امبراطوريات عظيمة الا في الشرق » فاجتاح مصر وهاجم سوريا ولو لم تقف امامه حصون (عكا) لصار الشرق على غير ما نراه اليوم .

وقد اشتد طمع الاوروباويين بالبلاد العربية يوماً فيوماً فشرعوا بتشييد المؤسسات الدينية والعلمية وبتكثير علاقاتهم التجارية والاقتصادية والادبية وقد رسم كل من المانيا وانكلترا وفرانسة وايطاليا وروسيا خطة يسيرون عليها لتأسيس نفوذهم في قطر من الاقطار العربية فاستهدفت فرانسة سوريا وانكلترا العراق وايطاليا وفرانسة والمانيا سواحل افريقيا واخذ كل منهم يعقب خطته التي رسمها لامتلاك الاقطار العربية . ولولا الرقابة الموجودة بين الدول المذكورة وتضادد منافعهم ومصالحهم لاتفقوا على تقسيم الدولة العثمانية وفي ضمنها الاقطار العربية قبل قرين ونيف .

ولما كثرت الدول العظمى علاقاتها فيما استهدفته من الاقطار العربية قامت تدعي بحقوق مختلفة على البقاع المذكورة مثلا تدعي فرانسة ان لها في سوريا حقوقاً ومصالح وادعت انكلترا ان في العراق لها حقوقاً ومصالح كما وضحنا ذلك في الفصل الاول .

وهكذا اصبحت (القضية العربية) ايضاً شعبة من (القضية الشرقية)

وبسبب تلك القضيه الشرقيه اصبحت تركيا في انحطاط وتدن مستمر كان يبتر من جسمها كل يوم بقعة من البلاد .

ولما رأى الدول العظمى ان لا اصلاح لتركيا وان سوء ادارة الاتراك ضاربة اطنابها بدأت فرانسة وانكلترا توجس خيفة من وقوع البلاد العربية بيد المانيا رقيبتهم العظيمة . فلذلك اخذوا يحثون العرب على القيام ضد الاتراك الذين اصبحوا فى احضان الالمان لتكون البلا د العربية بيد سكانها عوضاً عن ان تقع بيد الالمان . واما من الجهة الاخرى فان الاجانب كانوا يحثون الاتراك على التيقظ من العرب ويفهمونهم ان للعرب النوايا السيئة ضد الاتراك وينوون الانفصال عنهم فبدأ الشك وعدم الاعتماد بين الطرفين غير ان سياسة السلطان عبدالحميد حالت دون انفجار البركان بين هاتين الامتين .

ولكن لما اعلن الدستور في تركيا فى ١٠ تموز سنة ٣٢٥ (رومية) و٢٣ تموز عام ١٩٠٨ م حدث تغيراً عظيماً فى افكار العناصر العثمانية المختلفة فوجدت كل من فرانسة وانكلترا مجالا واسعاً لتطبيق خطة حث العرب على القيام وتمكنت الدول المذكورة من ازالة الثقة بين العنصرين وشدد النزاع والخلاف يوماً فيوماً ونجحت خطتهم التى تستهدف اقامة نفوذهم فى البلاد العربية فلله در هذه الخطط التى فرقت بين امتين من اعظم الامم الشرقية بعد اتحادهما الطويل افتراق سياسيا ابدياً .

وقد لقن الاوربيون العرب اروح ضد التعصب الدينى ووجوب الانضواء تحت الجامعة القومية والغيرة الوطنية للتخلص من نير الاتراك وقــد احدثوا بذلك انقلاباً فكرياً بين شبان العرب فتغير كل اعتقاد

سياسي واجتماعي واظهروا للعرب ان بقاءهم مع الترك كان شراً عليهم لانه لم يكن قائماً على اساس القومية . فنشطوا العرب بفصم صلاتهم مع الترك ويظهورهم بمظهر الحرية والاستقلال . ولما كانت سوء ادارة الاتراك مستمرة فقد مال شبان العرب الى طلب حقوقهم من الاتراك مؤملين النجاح قضية استقلال البلاد العربية الداخلي ولم يدر بخلدهم ان الاجانب تبتلعهم بعد ان تفرقهم نظراً لما ملئت اذانهم من المواعيد الخلابة وما احلى تلك الوعود ، وعود الحرية والاستقلال !

وزد على ذلك الدور المهم الذي لعبه الاصفر الاجنبي الرنان في سبيل تفريق العنصرين اذ انه ساق امامه بضعة شبان من صحافي الاتراك الاتحاديين وجعلهم يكتبون في جرائدهم ماينفر العرب من الترك واستاق لفيفاً من متنوري العرب على مقابلة الاتراك عما يبعد بين الفريقين فاسفر الامر عن تحزب الطرفين فأخذ التركي يترنم بانغام القومية في (تورك يوردي — نادي الترك) وشرع العربي يتحمس بالاناشيد العربية ؛ وبادر العرب بتأليف الاحزاب السياسية تحت نزعات مختلفة كما سيأتي بحثها . فهذا هو سر القضية العربية وأساسها .

تشكل الاحزاب السياسية العربية :

قابل العرب اعلان الدستور العثماني بحماسة عظيمة كسائر العناصر العثمانية اذ اصبح العربي والتركي والكردي متساوي في الحقوق والواجبات واتجهت انظارهم الى (جمعية الاتحاد والترقي) اتجاهاً لم يعهد له مثيل . غيران المكائد الاجنبية فرقت هذا التساوي وتلك الآمال فاستاقت جمعية

الاتحاد والترقي الى خطة تستوجب نفرة الامة العثمانية منها فانفصل الاتحاديون عن الامة وصاروا في شق آخر منذ تلقى شبان الجمعية المذكورة دروس الجنسية والعنصرية من ساسة الغرب واعلنوا ما كانوا يضمرونه من الاستمساك بمبدأ سيادة الترك على العناصر العثمانية السائرة .

ومن الطرف الآخر كانت الدروس المذكورة نفسها تلقن في اذهان شبان العرب فى ذات الوقت فتنبه بذلك العصب الحساس في العثمانيين (اي العرب) فابتعدت قلوب الطرفين وعادت روح الجنسية الى صدورهم وهبت ريح التنافر والشقاق.

اضف على ذلك ، غلط الاتحاديين فى تطبيق سياسة العنف والشدة لتحكيم قواعد سيادتهم القومية فاستنفر العرب وبادروا بتأليف الاحزاب السياسية لانهاض العنصر العربي وتأمين حقوقه واذا استثنينا حزب (النهضة اللبنانية) المؤلف قبل اعلان الدستور فى بيروت، بايعاز قنصل فرنسا نجد ان الاحزاب الآتية تألفت على اثر اعلان المشروطية لغايات عنصرية واستقلالية :

١ — جمعية الاخاء العربي العثماني : تألفت في الاستانة في (بيوك اطه) سنة ١٩٠٩ بمعرفة شفيق بك المؤيد وندره المطران وبضعة اشخاص من زملائهم وكان غايتها استحصال حقوق العرب ضمن الجامعة العثمانية ؛ ثم تشتت هذه الجمعية على اثر حادثة ٣١ مارت المعلومة .

٢ — المنتدى الادبي : تأسس في الاستانة سنة ١٩٠٩ من قبل عبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل وزملاءهما وسدته الحكومة التركية سنة ١٩١٤ على اثر اعلان النفير العام .

٣– الجمعية القحطانية : تشكلت في الاستانة سنة ١٩٠٩ من قبل وزير الاوقاف خليل حماده باشا وعبد الحميد الزهراوي وسليم بك الجزائري وزملائهم .

٤– جمعية العهد : شعبة من الجمعية القحطانية اسسها الاركان حرب العقيد عزيز بك علي المصري بعد عودته من طرابلس الغرب سنة ١٩١٣ وحصرها بضباط العرب .

٥– جمعية العلم : تأسست فى الموصل كفرع لجمعية العهد سنة ١٩١٤ حيث يدخلها غير الضباط ايضاً .

٦– حزب اللامركزية : تألف فى مصر سنة ١٩١٢ من قبل الشيخ رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي ورفيق وحقي العظم وفؤاد الخطيب وزملاءهم وغايته بيان محسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عنصر ذات اجناس ولغات واديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزيه الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية .

٧– جمعية الثورة العربية : تكونت بنتيجة اتفاق جمعية العهد بالحزب اللامركزية وذلك بعد هروب عزيز بك علي من الاستانة الى مصر سنة ١٩١٤ .

٨– الجمعية الاصلاحية البيروتيه : تأسست من قبل رزق الله ارقش وزملاءه فى بيروت سنة ١٩١٣ وغايتها طلب الاصلاحات اللازمة على اساس شبه اللامركزية .

٩ – جمعية البصرة الاصلاحية . اسسها السيد طالب النقيب فى البصره

عام ١٩١٢ ولا تختلف هـذه الجمعية في خطتها وغايتها عن حزب اللامركزية .

١٠ — جمعية الفتاة العربية : تألفت في بسوريا عام ١٩١٢ من قبل محمد المحمصاني وزملاءه من شبان العرب .

ولا شك فى ان هذه الجمعيات كانت تستهدف استحصال حقوق العرب المهضومة وكلهم كانوا شيئاً واحداً فتمكنوا من تشكيل شعبات وفروع في معظم المدن العربية الخطيرة كالحجاز ودمشق وحلب وبيروت وحما وحمص وبغداد والموصل والبصرة سراً والبعض منها كان علناً واخذت الجمعيات العربية تبث دعوتها القومية تدريجاً في كل مكان وتسعي السعي الحثيث لتحقيق غاياتها القومية من هذا القبيل .

انعقاد المؤتمر العربي في باريس :

في ٤ نيسان سنة ١٩١٣ ارسل بعض منوري العرب وادباءهم المقيمين في باريس كتابا الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية جاء فيه ماخلاصته:

« لقد جمعتم في برنامجكم الاماني التى تودها ابناء العرب لسعادتهم ورقيتهم فى كل حين لذلك اوقفنا انفسنا لخدمة غيتكم النبيلة واعتبرنا كم مصدرا لما نتوقع ان نقوم به فى هذه الديار ازاء مناظرات الجرائد ومغامز الخطباء في الاندية السياسية ومجرى المخابرات الدولية بشأن [١] البلاد العربية . ذالك ماحمل الجالية العربية على الاجتماع والبحث في التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطواري واصلاح بلادنا على

[١] ثورة العرب.

أساس اللامركزية . وبعد المناقشات ارتأت ان تعقد مؤتمرا للعرب لتظهر فية للاجانب ان العرب يدرؤن عارية الاحتلال من اية دولة كانت ويحتفظون بحياتهم الوطنية وتصارع الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الاصلاحات اللامركزية في البلاد العربية واليكم ماتدور حوله مباحث المؤتمر :

ا — الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال ؛

ب — حقوق العرب في المملكة العثمانية ؛

ج — ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية

د — المهاجرة من سوريا واليها ؛

وحسبنا الله ان يأخذ بايديكم وايدينا لوقاية الامة والبلاد من فساد البداية والمعاد والسلام عليكم » .

وفي ١٤ نيسان سنة ١٩١٣ اجابت اللجنة العليا لحزب اللامركزية بالقبول وقررت ارسال مندوبين من قبلها فانعقد المؤتمر العربي لاول مرة في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع (سن جرمن) في باريس من يوم الاربعاء المصادف ١٨ حزيران سنة ١٩١٣ (١٣ رجب سنة ١٣٣١) الى يوم الاثنين ٢٣ حزيران .

وقال عبد الحميد الزهراوي في خطبة افتتاح المؤتمر : « ان العرب كانوا قد الفوا الترك وهؤلاء قد الفوا العرب منذ عشرة قرون ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة ايضاً ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم الارابطة بين البعض . وهذه الرابطة لاتزال تعد ثمينة عند الترك والعرب معا ولكنها مع عزتها قد اصبحت مهددة بالسياسة اكثر مما كانت من قبل .

ومعلوم ان السياسة في هذه المملكة بيد الترك ولذلك تعرفها اوروبا بانها تركية . فلما رأى العرب الآن ما وصلت اليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن وكانوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة تنبهوا الى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعا غير مهتمين به كما ينبغي وهو اشتراك الفريقين بسياسة البلاد . فانه قد تبين واضحا انه لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب اضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعة ذلك العبأ الثقيل . وبديهي ان هذا الاشتراك لا ينافي الاخاء بل الذي ينافي هو عدم هذا الاشتراك » .

وقال اسكندر عمون احد مندوبي حزب اللامركزية : « ان الاملاك العثمانية بعد الحوادث الاخيرة اصبحت على شفا جرف هار . فهي بين ذلك الماضي المؤلم والمستقبل المظلم تنظر اليها بين الحزن والاسف وترمق عندها بعين الخوف والوجل . فى مثل هذا الموقف الخطر تمر على ذهن الامم والافراد حوادث حياتها الماضية حلقات آخذ بعضها برقاب بعض . ذلك الذي اصبحت الامة فيه هو الباعث على اجتماعنا من كل حدب وصوب فى هذا البلد الامين وهذا الغرض الذي نرمي اليه من هذا الاجتماع » .

وسئل محرر جريدة (الطان) الفرنسية السيد الزهراوي رئيس المؤتمر عن اسباب عقد المؤتمر فاجابه : « ان ما حدث في ولايات الدولة العثمانية ما وراءها من الحوادث الخطيرة الشأن دعانا الى التفكير في الحالة الجديدة التي دخلت فيها واتخاذ الوسائل الضرورية لاتقاء نتائجها . ذلك من جهة ومن جهة ثانية فان العرب يؤلفون عنصراً مهماً نعدده ان لم نقل عنه انه اهم العناصر العثمانية كلها . ولهذا العنصر مزية على العناصر الاخرى وحدة

لغته وعاداته وميله وان هذه الصفات احدثت له حقوقا كانت مهملة حتى الساعة ولذلك جئنا لنطلب بصفتنـا عثمانيين ان نشترك بالادارة العامة وان نعرض على الحكومة بصفتنا عربا مطالب خاصة بقوميتنا .

« وان اضطهاد الجمعية الاصلاحية وكل فريق من اعضائها برهنت لنا على قدر الحرية التي يمكن ان يجتمع بها مؤتمر ينعقد في سورية . وقد رأينا من جهة اخرى ان نسمع مطالبنا ونفهم رأينا الاوروبا التي تزداد مصالحها اهمية في البلاد العربية يوماً بعد يوم وفضلنا باريس على غيرها من عواصم اوروبا لان الجالية العربية فيها اكثر عدداً منها في سائر العواصم »

هذا مرمى المؤتمر العربي الاول وقد بذل الترك كل مجهودهم لمنع انعقاده وفشله ولاسيما عجزت الحكومة التركية الاتحادية عن التدابير المختلفة لحل الجمعيات العربية والمؤتمر المذكور فاوفدت مدحت شكري بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي الى باريس للاتفاق مع المؤتمر العربي الذي كان يمثل معظم الاحزاب العربية ومفاوضته حيثما يطلب من الاصلاح للبلاد واتفق معه على امور شتى لم تقرر الحكومة الا قسما منها :

الاصلاحات الممنوحة :

فاصدرت الوزارة الاتحادية في اوائل اغسطس سنة ١٩١٣ القرار الرسمي التالي ونشرته في صحف الاستانة وهذا تعريبه « انه بالنظر الى الضرورات واختلاف الامزجة في الولايات العثمانية الى وجوب ترقية البلاد واسعاد اهلها وزيادة رفاهيتهم تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات .

« ١ — ان يعهد فى ادارة الاوقاف الموقوفة على عمل الخير المحلي بحسب شروط الواقف الى مجالس الجماعات في الولايات وذلك بموجب قانون جديد ينشر قريباً .

« ٢ — ان تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتش الا اذا رأت الحكومة اسباب ما حشد قسم من الجنود في جهة من الجهات فترسل العساكر على الطريقة النسبية الى الولايات البعيدة كاليمن والحجاز والعسير ونجد .

« ٣ — ان يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها هذه اللغة . فيجب مباشرة ذلك الآن في المكاتب الرشدية والاعدادية وتوفير اسباب التدريس العالي بلغة الاكثرية ايضاً بشرط ان يبقى التدريس باللغة التركية كما كان فى المكاتب الاعدادية .

« ٤ — ان يعين المأمورون من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة الرسمية التركية وتعين الحكومة المركزية المأمورين الذين يقتضي لتعيينهم ارادة سنية ، اما المأمورون الثانويون فيعينون بمقتضى القانون الجديد .

« ٥ — وقد جاء فى قانون الولايات الجديد ان المصاريفات المحلية ولاسيما محرر ميزانية المعارف والاشغال تضاف الى ميزانية الولاية . وعلى الولاية ان لاتخرج عن دائرة الصلاحية الممنوحة لها فى قانون الولايات فيجب بذل الهمة » .

هذه هي الاصلاحات التي منحتها الحكومة الاتحادية التركيه للعرب وقبل العرب بها حسما للخلاف وقد كان لهذا القرار احسن وقع فى بعض

الاندية العربيه ولاسيما فى الاستانه لان جمعيه الاتحاد والترقي التي اخذت زمام امور الدولة العثمانيه بيدها كانت قد وعدت زعماء العرب رسميا بانها عازمه على اجابه كل مطـالبهم وانها لم تشاء ان تعلن ذلك فى الصحف لئلا تطمع سائر العناصر العثمانيه بها وتحذو حذو العرب معها . وفى الساعة ٣ بعد ظهر الثلاثا فى ٥ آغسطس سنه ١٩١٣ قابل وفد من ابناء العرب الصدر الاعظم وشكر للحكومه وعودها وطالبها بالتعجيل فى البر بها وتنفيذها فوعدهم الصدر حسن الوعود وفى مساء اليوم اولمت الشبيبه العربيه وليمه شائقه فى فندق طوقا تليان لرجال الترك فيهم طلعت وانور وجمال وتبادل الطرفان الخطب واعربوا عن سرورهم لازاله سوء التفاهم بين الترك والعرب . وعلى اثر ذلك ابرق معتمد النادي العربي عبد الكريم الخليل الى باريس يدعو اعضاء المؤتمر العربي الى الحضور لمراقبه تنفيذ الاصلاحات . فاوفد المؤتمر ثلاثه من اعضائه فوصلوا الى الاستانه فى ١٥ آب سنه ١٩١٣ وشرعوا يفاوضون رجال الحكومه واهل الحل والعقد وفى ٢٣ آب قابلوا السـلطان محمد رشاد واعربوا له عن تعلق العرب بالعرش العثماني ورجوا منه ان يأمر الحكومه بتنفيذ الاصلاح وزاروا ولي العهد يوسف عز الدين افندي فى ٢٧ آب فوعدهم بتسريع الاصلاحات المطلوبه وفى مساء ذلك اليوم اولمت جمعيه الاتحاد والترقى وليمه شائقه باسم الشبيبه العربيه دعت اليها وفد الاصلاح والوزراء وبعض عظماء الترك والعرب فى الاستانه وتبادل الطرفان الخطابات الرنانه اعربوا فيها عن رأيهم في ازاله سوء التفاهم وتنفيذ الاصلاح .

ولـكن الحكومه الاتحادية التركيه منحت تلك المقررات السالف

ذكرها والوعود على الورق ولم تطبق منها شيئاً واستدعت بعض الرجال من العرب السوريين الى الاستانه واقنعتهم بوجوب صرف النظر عن تلك المطاليب العربيه التي قد تؤدي الى انحلال الدوله فحملوا هؤلاء حملة شديدة على القائمين بالاصلاح وعاكسوا احرار العرب وهذا مما ادى الى مماطلة الحكومه بتنفيذ مقررات الاصلاح .

واراد الاتحاديون ايقاع التفرقة بين عضو الاحزاب العربية السياسية فاصدروا الارادة السنية في ٤ كانون الثاني ١٩١٤ بتعيين عبد الحميد الزهراوي وستة ذوات من زملاءه عضواً في مجلس الاعيان العثماني فوقع هـذا الخبر الوقع السيء في الشبيبة العربية التي رأت في قبول الزهراوي منصب الاعيان اكبر ضربة على الاصلاح الذي لم يكن نفذ منه شيء فأظهرت الشبيبة عدم اعتمادها الى عمله وتبرأت منـه كما انها استوضحت سبب ملايمـة المعتمد النادي الادبي عبد الكريم الخليل مع الاتراك ومفاوضته معهم من دون علم الحزب فبرهن المومى اليه للحزب فى الجلسة السرية المنعقدة فى (بك اوغلي) في ٧ كانون الثاني ١٩١٤ ان سبب قبول منصب الاعيان من قبل الزهراوي وتثبيت الاتفاق التركي—العربي في المفاوضات الجارية هو عظم اطماح الاجانب فى البلاد العربية ورغبتهم في انتهاز فرصة اختلاف العرب مع الترك لتحقيق آمالهم فيها وبين العهود الرسمية التي قطعتها جمعية الاتحاد والترقي للعرب على ان تبر بها طالما ظلت الحكومة في قبضة يدها . غير ان هذه البراهين لم تقنع الشبيبة وبقي الخلاف بينهم وبين الزهراوي وعبد الكريم الخليل حتى بدأت الحكومة التركية الاتحادية باتخاذ التدابير الشديدة ضدهم وشرعت بتبعيد بعض

ضباط العرب من البلاد العربية الى الاناضول والقت القبض في صباح الاثنين في ٩ شباط ١٩١٤ على عزيز بك علي المصرى ذلك الرجل الداهي والسياسي البصير وتوقف واخذ تحت المحاكمة فقامت لتوقيفه الشبيبة العربية وقعدت حيث راجع رجال العرب الصدر الاعظم والجنرال ليمان فون ساندرس رئيس البعثة الالمانية وسفراء الدول العظمى طالبين منهم المداخلة فى هذه المسئلة فاطلق سراحه وهو كان قد استعفى من الجيش العثماني قبل توقيفه ثم سافر الى مصر ثم لحقه رفيقه نوري السعيد [وزير الدفاع الحالي] الذي فر من المدرسة الاركان الحربية على اثر سفر عزيز بك علي .

وهكذا كان قد اشتد الخلاف بين الترك والعرب وزاد عدم الاعتماد بين الطرفين فاخذت حكومة الاتحاد والترقي بكم افواه العرب ولا سيما الاصلاحيين منهم ووضعهم تحت المراقبة من جهة واما من الجهة الاخرى فكانت قد نهجت منهج الشدة لتذليل امراء جزيرة العرب فساقت الحملات الخطيرة على السيد الادريسي في عسير وعلى الامام يحي في اليمن وعلى عرب المنتفك في العراق وعلى جبل الدروز فى سوريا ولم يكن شريف مكة حسين باشا [جلالة ملك الحجاز الحالي] جاهلا لما ينويه الاتحاديون له وامثاله .

نوايا شريف مكة حسين باشا ومخابراته مع انكلترا :

كان الشريف حسين باشا [جلالة ملك الحجاز الحالي] قد مكث في الاستانة ١٧ سنة وذلك على اثر خصومة نشبت بينه وبين الشريف عون

امير مكة السابق لتنازعهما الامارة فيما بينهما . وكان قد اهتم سيادته اذ ذاك بتربية اولاده كل من الامير علي وعبد الله وفيصل وزيد وتعليمهم العلوم العصرية في خلال تلك المدة التي اعتزلها [١] في الاستانه .

وكثيراً ما سمعنا ان البعض من وزراء السلطان المخلوع عبد الحميد كانوا يشيرون اليه بتعيين الشريف حسين باشا الى امارة مكة المكرمة عوضاً عن عون وكان لا يرغب في تعيينه قائلا : « اني راضي بتعيينه اميراً الى مكة المكرمة اذا اكتفى الشريف حسين باشا بذلك فقط . بل اني اعتقد ان المشار اليه لا يكتفي بالامارة فحسب ، بل يطمح بأ كثر من ذلك ويهدد يوماً ما عرشي . »

ولما خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ عين الاتحاديون الشريف حسين باشا اميراً الى مكة المكرمة في ذلك السنة ولما سمع السلطان عبد الحميد بتعيين المشار اليه الى امارة مكة قال : « لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل الى الامارة ويا ليت انه يكتفي بامارة مكة وباستقلال العرب فقط . ولكنه سوف يعمل بدهائه الى ان ينال مقام الخلافة العظمى نفسه . » فظهر اخيراً ما تكهن السلطان عبد الحميد فيما يتعلق بالخلافة .

ثم ندم الاتحاديون على تعيينهم الشريف حسين باشا لامارة مكة المكرمة فتشبثوا مراراً بايجاد وسيلة لعزله اوتنكيله ولكن لم يفلحوا ولما شعر الشريف بسوء نية الاتحاديين بعد ان سبقت له خدمات عديدة لهم في حروب اليمن والعسير اخذ ينفر منهم وازداد نفوره تدريجاً كلما طغى اتحاديو الاتراك فاضمر لهم ما اضمر في قلبه وفكر بوجوب القيام ضد الاتحاديين

[١] نورد هنا اسم جلالة ملك الحجاز الحالي بمنون شريف مكة الى ان نصل الى بحث تتويجه واعلان ملوكيته

والتشبث باستقلال العرب متفقاً مع الاحزاب العربية السياسية التي كان يحتك بها سرا وبالواسطة فاعتقد ان لافلاح للعرب من دون معاضدة دولة اجنبية فرجح ان يفاوض الانكليز بما يخالج ضميره فاغتنم فرصة ذهاب مبعوث مكة ولده الاميرعبد الله الى الاستانة على طريق مصر عام ١٩١٤. قبل نشوب الحرب الكبرى. وفي تلك الايام كان اللورد (كيجنر) في مصر فاوعز الشريف حسين باشا الى ولده الامير عبد الله ان يقابل اللورد (كيجنر) باحدى الوسائل ويفاوضه في الامر. ولما وصل الشريف عبد الله الى (القاهرة) زاره اللورد (كيجنر) فعاد الشريف عبد الله الزيارة له بعد ان استحصل موافقة القومسيرية العثمانية في القاهره. وقد اغتنم الشريف عبد الله هذه الفرصة ففاوض اللورد باستقلال العرب وعرض عليه مطاليب والده الشريف حسين باشا ولكن لم يتوافقا اذ ذاك على شيء وبقيت المسئلة معلقة من دون نتيجة الى ان اضطرمت نار الحرب العظمى حيث ارسل الانكليز كتابا الى الشريف حسين باشا يبلغونه انهم يرغبوا في البحث بتكليفات الشريف عبد الله الى اللورد كيجنر فاجابهم الشريف موجزا « ان الصيف قد اضاع اللبن » ويقصد بذلك ان هذا الصيف الذي نشبت فيه الحرب الكبرى قد اضاع تكليفاته السابقة التي كانت مطاليبات خفيفة فاراد ان يفهم الانكليز انه لايكتفي الآن بتكليفاته الاولى فعلى اثر هذا الجواب انقطعت المفاوضات بين الطرفين برهة من الزمن.

ولما كانت كفة الالمان والاتراك في حروب عام ١٩١٥ — ١٩١٦ هي الراجحه لاسيما بعد اسارة الجنرال (طاوزند) في (كوت الامارة)

اضطر الانكليز الى اعادة المفاوضات مع الشريف حسين باشا وبعد مدة وجيزة وصل المرحوم شريف افندي العمري الى القاهرة كما سنرى تفصيل الخبر في مخابراته مع الشريف حسين التي سندرجها في هذا الكتاب . وتوسط المومى اليه شريف افندي بالمخابرة مابين الانكليز والشريف وها اننا ندرج ملخص المكاتيب التي تبودلت بين انكلترا وشريف مكة حسين باشا :

ولقد تبودلت الاراء والمخابرات بين السلطات البريطانية في مصر وسيادة شريف مكة واميرها الحسين بن علي في صدد استقلال البلاد العربية وبحق الشروط الارضية للصلح فيما بين سنة ١٩١٤ وعام ١٩١٦ ودارت اهم المخابرات السياسية فيما بين شهر تموز سنة ١٩١٥ وكانون الثاني عام ١٩١٦ م بين السرهنري مكماهون ممثل انكلترا في مصر وبين الشريف حسين باشا واما الوثائق والمحررات والمكاتيب التي تبودلت بين الجهتين فانها تبلغ الى مجلدات ضخمة نذكر منها الاهم غير انا قبل ان نشرع بذكر ملخص المحررات المذكورة نود ان نبين ان سيادة الشريف حسين باشا طلب في بادئ الامر من انكلترا ان تساعده على تشكيل خلافة عربية تضم اليها جميع البلاد العربيه ولكن وجدت بريطانيا العظمى عدم امكان ذلك فى تلك الاونة فلم تلتفت الى الطلب المذكور غير ان اللورد كيجنر اقترح على الوزارة الخارجية استمالة الشريف الى الحلفاء والدخول في المفاوضات معه . وعلى ذلك دخلت انكلترا بالمفاوضة مع شريف مكة . وهذا ملخص اهم التحارير التي تبودلت بين الطرفين :

التحرير الاول : كان في شهر تموز سنة ١٩١٥ وفيه وعد سيادة الشريف بتقديم المساعدة الحربية للحكومة الانكليزية على ان تعترف بريطانيا

العظمى باستقلال الاقطار العربية بكل مايشتمله معنى لفظ (استقلال)
وتحد هذه الاقطار شمالا (بمرسين) و (اطنه) حتى درجة العرض ٣٧
التي تقع في دائرتها (بيره جك) و (اورفة) و (ماردين) و (مديات)
و (العمادية) فحدود بلاد فارس وشرقاً حدود المملكة الايرانية حتى
خليج فارس وجنوبياً البحر الهندي باستثناء مستعمرة (عدن) وغرباً
تحد بالبحر الاحمر والابيض حتى (مرسين) . [١]

فهذه هي المادة الاولى من خطاب الشريف حسين باشا التي اشترطها
على بريطانيا العظمى .

التحرير الثاني : وبعد ستة اسابيع من وصول الخطاب الآنف الذكر
اجاب السر هنري مكماهون مندوب السامي للحكومة البريطانية في مصر
بكتابه المؤرخ ٢٠ آب سنة ١٩١٥ وهو التحرير الثاني قائلا فيه .
« ان شدة الحرب وهو لها — في ذلك الوقت — يحولان دون المواضبة
على المفاوضه في امور كمسئلة الحدود التي لايشك فيها سيادة الشريف . »
ولما كانت محتويات هذا الجواب غير شافية وبما ان سمو الشريف حسين
باشا لم يقنع بذلك اردف كتابه الاول بكتاب ثان وهو :

التحرير الثالث : بتاريخ ٩ ايلول سنة ١٩١٥ مرسل من سمو الشريف
حسين باشا الى السر هنري مكماهون ممثل انكلترا في مصر وقد اصر فيه

[١ جريدة (الطان) لسان حال الجمهورية الفرنسوية المؤرخة ١٨
ايلول سنة ١٩١٩ وجريدة « المورننغ بوست » الانكليزية المؤرخه ٤
تشرين الثاني سنه ١٩٢٣ م والكتاب الانكليزي المسمى (الحقيقة
عن مابين النهرين وسوريا وفلسطين) صفحه ٣٠ الى ٣٦

على الاعتراف بتلك الحدود . فلم ير السر هنري مكماهون بدأ من احالة المسئلة الى عاصمة الحكومة البريطانية مستأنفاً القضية هناك فكتب السر هنرى مكماهون في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩١٥ الى وزارة الخارجية الانكليزية قائلا: ان الشريف يصر على مناقشة الحدود حالا . وفي نفس الوقت بعث السر هنرى مكماهون الى وزارة الخارجية بالتصريح الذى سلمه اليه مندوب الشريف في مصر وهو كما يلي : « انه احتلال الفرنسيين للمناطق العربية الواقعة غربي خط دمشق — حمص — حما — حلب سيلقي مقاومة مسلحة من العرب اما اذا استثنيت تلك المناطق وادخلت بضع تعديلات في الشمال الغربي فان العرب على استعداد لقبول الحدود التى اقترحها عظمة شريف مكة »

هذا ولم يأخذ السر هنري مكماهون الجواب من الوزارة الخارجية وبقت المسألة مسكوت عنها حتي ال ٢٤ من تشرين الاول سنة ١٩١٥ حيث اخذت المسألة صبغة رسميه

التحرير الرابع :وعليه ارسل السر هنري مكماهون بناء على تعليمات حكومته الى مندوب شريف حسين باشا الخطاب التالي بتاريخ ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩١٥ وهو التحرير الرابع جاء فيه :

« واني لواثق ان بياني هذا عن المواد الاتية بالنيابة عن حكومة بريطانيه العظمى حول القضية يسركم جدا نظرا لماله من الاهمية بشأن البلاد التي ادخلت ضمن المناطق التى وردت في تحديد حدود الشريف حسين في كتابه الاول

« ان منطقى (مرسين) و (اسكندرونة) والاراضي السورية الواقعة في غرب

خط دمشق حمص — حما — حلب لايمكن بحال ما اعتبارها عربية بوجة عام ولذا يجب اخراجها من تسوية الحدود التي يدور البحث حولها الان. مع هذا الاستثناء ومن غير اجحاف بصكوك بعض الاتفاقيات المعقودة بيننا وبين بعض زعماء العرب نقبل بكل ارتياح هذه الحدود المعدلة

«اما من حيث المناطق التي احتفظت انكلترا لنفسها بحرية العمل فيها بدون المساس والاعتداء على مصالح فرنسة فان لي السلطة التامة للتصريح لكم بالنيابة عن حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى باني ادخل تحت العهود الآتية واجيبك على كتابك السالف الذكر :

« ١ . — ان حكومة بريطانيا العظمى مستعدة للاعتراف ومعاضدة استقلال العرب بشرط التعديلات السالفة وان انكلترا تعاضد مطاليب العرب الخاصة باستقلال الاراضي الواقعه داخل الحدود التي اقترحها شريف مكة بمذكرته مع الاستثناآت التي اوردناها آنفا . »

وفي هذا التحرير مواداً اخرى ورد ذكرها حول المصالح الامبراطورية البريطانية في الاقطار العربية وعن قبول مستشار في بين الادارة المنوي تأسيسها في ولايتي البصرة وبغداد وعن المنافع الاقتصادية والسياسية التي يجب ان يعترف بها الشريف لانكلترا في العراق. [ولم تدخل الموصل اذ ذاك في الموضوع لانها كانت بيد الاتراك وبعيدة عن بغداد] غير ان الشريف حسين باشا لم ترق له تلك التعديلات بشأن قسم من الاقطار السورية وكان مرتاباً في الاعتراف بوضعية فرانسة في المسئلة واكتفى بالسؤال من المندوب البريطاني السر هنري مكماهون ان يدون ملاحظاته ويلاحظ طلبه لهذه الاقطار المستثناة من الحدود والتي عينها هو اساسياً . وبالنتيجة :

التحرير الخامس : اجاب الشريف حسين باشا بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩١٥ قائلا: انه يقبل استثناء (مرسين) و(اطنه) ولكنه يصر على ادخال المناطق الاخرى وخصوصاً (بيروت) ضمن المناطق العربية .

والتحرير السادس : بتاريخ ١٣ تشرين الثاني عام ١٩١٥ وفيه اخذ السرهنري مكماهون علماً بعدول الشريف عن المطالبة (بمرسين) و(اطنه)

والتحرير السابع : بتاريخ اول كانون الثاني عام ١٩١٦ وفيه يقول الشريف بانه نظراً لرغبته فى اجتناب كل ما يكدر صفو التحالف الفرنسي الانكليزي لا يصر فى خلال مدة الحرب على مطالبه فيما يختص بجبل لبنان ولكنه سيطالب بها من جديد بعد أن تضع الحرب اوزارها .

والتحرير الثامن : بتاريخ ٣٠ كانون الثانى سنة ١٩١٦ وفيه اخذ السر هنرى مكماهون علماً برغبة الشريف فى اجتناب كل ما يكدر صفو العلاقات بين فرانسه وانكلترا واخبر الشريف بان الصداقة الانكليزية — الفرنسية ستستمر الى ما بعد الحرب »

وعلى ذلك ارتاحت الحكومة البريطانية لهذه النتيجة بعد مخابرات مستمرة تبلغ وثائقها الجلود الضخمة وانتهت المخابرات والمناقشات والمفاوضات بين الشريف حسين باشا وبريطانيا العظمى بخصوص مواد الصلح الاوضية وعليه وقع السر هنري مكماهون على المعاهدة البريطانية ـ الشريفية بالنيابة عن حكومة بريطانيا العظمى بعد ان بعث المشار اليه الى شريف مكة بالكتاب الآتي :

« امرت على ان ابلغكم ان حكومتي قبلت بكل مطاليبكم وانها تتعهد

بارسال كل ماطلبتموه . »

واما المطاليب الاخيرة التي وعدته الحكومة البريطانية بارسالها هي الذهب واللوازمات الحربية .

فهنا ظهرت المسئلة بكل جلاء لاغبار عليها . ويفهم القاريء الثمن الدي طلبه شريف مكة مقابل دخول العرب الحرب العامة في صفوف الحلفاء واني اترك مناقشة التحارير المذكورة ومحتوياتها ودرجة قبول المستشارين البريطانيين في الحكومة العربية المتصور تشكيلها وشكل الحكومة المذكورة من الوجهة الوطنية والقومية ودرجة ماهيتها الحقوقيــة والدولية الى: القراء الكرام . ولا الفت انظار القاريء الا الى نقطتان مهمتان الا وهما

اولا . ان انكلترا نفسها كانت تفاوض فرانسة — في الوقت الذي كانت تتخابر مع الشريف — لعقد اتفاقية لاقتسام البلاد العربية فوقعت انكلترا بعد ثلاث اشهر من تاريخ امضاءها المعاهدة البريطانية — الشريفية على اتفاقيه [سايكس — بيكو] فى ١٦ ايار سنة ١٩١٦ [١] تلك الاتفاقية التي جرت بينها وبين حليفتها فرانسة ، والتي قسمت البــلاد العربية الى مناطق نفوذ قسماً منها في منطقة النفوذ البريطــاني والشطر الآخر في منطقة النفوذ الفرنساوي .

ثانياً : ان انكلترا نفسها اصدرت (وعد بلفور) الشهير في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ قبل ان يبس حبر المعاهدة الشريفية ـ الانكليزية

[١] ونظراً للكتاب الانكليزي المسمى « الحقيقة فى ماين النهرين وسوريا وفلسطين » ان انكلترا وقعت على معاهدة سايكس — بيكو في شباط سنة ١٩١٦

وهذا هو نص (وعد بلفور) المجحف بحقوق العرب :

« ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى تستحسن فكرة انشاء وطن قومي لليهود وانها سوف تبذل مافي وسعها لتحقيق الفكرة المذكورة ويجب ان يعلم حق العلم انه سوف لاتدع الحكومة سبيلا الى اجراء اي عمل يوجب الاجحاف في الحقوق المدنيـة والدينيـة للجاليـات الغير الصهيونية الموجودة في فلسطين او حقوق او وضعية اليهود السياسية في البلاد الاخرى. » ومن هنا يفهم انه لاتوجد كلمة في الوعد المذكور بشأن الحقوق السياسية للجاليات الغيرالصهيونية في فلسطين وهذا خلاف مندرجات المعاهدة الانكليزية – الشريفية . اهكذا تكون معاضدة استقلال العرب ؟

في الحقيقة ، ان الحكومة البريطانية – بعـد افتتاح المفاوضات التي سط بالمسيو (جورج بيكو) اجراؤها في لندن في ٢٣ كانون الاول سنة ١٩١٥ تمهيداً لاتفاقية ايار سنة ١٩١٦ [معاهدة سايكس–بيكو التي سوف ننشر بنودها في محلها] – لم تتعهـد للشريف بشيءٍ جـديد سوى ما تعهدته له في خطاب السر هنري مكماهون المؤرخ ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩١٥ وهو الخطاب الوحيد الذي يمكن اعتباره اتفاقاً ا راعـ ين انكا را وبين شريف مكة ر بـ ريطانيا العظمى لم تتعهد بشيءٍ ىتعـ رض مع الاتفاقية الفرنسية – الانكليـزية التي عقدت وابرمت في ١٦ ا ر ١٩١٦ . ولكن ماكان في مستطاعة انكلترا ان لاتجرئ البلاد العربية هذه التجزئة الوحشة ؟ في ا ترك منا قشة ذلك وغيره مما يجول ، ال القارئ المدقق الى متفكرى الامة العر بية غير ا في اذكر القوم

بانه بعد مضي ستة اشهر على ابرام المعاهدة الشريفية ـ الانكليزية انتبه الاتراك من غفلتهم وشعروا بضرورة التفاهم مع العرب فكتبوا الى شريف مكة كتاباً يتعهدون فيه بالاعتراف باستقلال البلاد العربية فابرق الملك حسين الى المستر (بلفور) واخبره بالامر فاجابه هذا قائلا .

« ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى بالاتحاد مع حلفائها تؤكد ثانية اعترافها باستقلال العرب .» فبذلك قد اعترفت انكلترا وحلفائها مرة اخرى باستقلال البلاد العربيـة التي اشترط شريف مكة فيه قيد: « بكل ما يشمل معنى لفظ (استقلال) ولكن ما العمل ؟ المعاهدات ما هي الاسلاح للاقوياء وقصاصة ورق للضعفاء .

ومع انه عقب هذه الاعترافات تصريحات فرنسه وبريطانيا التي نشرت في سوريا عام ١٩١٨ ، تلك التصريحات التي ابان الحلفاء فيها انه غايتهم من خوض غمار الحرب وخاصة في بلاد الشرق التي كانت محكمة الابواب من قبل مطامع الالمان ، هو تحرير الشعوب المظلومة التي بقت تأن تحت نير الاستبداد التركي قروناً عديدة تحريراً تاماً وتشكيل حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من الاهالي باختيارهم .

وكل هذه التصريحات عـلاوة على الاعترافات الآنفة الذكر جاءت مثقلة لقيود الاستبداد ومستعبدة للشعب العربي الكريم فاين بقيت قضية تحرير الشعوب المظلومة تحريراً تاماً ؟ أفي سوريا التعيسة الحظ التي مزقتها فرانسه منذ واقعة (ميسلون) المشؤومة بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ ، ام في العراق البائس الذي فوبل اخيرا بمعاهدة ثقيلة لا يقل خطرها عن خطر الموت في الذل والهوان ؟

اما يتفضل القاريء فيسأل : كيف كانت الوضعية عندما عقدت انكلترا اتفاقيتها مع الشريف حسين باشا ؟ فيرى انها كانت في احرج المواقف السياسية والحربية ، فرادت ان تحصل على معاونة العرب فى الحرب على يد السر هنري مكماهون وبعد عام ونصف عام مضي على التحالف العربي -الانكليزي ارادت انكلترا ان تجلب قلوب الصهيونيين فاعلنت (وعد بلفور) سنة ١٩١٧ فوعدت الشريف حسيناً باستقلال البلاد العربية ضمن حدود مبينة ومعينة وهذه البلاد تشمل سورية الشرقية والعراق وفلسطين ايضاً ولكنها من الجهة الاخرى تفاوضت مع فرانسه لتقسيم البلاد العربية الى مناطق نفوذ [بمعاهدة سايكس-بيكو] في ذات الوقت ثم عادت فوعدت اليهود بتسهيل انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ثم أكدت الحليفتين فرانسة وانكلترا معاً لاهالي (البلدان المحررة!) التي اشتملت على فلسطين ايضاً ان غرضها المتبادل ومنفعتها المشتركة انشاء حكومات وطنية وادارات محلية تستمد سلطتها من الاهلين باختيارهم .

والظاهر مما حدث بالفعل هو ان الحكومة البريطانية في ذالك الزمن خبأت عن اصدقائها الصهيونيين مفاوضتها مع الشريف حسين باشا واخفت من الجهة الاخرى عن العرب مفاوضاتها مع الصهيونيين الى ان اعلن (وعد بلفور) ففوجيء العرب بأمر واقع [١] وبمسألة منتهية وبيان ان بريطانيا العظمى كانت فى حاجة الى مساعدة كلا الفريقين يوم كانت الحرب قائمة على قدم وساق ، فلم تنظر انكلترا الى مابين العرب واليهود الصهيونيون من المصالح المتضاربة والمنافع المغايرة هذا وقد التزم (لويد

[١] جريدة المورننغ بوست المؤرخة ٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ م

جورج) و (بلفور) وغيره من ساسة اليهود جانب الصهيونيين بصفة كونهم من اليهود فهظمت حقوق العرب .

هذه هي ملخص سلسلة المخابرات التي دارت بين الشريف حسين باشا وبين ممثل انكلترا في مصر السر هنري مكماهون فيما يتعلق بالقضية العربية عامة وفي ضمنها حقوق العراق. فاذاً يمكننا ان نقول ان : « مقدرات العراق السياسية » — بعد الحرب العظمى قد رسمت وتحددت في منطوق المعاهدة الانكليزية - الشريفية منذ شهر ايار سنة ١٩١٦ . فلنترك الآن سيادة الشريف في مخابراته مع انكلترا ولنعود الى ماكان من امر الاتراك والاتحاديين في ذلك الزمن :

فان الاتحاديين بعدما صفى لهم الجو في اوائل سنة ١٩١٤ باتفاقهم مع فريق من زعماء النهضة العربية وسكوت الفريق الآخر عن مطالبتهم بتنفيذ بنود الاتفاق انتهزوا الفرصة وشرعوا باحياء الروح الوطنية التركية واطفاء روح الجنسيات غير التركية فانشأوا جمعية تركية سموها (ترك اوجاغي) وفتحوا لها فروع تحت عنوان (تورك يوردي)و(تورك درنكي)و(تورك بلكيسي) و (تورك كوجي) ليثبتوا فيها الروح التركية وقد اثار هذا عصب العرب الحساس ولم يكتف الاتحاديون بذلك فحسب ، بل انهم كانوا قد ساقوا امامهم بعض الرذلاء وجعلوهم ينشرون النشريات الفاسدة الكفرية كما نشر عبد الله الافغاني في كتابه المسمى (قوم جديد) انواعاً من الكفريات والازدراآت على الاسلام والعرب فهاجت لذلك شعور العرب الحساسة واشتد النزاع بين العنصرين ولولا الاتفاق المعهود بين الطرفين الذي لم ينفذ منه شيء لتفاقم الخطب بين العرب والاتراك قبل ظهور الحرب العظمى

شنق احرار العرب من قبل جمال باشا :

بينا فيما تقدم كيفية الشقاق الذي اوقعته يد السياسة بين الترك والعرب وقد بقي ذلك الشقاق من دون ان تجدي وعود الحكومة التركية بالاصلاحات نفعاً لتقريب الطرفين حتى ظهرت الحرب العامة فى اوت آب ١٩١٤ وبظهور ان زعماء النهضة العربية اجلوا المطالبة بتنفيذ وعود الاصلاح .

وقد اعلن الاتحاديون التعبئية العامة فى البلاد العثمانية وجعلوا يقربون احرار العرب منهم فعينوا فى بداء الحرب الاوروبية الفريق زكي باشا الحلبي قائدا على الجيوش التي كانت مرابطة فى سوريا وقلدوا بعض الرجال من العرب بعض المناصب فخمدت نار البغضاء ودفع السوريون والعراقيون في سعة شهر كثيرا من الضرائب والاعانات الحربية وبقيت الحالة على طرز السكوت بين الترك والعرب الى ان عين جمال باشا خلفا للفريق زكي باشا في منصب القيادة العامة في سوريا في تشرين الثاني عام ١٩١٤ م

شرع جمال باشا يتظاهر بالميل الى العرب واخذ يقرب بعض احرار السوريين والعراقيين منه ويستشيرهم وينفذ رغائبهم الى ان امنوا جانبه واخلصوا له فاستعمل البعض منهم آلة واخذ يبعد تدريجاً ضباط العرب عن سوريا ويقنع بعض احرار العرب بقبول مناصب ملكية وعسكرية في خارج البلاد العربية ثم شرع يفتك بالعرب فنفى الشيوخ والنساء والاطفال الى الاناضول بدعوى ان بقاءهم في منطقة الحرب مضر بمصلحة

الجيش وسياق زعماء وادباء سوريا الى المشنقة بدعوى انه اثبت جرمهم السياسي اوخياتهم للدولة في الديوان العرفي المؤلف في (عالية) وهاك بيانه الرسمي المنشور في صحف سوريا في ٧ مايس سنة ١٩١٦ :

« لماجرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت عنوان (حزب اللامركزية) والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذى نشرته في اوائل آب سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا.

« ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب (المفيد) الذي القي القبض عليه اخيرا بعد ان ذكرنا في البيان السابق خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بدائة حيفا ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقاءهم الآخرين قد نور المسئلة من جميع اطرافها وسيق الى ديوان حرب عالية الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسئلة بدرجات متفاوتة مع من تبين ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها واعمالها . وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي اجراها الديوان العرفي في عالية صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التى غايتها ومقصدها سلخ سوريا وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بك احمد مؤيد العظم والامير عمر بن عبد القادر وعمر بن مصطفى حمد ورفيق بن موسى رزق سلوم ومحمد بن حسين الشنطي وشكري بن بدوي علي العسلي

صفحة ١٩٠



جلالة الملك حسين

وعبد الغني بن محمد العريسي وعارف بن محمد الشهابي وتوفيق بن احمد البساط وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب والشيخ احمد بن حسين طباره وعبد الوهاب بن احمد الانكليزي وسعيدبن فاضل عقل وتبروباولي وجرجي بن موسي الحداد وسليم بن محمد سعيد الجزائري وعلي ن محمد حاج عمر ورشدي بن احمد الشمعة وامين لطفي بن محمد حافظ وجلال بن سليم البخاري بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في المدبسة بصورة فرعية وهم سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن مخيبر سليمان بعشر سنين وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة وعلى رياض بن رضا الصلح بنفي مؤبد وعلى الامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين بالكريك وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل او التصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة الحاكمة وتثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم : رضا الصلح واسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما واعطي القرار بمنع محاكمة وسماعة كل من محمد افندي كامل الهاشم وابراهيم القاسم وسامي العظم ورشدي الغزي وعاصم بسيسوا الغزي وعزت الاعظمي ومصطفى الكيلاني وعبد الرحيم حنون والدكتور حسام الدين ونجيب شقير والشيخ فتح الله والدكتور احمد قدري وسليم الطبارة وجميل الحسيني والمفتي سعيد افندي الباني وسليم الشمعة وسليم البخاري وفائز الخوري ورشيد الختيمي وعمر الاتاسي والبكباشي علي رضا والدكتور امين قازما وسعيد عدره

والدكتور عبد الحفيظ واليوزباشي جميل وفريد باشا اليافي وعثمان العظم. ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد والامير عمر وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي ورشدي الشمعة ورفيق رزق سلوم جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام والآخرون جرى اعدامهم في بيروت وسائر المجرمين صار سوقهم الى منفاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تتردد ابداً في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد.

« وسينشر كتاب حاو على جميع الوثائق على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسئلة.

« ومن امعن النظر في الوثائق يفهم اولا: ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع مالديهم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية. وان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا في مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج. ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التشبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب الظنون بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لا اهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من الحكام عليهم حديثاً وقديماً وجاهاً وعيناً.

« وبناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ مايس ١٣٣١ المتضمن التدابير التي يتخذها الجهة العسكرية التوسل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجراآتها واتساع لابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون ح

الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرتهم وعائلاتهم من قريب او بعيد الى بعض ولايات الاناضول وقد اتخذت الاسباب الكافلة لاعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في المحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها وسيعطون هناك اراضي واملاكا قيمتها تعادل املاكهم واراضيهم التي يملكونها في سورية . واني اوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنية . على انه من الآن فصاعدا لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً مالم تظهر وثائق قوية تدل على خيانته .

الامضاء : « قومندان الجيش الرابع وناظر البحرية »

[احمد جمال]

هذا هو بيان جمال باشا وقد برهنت لنا الايام فضائحه فامتلئت قلوب العرب من اعماله غيضاً وحنقاً واشتد الخصام بين العنصرين بدرجات عظيمة عن ذي قبل ،

ورأى العرب عند مادهمتهم تلك المصائب المتوالية والنكبات العتيدة انهم وصلوا الى حال من الخطر لم يسبق لها مثيل فقرروا ان يطبقوا منهجهم وهو الالتفاف كلهم جمعياتهم واحزابهم وكل من نجا منهم من المذابح حول زعيم كبير من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الترك وان ينظموا تحت امرته قوة عربية كافية للوقوف فى وجه الاتحاديين وانقاذ الامة العربية من مخالبهم فلم يروا بين امراء العرب انسب من سيادة الشريف الحسين بن علي [هو بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسن بن ابي نمي نجم الدين بن ابي سعد الحسن بن علي

بن قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر ن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الامام حسن البسط بن الامام علي بن ابي طالب من زوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمد [صلعم] بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) ن مالك بن النظر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن (عدنان) بن اد بن ادد بن اليسع بن الهجسيع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن (ابراهيم) عليه السلام بن نارخ بن ناحور بن سروج بن وعو بن فالخ بن عابر (ابو قحطان) بن شالخ بن ارفكشاد بن سام بن (نوح) عليه السلام] شريف مكة واميرها . وقد القوا سيادته مدركا لشعور الامة العربية التي يعد نفسه منقذها والمسؤل عنها والمشارك لها في عواطفها واميالها فالقوا عنده عصا الترحال مستغيثين مستنجدين.

واني اعتقد ان فكرة الالتفاف حول شريف مكة وجعله ملكا على العرب لم تكن بعد وقوع فضائع جمال باشا بل انها فكرة قديمة كان قد ذكرها نجيب آزوري في كتابه المسمى (ثورة العرب) باللغة الفرنسية المطبوع في باريس قبل اعلان الدستور .

وكانت قد قررت جمعية الفتاة السورية (وغيرها من الاحزاب) وجوب التهيؤ للهرب الى مكة والالتفاف حول شريفها واميرها الحسين بن علي عند شروع جمال باشا بتبعيد ضباط العرب من سوريا عام ١٩١٥ وكان بين المبعدين المذكورين البيكباشي ياسين بك الهاشمي (ياسين باشا) والمرحوم

الملازم شريف افندي العمري اللذان كانا قد تفاهما مع الجمعيات العربية في سوريا واتفقا على وجوب تطبيق فكرة الالتفاف حول الشريف حسين كما سيفهم ذلك من كتاب المرحوم شريف افندي العمري الى الشريف حسين باشا الذي سندرجه فيما بعد. ولكن فلنسمع الآن جمال باشا وملاحظاته فيما يتعلق بالمسئلة العربية قبل ان نخوض فى بحث الثورة الحجازية. فقد قال جمال فى مذكراته:

« فى يوم وصولي الى دمشق اخبرني خلوصي بك والي سوريا بان لديه اموراً مهمة يريد محادثتي فيها. فاجتمعنا فى مساء اليوم نفسه فسلمني عدة وثائق خطيرة ضبطت فى القنصلية الفرنسوية قائلا انها تجعل عدداً من رجال سوريا ومن كبار موظفي العرب مسؤلين وانه لم يعمد الى اتخاذ اجراآت ضدهم بل ارجأ ذلك الى حين وصولي.

« اما هذه الوثائق فتدل على ان احرار العرب كانوا يعملون تحت حماية فرانسة وبارشادها ولمصلحتها. ولكن فكرت فى ان اتخاذ اجراآت قضائيه فى الحال ضد اولئك الخونة ربما عرض للخطر حركة الوحدة الاسلامية التي كانت ضالتنا المنشودة. اذ لو حاكمناهم لظنت حكومات اسلامية عديدة انقطع اتصالها بنا كمصر والهند والجزائر وفاس ان الاتراك قد اتخذوا خطة الانتقام لتحقيق سيادة العنصر الطوراني. وهذا ما تجنبناه فى هذه المعامع التي اشتركنا فيها لتحرير العالم الاسلامي من النير الاجنبي. فلذلك قررنا اخفاء الامر وجعله مكتوما.

« وقبل وصولي الى سوريا سلمت الى المحكمة العسكرية عدة وثائق خطيرة حكمت بها على ماهل مطران باشا البعلبكى بالاشغال الشاقة المؤبدة

فسيق لديار بكر مخفوراً . ولكن لما حاول الباشا الفرار ذات ليلة بالقرب من جرابلس قتله الحراس هناك .

« وبالرغم من الادلة التي وجدتها تجعل كثيراً من كبار السوريين مسؤلين ، فكرت في ان هؤلاء سيدركون بعدئذ ان الحرب العظمى ليست الا مسئلة حياة او موت للعالم الاسلامي وانهم سيصرفون النظر عن اعمالهم . فلذلك عمدت على عدم اتخاذ الاجراآت ضدهم . وبما اني كنت شخصيا موافقا بادئ بدء على استعمال اللغة العربية ومنح العرب بعض امتيازات فى الامور الادارية اجتمعت بعبد الكريم الخليل احد زعماء الحركة العربية فلاطفته ثم اجتمعت بواسطته بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر وبعبد الغني العريسي وبمحمد كرد علي وغيرهم فبسطت لهم خطة الحكومة واكدت لهم ان تحرير العالم الاسلامي من النير الاجنبي ممكن تحقيقه لو انتصرنا فايقنوا كلهم بصدق كلامي واقسموا بالله وبشرفهم أن تبقى عرب سورية وفلسطين موالين للحكومة ما دامت الحرب . ولكنهم شرعوا بتبيان حاجتهم الى المال للقيام بواجب الموالات فاعطيت الى عبد الكريم ومحمد كرد علي وعبد الغني العريسي اموالا طائلة واجنحوا من ذلك الحين مساعداً مطيعين لاوامري .

« وكنت قد خطبت فى حفلة اقيمت في دمشق لزعماء الحركة العربية بينت فيها اننا مخلصون للغة العربية لغة ديننا الحنيف واننا نحب الشعب العربي ونجله اذ تجمعنا واياه الوحدة الدينية والعقيدة المشتركة واكدت لهم ان الوسائل التي اتخذت فى العام الماضي لمساعدة العرب على تحقيق امانيهم ستكرر وان البرنامج الذي عقد حزبنا عزمه على تنفيذه بحذافيره

لاصلاح حالة العرب لاوسع بكثير مما قد يخطر ببالكم .

« وابنت للحضار بأني لااوجس شراً من بقاء العنصرين العربي والتركي متحدين وتابعين لخليفة واحد مع انفصال احدهما من الآخر كشعبين متحالفين . ولكن لادراك تلك الغاية يجب علينا ان نطرد الغشاشين الذين باعوا وطنهم وثينهم للعدو . وقلت لهم : يجب ان تتأكدوا من ان حركة الجامعة التركية التي شهدتموها في الاستانة وفي الجهات الاخرى لاتخالف المطامع العربية . لانكم تعلمون ان في البلاد العثمانية حدثت حركات بلغارية ويونانية وارمنية . والآن يوجد فيها حركة عربية . ولقد نسي الاتراك وجودهم بالمرة الى حد انهم كانوا يخشون ذكر شعبهم فالروح الوطني رقد رقوداً حتى لقد خيف على الشعب التركي ان يتلاشى نهائياً . فدرءاً لذلك الخطر المقبل نهض رجال تركيا الفتاة فلجئوا الى تعليم الاتراك الروح القومي والوطني وما يصحبه من الفضائل . هذا هو الغرض الذي يرمون اليه الاتراك وبذلوا فيه جهودهم في خلال العامين الماضيين . واني اؤكد لكم ان الاماني التركية والعربية لاتتعارضان مطلقاً . فالاتراك والعرب ليسوا الا اخواناً في غاياتهم الوطنية ولربما كانت مجهوداتهم بعضها متمم لبعض واني اناشد الشبان الاتراك والعرب قائلا : ان هذين الشعبين مقضى عليهما بالفناء لامحالة في اللحظة التي يتشاحنان فيها . وانه لمن اشد بواعث الاسف والحزن ان تنجح المحاولات الشيطانية التي يقوم بها اعداء الدين والوطن لبذر بذور الشقاق بيننا . فعلى الاتراك والعرب ان يحبوا بعضهم بعضاً ليتمكنوا من ان يجنوا معاً ثمار مجهوداتهم المشتركة .

« وقد احدثت هذه الخطابة اثراً كبيراً فى نفوس الحاضرين . فجاء فى اليوم نفسه كثير من وجهاء القوم الى مركز القيادة لتقديم الشكر الي علي ماورد فيها وقابلها المصلحون [الطالبين الاصلاحات من العرب] بالارتياح التام . وفى خلال بضعة الايام التالية تجمع سكان المدينة باعلامهم شرادم شرادم واقسموا بالقرآن الكريم ليكونن اولياء للحكومة وليبذلن كل مافي وسعهم من المساعدة دفاعاً عن حقوق الاسلام ضد الانجليز والفرنسيين . ولا يسعني مقارنة بين ماوصلت اليه الحال اليوم وبين المظاهرات الدينية التي جرت وقتئذ في دمشق وحلب وحما وحمص وبيروت بل في لبنان ايضاً .

« فالسياسة التي اردت اتباعها في سورية كانت كما ذكرت آنفاً سياسة نصح وتسامح ولم اترك فرصة الا انتهزتها لتوحيد الافكار والشعور في سائر الممالك العربية . فقد كتبت مثلا الى وجهاء اهل بغداد وكربلا والنجف والى عدد من مشائخ العراق الذين تمكنت بيني وبينهم اواصر المودة اثناء اقامتي في بغداد ثم الى بن السعود وابن الرشيد طالباً منهم ان يمدوا يد المساعدة الى سليمان عسكري بك الذي نفر ومعه فرقة وفوج (عثمانجق) التابع للتشكيلات المخصوصة لصد الانجليز الذين كانوا محتلين البصرة وما جاورها . وارسلت كتاباً خاصاً الى الامام السيد يحي حميد الدين الفت فيه نظره الى ضرورة انضمامه الى كتائبنا في اليمن . وقد جائتني الاجوبة من اولئك الزعماء وفيها يؤكدون اخلاصهم للخلافة . ووصلت الي كتب كهذه ولو انها مبهمة غامضة من الشريف حسين الذي كانت المكاتبات دائرة بيني وبينه .

ولما كنت اعرف ان خير الوسائل لعدم تنفير العرب هي اجتناب الاستيلاء على شيءٍ ما من حاصلاتهم ودفع ثمن كل ماتحتاجه نقداً لهم فقد اصدرت الاوامر بان لايؤخذ شيءٌ مطلقاً من اهالي سورية وفلسطين في منطقة الجيش الرابع ولن يكون دفع ثمن مايؤخذ منهم فوراً . »

ثم بين جمال باشا مجاملته العرب ومسيحي سوريا وفلسطين وبرهن على اتصال البعض منهم بالقنصلية الاجنبيـة وعلى سؤ نوايا رجال الاصلاح الى ان قال : « زارني في اواخر حزيران الشيخ اسعد شقير مفتي الجيش واخبرني بان الثورة قد بدأت علاماتها في سوريا وان في استطاعة كامل بك الاسعد مبعوث بيروت اعطائي المعلومات عنها فاحضرته وقال لي كامل بك انكم وضعتم ثقة كبرى في جماعة الاصلاح وخولتموهم حرية مطلقـة في البلاد ولكني اخشى ان يكون اساؤا استعمال تلك الثقة فالآن ينظم رضا بك الصلح مبعوث بيروت الاسبق وعبد الكريم الخليل عصياناً في جهتي (تيرا) و (صيدا) ولو تفضلتم باجراء التحقيق لتبين لكم صحـة كلامي . هذا ماقاله لي كامل بك .

« وقد فكرت ان في اخلاق العرب نقطة ضعف كبرى : اذلا يكاد احدهم يصبح ذا حضوة او يكون مقدماً على غيره حتى تشتعل نار الغيرة في صدور الآخرين فيعمدون الى اعمال التهييج ضده . ولما اسفر التحقيق عن مسؤولية كل من رضا الصلح وعبد الكريم امرت بالقبض عليهما وعلى شركائهما .

« وفي ذلك الوقت ايضاً عثر موظفوا قلم الاستخبارات على بعض المكاتيب الواردة من القاهرة تحث منوري العرب على القيـام بالثورة ضد الدولة العثمانية بدعوى ان تركيـا سوف تخرج من هذه الحرب مخضودة الشوكة

وستصبح اذ ذاك البلاد العربية عرضة لاستيلاء الاجانب فيقتضي ان يذود العرب عن استقلالهم المهدد. فقد استدللت من ذلك ان جماعة الاصلاح من العرب لم يعدلوا عن فكرة العصيان فى سوريا وفلسطين. ولكن كنت متعجباً من اظهار عبد الكريم وجماعته الولاء للحكومة عند نشوب الحرب الى الآن. وفي حزيران سنة ١٩١٥ بداء عبد الكريم الخليل اعماله فى التمهيد للثورة وفي هذا الوقت ايضاً تبودلت الرسائل بين الانكليز وبين الشريف حسين. تلك الرسائل التى لم يكن لي علماً بها في ذلك الوقت.

«وقد أستمرت المخابرات التي بدأت بيني وبين الشريف فى تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وكانت بكل جدية واحترام. ووعد الشريف بان يشد ازر حملة القناة الثانية التي تحدد لها شتاء سنة ١٩١٥ بفيلق من الحجاز. ومع انى كنت موقناً ان امثال رفيق العظم والشيخ رشيد رضا وعبد الكريم الخليل لا يترفعون عن ان يبيعوا انفسهم للانكليز والفرنسيين ولقد استبعدت ان رجلا مجرباً كالشريف حسين باشا شاب لحيته تصل به النفرة الى المغامرة بمشروع يؤدي تطوره الى اذلال العرب.

« وفي ذلك الوقت هاجموا البدو بحارة الطرادة الالمانية (امدن) بالقرب من (جدة) على اثر نزولهم بشاطيء الحجاز قريباً من (العسير) ووقع فى قلبي ان هؤلاء البدو ماهجموا هذا الهجوم الا بايعاز من الشريف حسين وانه اراد بذلك العمل التقرب من الانكليز والتظاهر للعرب برغبته فى منع الكفار من دخول الاماكن المقدسة.

« وكان الانكليز وقتئذ محاصرين السواحل العثمانية جمعاً ماعدا شاطيء

الحجاز فقد سمحوا لزمايقة العرب ان يستوردوا من الموانئ المصرية كل ما ارادوه من الاطعمة والحنطة . ولم ار غضاضة في ذلك نظرا للمجاعة التي اوشك ان يقع فيها بدو الحجاز واهلوه وسكان الاماكن المقدسة ولقد زال بهذه الطريقة قلق سوريا التي لاتكاد تكفي لسد حاجة سكانها من المؤن .

« اما محاكمة عبد الكريم وعصابته فقد استمرت طول شهري حزيران وتموز . وكلما اوغلنا في المحاكمة تبينت تدريجاً اغراض الثوار وتكشفت للملأ سوآتها . ولقد دهشت لعظم شبكة الدسائس التي نسجوها ونصوها ولم يكن فى سوريا اذ ذاك من الجنود سوى الافواج العربية . فلو خطرت لها فكرة التمرد لما كان لدي ثمة وسيلة لمنع الثورة وتسكينها . وكانت معركة الدردنيل دائرة اذ ذاك بمنتهى الشدة والعنف فكان سحب فوج فضلا عن فرقة من تلك الجبهة غير مستطاع .

« ولما كانت الحال تقضي علي بتحذير كل العاملين لخلق القلاقل والساعين فيها رأيت من الضروري نظراً للحالة العامة وبالنسبة للسلطة المحولة لقائد الجيش في الظروف الاستثنائية ان اؤيد الحكم الذي اصدرته المحكمة العسكرية وان أمر بتنفيذه في الحال غير منتظر التصديق الهمايوني اذ انه يمكن الحصول عليه فيما بعد وقد حصلت بالفعل على تصديق وزيري الحربية والداخلية . ولقد اطلعت على محاضر المحكمة العسكرية . وبعد الفراغ منها واستشارة قاضي القضاة ايدت حكم الاعدام الذي نفذ في بيروت في اليوم التالي وكان هذا في نهاية شهر آب سنة ١٩١٥ وقد احدثت هذه الاحكام ذعراً كبيراً في نفوس العصاة وادخلت الرعب في

قلوبهم .

«ولم يكتف الشريف بفتح المفاوضات بينه وبين الانكليز بل لقد بلغت به الجسارة ان يبعث الي بابنه فيصل ليخبره بما جريات الاحوال فى سوريا . وفي ايلول سنة ١٩١٥ حضر الشريف فيصل [جلالة ملك العراق الحالي] الى سوريا وثم واصل سيره الى الاستانة . ولما حظى بمقابلة جلالة السلطان عرض له ولاءه وعبودية والده واهله ثم عاد الى سورية بعد ان اكد لسائر الوزراء اخلاصه للحكومة العثمانية وقد قابلته عند عودته بكل احترام وتعهد فيصل عن لسان ابوه ان يرسل الى فلسطين فيلقاً من المجاهدين المتطوعين عدده ١٥٠٠ بقيادته للاشتراك فى القتال . وقبل ان يغادر فيصل القدس القى خطبة مسهبة على موظفي مركز القيادة واقسم فيها بان يعود عن قريب على رأس المتطوعين للمساعدة على قتال اعداء الدين الى ان يموتوا شهداء . هذا من جهة واما من الجهة الاخرى فالشريف حسين ابو فيصل كان قد كتب التحريرين المؤرخين ٩ ايلول سنة ١٩١٥ و ٥ كانون الاول ١٩١٥ الى الانكليز فاخذ يعد العدة للقيام بثورة مهمة في الوقت الذي كان ولده فيصل يظهر لنا الولاء والاخلاص . ولكني ما كنت اعرف وقتئذ شيئاً عن نوايا الشريف حسين .

«وبينما كانت محاكمة تلك العصابة العربية الثانية المتهمة بتهمة الخيانة جارية واصلت سلسلة الرسائل الودية بيني وبين الشريف حسين . وفى كانون الثاني سنة ١٩١٦ وصل الشريف فيصل الى دمشق يقدم حسين فارساً من مكة وقد اتخذ داري مقاماً له لمساعدتي فى تجهيز الـ ١٥٠٠ هجان وفي ارسال المهمات اللازمة الى مكة المكرمة .

« وفي شباط ١٩١٦ حضر انور باشا في دمشق لزيارة الجيش فتوجهنا الى المدينة المنورة ومعنا الشريف فيصل . وفي خلال تلك الزيارة وصلت الينا جملة من الهدايا المختلفة من الشريف حسين ومن بينها سيف الشرف وهو عند العرب اكبر دليل على الصداقة . ولكنه في الوقت الذي كان يظهر فيه ولاءه بهذه الاساليب كان منهمكا فى تقديم اقتراحات معينة للانكليز من شأن تنظيم الثورة العربية .

« ولقد استمرت محاكمة المتهمين حتى بعد عودة انور باشا الى الاستانة وعندئذ ظهر الشريف بمظهره الحقيقي . فأن انور باشا عقب عودته ارسل الي برقية بالجفر وصلت اليه من الشريف فحواها : « اذا كنت حقاً ترغب في التزامي جانب الهدوء والسكينة فينبغى الاعتراف باستقلالي فى سائر انحاء الحجاز من (تبوك) الى (مكة المكرمة) وجعلي اميرا وراثياً فيه كما ينبغي ايضاً العدول عن محاكمة العرب المتهمين واعلان العفو العام فى سورية والعراق. » وكان معنى البرقية غامضاً الى حد ان انور باشا اخبرني انه عجز عن فك طلاسمها . وفي الوقت نفسه رجاني فيصل — وربما كان ذلك عملا بتعليمات ابيه — ان اظهر للمسجونين شيئاً من السخاء والتسامح . فارسلت في طلب فيصل عند وصول برقية انور واحضرت علي فؤاد بك رئيس اركان حربي ليكون شاهداً المحادثة بيني وبينه فقلت له : « لما سمعت عند عودتى من المدينة بان اخاك علي اخذ يتدخل في سلطة والي المدينة ويدعي لنفسه حقوقاً يعتبرها جزء من سلطته بصفته اماماً عزوت اعماله هذه الى حداثة سنة وعدم تجاربه . وقد كلفت الوالي بان يطلب اليه الكف عن هذه الاعمال فيما بعد وبلغت

أباك ايضاً ان ينهره . وفى محادثاتنا العديدة السالفة اعلمتك بانى شخصياً ابذل مافي وسعي لمحافظة حقوق الامام وقد اخبرك اباك بذلك تحريراً وجاءني منـه اجوبة اعرب فيها عن عظيم شكره وامتنانه . واظنك فى الوقت نفسه تعرف بان لابيك اعداء غير قليلين من بين اسرته . والبعض من هؤلاء الاعداء موجودين الان فى الاستانة وهم يعملون يومياً لاثارة الشكوك فى الحكومة ضده . فخير طريقة لكم هو اجتناب القيام او التفوه بكل ما من شأنه ان يعطي اعداءكم حجة عليكم واقرأ هذه البرقية وانظر كيف يسير اباك فى الطريق العوجاء فقرأ فيصل البرقية بلهفة فقال :

« مولاى ! لا يمكنك ان تتصور مبلغ الغم الذى اثارته في هذه البرقية ولا شك عندي في انها نتيجة سوء تفاهم كبير . واني اؤكدلك بصراحة ان ابى لا يقصد شيئاً ضاراً بها . انك تعرف انه لا يحسن فهم اللغة التركية فمن المحقق ان هذه البرقية انما كتبت بيد كاتب عاجز عن فهم النص العربي فترجمها هذه الترجمة المحرفة . ومعـاذ الله ان يخطر ببـال ابى مثل هذا الخاطر !! »

قال جمال باشا : « وظهرت على وجهه علامات الاضطراب فرأى ان يكتب في الحال الى ابيه يسأله العدول عن نياته وبناء على هـذه المحادثة ارسلت الى الشريف حسين البرقية التالية :

« لقد نمي الي خبر برقيتك الى انور باشا . فانت تطلب ان تكون الامارة وراثية فى اسرتك وان يمنح اشخاص عديدون العفو الشاهاني بعد ان قامت البراهين على خيانتهم للوطن والملة . وليس من المستطاع اجابة هذا

الطلب الثاني لضرره في المصالح العامة.فان الحكومة التي تصفح عن الثورة جديرة بان تتهم بالضعف ويغري ذلك كثيراً من الناس بالخيانة ولو عرفت محتويات الوثائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت الى اي حد وصل اولئك المتهمون اما فيما يختص بجعل الامارة وراثية في اسرتك فان الفرصة الان ليست مناسبة للمطالبة بذلك فاني في وقت الحرب الذي تتعرض فيه كل قوى الانسان العقلية والجسمية لاشد العناء اراك تعترف معي بان الاعراب عن مثل تلك الرغبات من شخص يشغل مركز امام وفى اهم بقعة من بقاع الدولة العثمانية لابد ان يكون له اسؤ وقع فى نفوس الجمهور واني اعتقد انه ما كان ينبغي لك ان تطلب مثل ذلك الطلب حتى لو كنت محق فيه . فأن موارد الامة باسرها ينبغي ان تحشد اليوم لغرض واحد الا وهو احراز النصر النهائي . ومع ذلك لو فرضنا ان الحكومة لبت طلبك لمجرد الرغبة فى مصادقتك في هذه الاوقات العصيبة ثم لو فرضنا اننا انتصرنا في النتيجة فما الذي يمنع الحكومة ان تعاملك بمنتهى الشدة بعد الحرب ؟ ولتعلم ان الرجال الذين كونوا الحكومة الحاضرة والذين جرؤا على القيام فى وجه السلطان عبد الحميد لا يصفحوا عمن يجترئ على شل ايديهم فى هذه الحرب التي دخلوها لمصلحة العالم الاسلامي . وفي ذات الوقت لن يتأخروا عن استحصال جزيل الانعام من جلالة الخليفة لكل من عمل ابتغاء لمرضاة الله ولتحقيق غاياتنا المقدسة . »

قال جمال : « وبينما كنا نتبادل تلك الرسائل كانت المحكمة العسكرية في (عالية) اصدرت حكمها . فجاهد فيصل للحصول على عفو المجرمين وكان يحضر الي كل يوم ويحول مجرى الكلام الى جهة العفو . وقدسمعت

احياناً أنه كان يعنف اعيان دمشق الذين يذهبون لزيارته لعدم قيامهم بشيء ما لا نقاذ مواطنيهم . وفي يوم الجمعة دعاني للغداء معه في مزرعة (كابون) وجرت المناقشة بالموضوع نفسه بعد الطعام فسألته عما اذا كان بعلم مبلغ جريمة المتهمين . فاجاب كلا . فقلت له لو عرفت التفصيلات لاسفت أشد الاسف على توسطك في الصفح عنهم .. الخ » الى ان قال : « وفي اليوم الذي نفذ فيه حكم الاعدام على المتهمين حضر الي محمد باشا العظم مبعوث دمشق وقال : انه من العار الشديد كلما تذكرت ان امثال اولئك الاشخاص هم من اعضاء اسرتي . انك قد احققت الحق . »

« ثم مر شهر على هذه الحوادث وجاءني رد الشريف حسين على البرقية التي ارسلتها اليه . فاستنتجت من جوابه ان كلامي كان لها الوقع السيء على نفسه . فقد اشار باصدار العفوا العام لمصلحة الحكومة . ثم شكى من والي المدينة قائلا انه يأبى ان تسلب منه بلا سبب حقوق منحها اياه الخليفه ولما كان قد اصبح في ذلك الوقت سلوك الشريف علي حيال بصري باشا والي المدينة مما لا يطاق طلبت حالا حضور الشريف فيصل واطلعته على رد ابيه ثم انذرته بانه اذا لم يكف اخاك عن تدخله فلابد من استعمال القوة الحربية ضده ثم قلت :

« اني لا استطيع ادراك الغرض من تلك اللهجة التي استعملها ابوك في الايام الاخيرة ولا المسلك الذي سلكه اخوك في المدينة . انهم من جهة مشتغلون بتجهيز قوة من المتطوعين لحملة القناة والحكومة باذلة جهدها في امدادهم بالمال والرجال ولكن من جهة اخرى قد بدأت علامات الانفصال من قبل ابيك وكل هذا في حين ان اخاك علي ينهج

منهجاً يتفق مع دعاوى ابيك . واني اريد ان افهمكم بانكم اذا اردتم ان تظلوا اصدقاءنا فعليكم بمراعاة قوانين الصداقة . والا ان تلجأوا الى السلاح وتجنحوا الى ثورتكم في الحال . واما اذا كنتم لاتضمرون الشر فاكتب الى اخيك علي ليحضر الي في الحال وليكف في المستقبل عن الاعتداء على سلطة الوالي .

« وقد اضطرب فيصل من كلماتي هذه فقام من مقعده والتفت الي فقال: [عفواً كيف يخطر لك ان تعزوا الينا ذلك ؟ وكن على ثقة من اني سوف اسوى الخلاف القائم بين اخي والوالي نصري باشا وسأكلفه بالحضور الى عندك .]

« وكان علي فؤاد بك رئيس اركان الحرب حاضراً ذلك الحديث . وقد اخبرني الشيخ اسعد شقير فيما بعد ان فيصلا ذهب الى دار علي فؤاد في حالة تهيج واخبره انه يخشى نظرا للغضب الذي كان مستولياً على ان امر بالقبض على اخيه واعدامه في دمشق .

« كل ذلك حدث في اوائل نيسان سنة ١٩١٦ وقد كان جلياً ان الشريف حسين كان منذ اول كانون الثاني سنة ١٩١٦ على اتم اتفاق مع الانكليز وبقي يراقب الفرصة الملائمة لرفع علم الثورة . واني وايم الله لو علمت ذلك وقتئذ لكنت امرت غير متراخ بالقبض على فيصل في دمشق وعلى اخيه علي في المدينة ولارسلت فرقة تركية الى مكة للقضاء على تلك الثورة في مهدها

« وكان تحت تصرف الشريف حسين وقتئذ ما ينيف على خمسين اوستين الف جنية ذهباً لتجهيز فرقة المتطوعين البالغة ١٥٠٠ شخص لحملة

القناة . وكذلك كنت ارسلت البنادق اللازمة الى المدينة في اواخر نيسان سنة ١٩١٦ وكان مقررا ان ترسل منها الى مكة . ولما تغيرت لهجة الشريف حسين تحذرت فاعتذرت بصعوبة النقل وكتبت اليه ان يرسل المتطوعين الى المدينة سيرا على الاقدام وبدون سلاح وهناك تصرف لهم البنادق .

« وفي منتصف مايس سنة ١٩١٦ اخبرني فيصل ان اخاه علي قد تلقى امرا من ابيه بالانضمام الى جيش سيناء وانه هو [فيصل] يرغب —بعد استئذاني — في الذهاب الى المدينة لبجيء باخيه الى القدس . وا كدلي ان ذهابه سيؤثر في نفوس المجاهدين تأثيرا حسناً فادركت فورا انه يحاول ان يخدعني بتلك الوسيلة ولكنني آثرت ان اكون انا الغالب ففكرت قليلا ثم قلت له : حسن جدا اذهب الى المتطوعين في المدينة واستقبلهم باسمي ثم اتني بهم هناوسأمر مصلحة السكة الحديدبنقل الجنود وارسل معك بعض العلماء ليكونوا في ركابك وبذلك تتمكن من تأليف وفداً خاصاً لاستقبال المجاهدين.

« وما كدت افرغ من هذه الكلمات حتى نمت اسارير وجهه وكادفؤاده يطير فرحاً فتجلت لي الحقيقة كلها وتكشفت . حتى لقد التفت الي على فؤاد بك رئدس اركان حربي قائلا: انني واثق بان الثورة سيشب ضرامها في الحجاز قريباً فأني قد رأيت فيصل قد فرح اشد الفرح بدرجة لم يتمكن من اخفاء شعوره .

« وكان قد وصلت من الاستانة الى المدينة المنورة حوالي ذلك الوقت قوة مؤلفة من الفين او ثلاثة الاف جندي لتكملة ملاك فيلق اليمن وكان

قد بذل والي المدينة جهده في خلال الاسبوعين السالفين للحصول على الجمال اللازمة لنقلها فاخبرني بصري باشا بان هناك اشاعة بأن تلك القوة سيوقعها البدو في كمين بين مكة والمدينة على اثر الخطب المهيجة التي القاها الشريف حسين . فابرقت الى الوالي ان يبقي تلك القوة في المدينة الى ان تصدر اليه اوامر اخرى وان يكون على حذر واستعداد تام للدفاع عن المدينة نظراً لسلوك الشريف حسين الباعث على الريبة .

« وبعد ان غادرنا فيصل صممت على ارسال فخري باشا الى المدينة وكان هذا القائد مشهورا بوطنيته وثباته . فشرحت له الحالة ورأيي فيها واخبرته بأني متوقع ان يثور الشريف حسين قريباً . ثم طلبت اليه ان يذهب الى المدينة بحجة زيارة الروضة الشريفة وان يرتب مع بصري باشا وسائل الدفاع اللازمة عنها . واعطيت كلا من بصري وفخري التعليمات السرية نفسها وهي تقتضي بأن يستلم فخري باشا عند نشوب الثورة القيادة العسكرية وان يقوم بصرى بالادارة الملكية . واحتياطاً للطوارئ امرت ان تبقى ثلاث افواج وبطريتان جبليتان في دمشق على استعداد تام للزحف في الحال على المدينة ولم تعلم الجنود شيئاً عن الجهة التي ترسل اليها .

« ولما وصل فيصل الى المدينة كتب الي يخبرني بسروره لان اخاه علياً سيقابلني قريباً . وبما ان الشريف حسين قد سألني ان ارسل اليه مبلغاً من النقود لصرفها على المجاهدين ابرقت الى والي المدينة ان يسلمه المبلغ المذكور وذلك قبل نشوب الثورة بيوم او يومين .

« وبينما انا ببيروت في اليوم الثاني من حزيران سنة ١٩١٦ زائراً واذا بفخري باشا يدعوني من المدينة لمحادثتي تلفونياً . فوقع في نفسي انه

سيفضي الي اخباراً سيئة فقال لي : « من يوم وصولي الى هنا مازالت علاقاتي حسنة مع كل من الشريف علي وفيصل وقد دعواني منذ يومين لزيارة مقام (سيدي حمزة) حيث هناك معسكر المجاهدين فتغدينا معاً . وجعل المتطوعون يلعبون الالعاب واخذوا يترنمون بالاغاني الحماسية والضربات القاضية التي سينزلونها بالانكليز . وفي مساء الامس دعيت الى منزل الشريف علي وفيصل . وكان قد تقرر ان تذهب الى درعا في خلال يومين اول كتيبة من المجاهدين ولكني صباح اليوم رأيت الحالة قد تغيرت غريباً فقد جاء الي احد رجال الشريف علي واعطاني ثلاث مكاتيب : الاول لي والثاني من الشريف حسين لك والثالث منه ايضاً للصدر الاعظم وبما ان الكتابان الاخيران مكتوبين بالحفرة قد عجلت بارسالها اليك . اما الكتاب المرسل الي فقد كتب الامير علي فيه مانصه : « بناء على الاوامر الصادرة من ابي سيقف نقل المتطوعين الى فلسطين . ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين الى مكة بدلا من ضياع الوقت هنا . واني آسف لاضطراري الى الرحيل بدون ان اودعك . فالمرجو قبول عذري . » واما الخطابان اللذان ارسلهما الشريف حسين بالحفرة فلم استطع قراءتهما . وقد ارسلت في الحال كتيبة الى المكان الذي اقام فيه المجاهدون بالامس فوجدته خاو على عروشه . ونظراً للمعلومات التي استسقيتها من شيوخ العرب الموالية ان الامير علي لم يذهب الى مكة ، بل انه قد قسم قوته الى ثلاث اقسام وارسلها الى جهات مختلفة . واظن أنها ستهاجم السكة الحديدية هذه الليلة او في صباح الغد على اكثر تقدير وان علي سيعطل مواصلاتنا بين المدينة وسورية وسيقوم ومعه

قوته كلها بهجمة فجائية على المدينة . ولذلك وبناء على تعليماتك تسلمت قيادة الجنود المرابطة هنا واعددت جميع معدات الدفاع استعداداً للطوارئ فالأمل الا تتركنا بلا امدادات ! » هذا ماقاله فخري لي . فاجبته بأني سآمر حالا بأن تذهب الى المدينة الجنود التي كانت مخصصة لها وسألته هل يريد امدادات اخرى ؟ ثم امرته بفك رموز الخطابين المرسلين من الشريف حسين الي والى الصدر الاعظم . فاذا هو يعتذر فى اولهما عن عدم استطاعته الاشتراك فى الحملة على القناة الى ان تجاب الطلبات التي طلبها في برقيته المرسلة الى الصدر الاعظم والى ان يكف عن اتباع خطة الابهام حياله .

« اما خطابه الى الصدر الاعظم فقد قال فيه : انه لايعرف اي الرجلين يصدق . اهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما اظهر له المجاملة والود أم ذاك الذي استعمل معه الفاظ جارحة مهينة . فهو يرى نفسه مضطر الى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من انور باشا منذ شهرين .

« وكنت انا المقصود بالسياسي الذي عامله بالمجاملة واما الآخر الذي يقول انه عامله بغلظة فيريد به انور باشا لانه كان ارسل قبل ذلك بثلاثة اسابيع برقية الى الشريف حسين امت فيها نظره الى وجوب تغيير اتجاه على سلوكه السيء حيال والى المدينة .

« ويجب ان نقرر هنا ان الشريف حسين لما لم يجد ذريعة اخرى للثورة اعتزم ان يتذرع بلهجة الخطابات فاغتنم الفرصة ورفع علم الثورة .

« وكنت قد سلمت لفيصل قبل دعاه الى المدينة مفتاحاً للحفرة

فوردت الي منه الرسالة الآتية بتلك الجفرة : « لقد اصدر ابي الامر بتوقيف نقل المتطوعين الى سورية لاسباب اؤمل ان اشرحها لك شخصياً متى تشرفت بلقائك قريباً . وان الحالة التي نشأت الآن اساءتني جداً ولما كان من بواعث الالم ان تقع علي عيناك مرة ثانية قبل تسوية الامور تسوية مرضية فأتشرف باخبار سعادتك بانني ذاهب الى المدينة لتمضية بعض الوقت . » فانقطعت العلاقات مع الشريف حسين واولاده اذ انهم هجموا على السكة الحديدية في شمال المدينة بعد نشوب الثورة بيومين او ثلاث .

« ولقد قرأت في احد اعداد جريدة القبلة سنة ١٩١٨ التي تصدر في مكة المكرمة خطاباً للشريف حسين يقول فيه لاحد سادة العرب : « منذ ان تبوأت الامارة وضعت امام عيني هذا الغرض الاسمى الا وهو تحرير العرب . فلم ادخر وسعاً لتحقيق تلك الغاية. وقد كان لاجلها اني وطدت العلائق بيني وبين كبار القبائل العربيه . ومما يدلك على عظيم مجهوداتي اشتراكي في حملة العسير عندما ارسلت قوة مسلحة بقيادة ولدي عبد الله لرد الغزوة التي قام بها ابن الرشيد باغراء الترك على ابن السعود . . . . الخ » ولعمري ان هذا لهو دليل واضح على ان الشريف كان ينوى القيام ضد الدولة العثمانية منذ تبوأ الامارة . ولا شك في ان سائر ولاة الحجاز كانوا قد شعروا بمقاصده واخبروا الاستانة بها . وقد برهن وهيب باشا الذي كان والياً في الحجاز ان من اللازم ارسال فرقتين اقلا الى مكة لخلع الشريف حسين باشا وتولية خلف له ولكن الحكومة رفضت تلك الاجراآت.

« ومتى سنحت لي الفرصة لنشر الرسائل التي تبودلت بيننا في خلال

عام اوما يزيد وسأظهر للملأ من الذي كان مسؤلا من نتائج تلك الثورة المشؤمة ومن الذي سبب حدوثها وكيف كانت علاقات مجرمي العرب بفرانسة وانكلترة ؟.....

«ومن محص الوثائق التي وقعت بايدينا والتي نشرناها يدرك ان الحكومة الفرنسية بذلت اقصى جهدها لتمهيد الطريق لضم سورية بحجة حماية العرب. فهل يوجد من يشك في نيات انكلترا نحو العراق وفلسطين ؟ لعمري ان الذين يدعون انهم لايعرفون شيئاً عن تلك المانورات أما ان يكونوا قصار النظر واما ان يكونوا قد باعوا ضميرهم ! فلنفرض جدلا ان الشريف حسين كان يجهل اثناء مفاوضاته مع الانكليز الى شهر حزيران سنة ١٩١٥ نيات فرانسة وانه كان معتقداً ان ساعة زوال الدولة العثمانية حانت وانه انما ثار ليؤدي للعالم الاسلامي اجل خدمة بأن يبعث الدولة العربية من مرقدها وانه كان يسعى فى ان يؤسس فى شبه جزيرة العرب على انقاض تركيا البالية مملكة عربية تضم كل الاراضي الواقعة في جنوبي مرسين — اطنة — الموصل . فما باله لم تنبهه الحوادث ؟ الم يكن رد السير هنري مكماهون المؤرخ ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩١٦ كافياً له في اثارة شكوكه ؟ ولا يمكن غير من اعماه التعصب ان يعتقد بان انكلترا انما انترعت من تركيا العراق بقصد اعطائه هدية للعرب ! ولقد اخبرت الشريف فيصل بكل ذلك اثناء وجوده في مركز القيادة في سورية ... الخ»

هذا ما كتبه جمال باشا في مذكراته وماادعى به لتبرير اعماله ، ولكنه تناسى انه هو وزملاءه انور وطلعت قد دسوا ادخال الدولة العثمانية في حرب لم تكن من طاقتها ، الامر الذي جعل العنصر العربي مضطراً للتحري طرق

السلامة والنجاة من استيلاء الاجانب على بلادهم . ومع ان البلاد العربية اصبحت في قبضة الدول الاستعمارية ولكن هذا لايستوجب يأس العرب طالما دبت فيهم روح النهضة القومية فانهم سوف يحصلون يوماً ما على رغائبهم الوطنية والسياسية باذن الله .

واما سيادة الشريف حسين باشا فقد صرح مراراً للملأ رأيه في ثورته الحجازية وابان فيها الاسباب التي اضطرته الى القيام بوجه الدولة العثمانية وهذا ملخص ما قاله لاحد رجال مصر نقتطفه من جريدة المقطم الغراء :

« لما كانت حالة الدولة التركية سوءا عظيما وانتهج بها حكامها منهجاً غير مستقيم وخرجوا عن الشرع والعدالة خروجاً تشهد به اعمالهم وما آل اليه ملكها كنت متألماً ادرك سوء المغبة وادلي لهم بالنصيحة فيأبون .

« ولكن كنت انتظر عليهم لعل نازلة من عند الله ترجعهم الى طريقه وما يفلح به عباده حتى جاءت الحرب الكبرى .

« وقبل الحرب باسبوعين ارسل لي الانكليز مندوباً يؤكد لي دخول الدولة في الحرب ويسألني عن موقفي اذ ذاك فاجبته صريحاً : « اني سأأتمر حينئذ باوامر ديني ومايوجبه علي الشرع وكررت المدا كرة لرجال الدولة بخطئهم في دخول الحرب ولامصلحة لهم فيها وقلت ان المجازفة بدخولها القاء بالمملكة الى المهلكة لان قوات الدولة لاتكفي للدفاع عنها ولان اعداءها محيطون بهـا ولانه لاداعي مطلقاً لدخولها : وكررت التذكير الى ان قلت لهم اخيراً اجمعوا عقلاء الامة وعلماءها واستشيروهم في هذه النازلة فان افتوكم بالحرب كان ذلك عن عقيدة وعن سبب مستحكم في الامة

والا اشاروا عليكم بدفع المحظور — ان كان هناك محظور — من ايسر السبل اولى من هذه المجازفة الخطيرة .

« ولم يسمعوا نصحا وقادوا البلاد الى الدمار على غير ماطلبت ومع هذا لم اشاقهم بل حاربت معهم وتوليت مساعدة العسكر باليمن وارسلت ابني في للحرب في الشام وحاصر الحلفاء بلادنا ومنعونا اربعة اعوام ان ترد الحبوب لنا حتى ضج الناس وهلكوا وظللت انا واهل منزلي سنتين نأكل الدخن ولم يبق في الحجر نقود لانقطاع التجارة . والدولة لا ترسل لنا نقوداً اللهم الا (متاليك) واوراقاً من نكبهم لايقبلها احد .وكان الناس في هذا الكرب ينظرون الى نظرة المخلص حتى انهم انزلوني اربع مرات من على حصاني يسألونني كشف هذا الضيق من اي طريق ،

« اشتد الحصار علينا وتركتنا الدولة حتى لقد كان عندنا اربعة آلاف عسكري امرتهم بالسفر الى اليمن فطلبت من القائد بقاءهم لانهم لاينفعون هناك ونتضرر نحن بخروجهم فابى وترك لي (٧٠٠) عسكري مجروح لايرفع احدهم عصا

« ولم تكتف الدولة بما نحن فيه من البلاء —حتى لقد سبق ان ضربت العرب بالعرب تمكيناً لسلطانها — فاخذت تنزل بقومى سوء العذاب وتقتل ابناء سوريا وتذبحهم وتبيع كل مـا تصل اليه يدها منهم ووصلتنى كتبهم مرقشة بدم القتلى يستصرخون فقل لي يا ابني ماذا كان في مكنتي مع هذه المصائب . . ؟ »

في هذا الوقت جاءني الانكليز يدفعون الي كتاباً معلناً استقلال بلاد العرب من حلب الى بحر اليمن ومن البحر الابيض والاحمر الى آخر

حدود العراق شرقاً استقلالا تاماً لاشائبة فيه واقراراً بمملكة العرب وعود عزها واعادة مجدها لم يسعني بعد هذا وانا ارى بلادي تموت واهاليها يذبحون واتيقن بان مصير الدولة الى الهلاك الا ان اعمد الى اخف الضررين فاعلنت الاستقلال وكان هذا اولى من ان اهلك والدولة معاً. ولم ابق لهم عذراً فلقد طلبت من الترك رفع المذابح وتعهدت ازاء ذلك ضمانا على ولائنا ان اودع عندهم الرهائن وفاء باخلاصنا فابوا .

« واذا سئلت لماذا لم ابق على الحياد بعد الاستقلال ؟ فاقول اني كنت اهلك ايضا . اننا كنا في كرب وكنا في شقاء من الترك اكثر من شقاء الحصار ولم يراعوا فينا الا ولا ذمة فلم يسعني الا ان اكون كما قال الشاعر .

لايسألون اخاهم حين يندبهم   في النائبات على ماقال برهانا

لم ابق على الحياد لان اعمال الترك في ذلك الاوان كانت شراً من اعمال الكفار وهم قد خرجوا عن الشرع والعدل فكان من اول الواجبات حربهم ولكن كنت ارجو صلاحهم فلما برح الداء وظهر الخفاء ولم يبق الا اليأس وجب القيام بما يأمر به الشرع وقد استحثني اكثر استحثاث في هذا الوقت انهم لم يراعوا لنا اية عاطفة ولا جامعة ولا رحما وانزلوا بنا سوء البلاء وعاملونا كأعدى الاعداء فأي انسان لايسعى في هذا الآوان الى رفع الضر عن نفسه ؟

« ويقولون — اني خدعت — وهل انا اكبر من اميركا ذات الحول والطول — أين شروطها الاربعة عشر ! : انني لم امض معاهدة مؤتمر فرسايل لانني وجدت القوم بدءوا الغدر وخفت ان حضرته أن يحضروا لي اشباه الرجال ممن ظهروا آخر الزمان في سورية (وسمى الشريف بعض

الاسماء ممن يقيمون الآن بمصر) وتبجحوا علينا بقولهم ان الحجاز يستعمرهم فكان يمكن ان يقولوا لنا بأصوات اولئك المنافقين ان اهل البلاد لايبغونكم ففضلت الانسحاب من(فرسايل) اتقاء لهذا المحظور

« ولست اعرف اوربا انما اعرف انكلترا فقط.فباحثتي انما هي معها. وانا اقول لها ولا ازال اطالبها « في بوعدك » ومنتظر للآن جواباً بلا او نعم ولا افاتح غيرها بكلام لاني احذر اوربا ومداخلاتها . وعلى انكلترا الوفاء لنا بعهودها من استقلال سورية وفلسطين والحجاز والعراق وما بينهما . »

هذا رأي سيادة شريف مكة واميرها بثورته الحجازية وهو معتقد انه قد اخذ العهود الرسمية والمواثيق القطعية من بريطانيا العظمى بالرغم من ادعاء بعض الاخصائيين من علماء حقوق الدول الذين يزعمون ان لا قيمة تنفيذية لتلك العهود التي قطعها الحلفاء لسيادة الشريف لعدم تعاطيها بين الطرفين وفقاً لمقتضيات الاصول الدولي وذلك بسبب الحرب وخطر وقوع المخابرات والاوراق بيد الاتراك في تلك الآونة .

ومهما كان من امر تلك العهود والمواثيق فان سيادة شريف مكة واميرها قد اخذ المستمسكات اللازمة من بريطانيا العظمى كما سبقت الاشارة على ذلك آنفاً ، هذا عدا عن التلغراف الرسمي الوارد من الوزارة الخارجية البريطانية باسم حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى والمبلغ من المعتمد البريطاني في جده بتاريخ ٣ شباط سنة ١٩١٨ الذي يؤكد الوزير البريطاني به وحدة العرب واستقلالهم وتصميم الحلفاء على تحقيقها ويذكر فيه انه يستحيل ان يعقدوا صلحاً الا اذا نص في شروطه الاساسيه

على حرية العرب واستقلال بلدانهم . ولا شك في ان هذه البرقية لم تزل موجودة في محفظات الوزارة الخارجيــة البريطانية وستكون حجة قوية فى طلب العرب حقوقهم المهظومة .

فاتحة الثورة الحجازية :

تفــاقم الخطب على اثر شنق احرار العرب من قبل جمــال باشا وتبعيد الشيوخ والرجال والاطفال والنساء واشتدت النفرة بين الاتراك والعرب وحاول شريف مكة واميرها الحسين اقناع رجال تركيا بلزوم اعطاء حقوق العرب واراد ان يقنع جمال باشا بوجوب صرف النظر عن هذه الفضائع واعفاء احرار العرب عن الشنق فلم يقنع ولم يصغ الي التماس الشريف بل واضب على اضطهاد العرب الى ان شنق عبدالحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل (اللذان كا ا قد اتفقا مع الاتحاديين على امر الاصلاح الموهوم) ورشدي وغيرهم من رجال العرب الاحرار .

وتمكن في تلك الاثناء البعض من رجال الجمعيات العربية الذين نجوا من مذابح جمال من ترك سورية والعراق ورحلوا الى شبه جزيرة العرب والى مصر وغيرها فتم التفاهم بواسطتهم بين زعماء العرب وجمعياتهم وبعض المقامات العالية من الانكليز والفرنسيس وقر القرار على اعلان الثورة في الحجاز . وقداختاروا الحجاز للقيام بحركاتهم لتمهيديه لاسباب سياسية وعسكرية اهمها ان صاحب الكلمة النافذة فيه اشرف العرب نسبا وان بلاد الحجاز بعيدة عن مركز القوات التركية وقريبة من البحر فضلا عن وعورة مسالكها وحر صيفها وتعذر وصول قوة الاتراك اليها وسهولة

قطع سكة الحديد التي تصلها بسورية . وقد رأى العرب ان يكتفوا في مبداء الامر بقوة تلك البلاد لانتزاعها من يد الترك وجعلها بمأمن من هجماتهم ريثما يكملون استعدادهم فيها فيتخذون خطة الهجوم ويقومون قومة واحدة لطرد عصابة الاتحاديين من البلاد العربية .

وهذا نص اول كتاب كتبه المرحوم شريف افندي العمري من القاهرة الى سيادة الشريف حسين بن علي بتاريخ ٢٧ محرم الحرام سنة ١٣٣٤ هـ والجواب الوارد له فيتضح لنا من هذه المخابرات بعض التشبثات الابتدائية في سبيل الثورة الحجازية وهي :

« بعد الديباجة ... اتقدم الى دولتكم فاقول (انا شريف بن محمد الفاروقي من الموصل ضابطاً في الجيش العثماني ومعلم الفيلق الثاني عشر في فن الرماية وضابط الامر او ياوراً لدى فخري باشا قائد الفيلق الثاني عشر وكيل جمال باشا بسوريا والعضو الاول بجمعية العهد المتشكلة من الضباط ومؤخراً بجمعية الفتاة العربية وزميل يسن باك البغدادي الذي كان رئيساً لاركان حرب الفيلق الثاني عشر واذا اراد مولاى ان يزيد هذا التعارف تعارفاً فليتفضل ويلقي بنظره الكريم على قائمة اسماء الضباط الذين بايعوا عظمتكم وجاءكم من دمشق الملازم اول عبد الحميد افندي البغدادي خصيصاً لهذه المسألة فكتب اسمائهم ولابد ان سيادة نجلكم حضرة الامير فيصل يذكرني حينما تشرفت بمقابلته مع سامي الصلح والمرحوم محمد المحمصاني في حلب الشهباء في بيت المدرس عند عودته من الاستانة وهنا السيد محمد رشيد رضا بلغني بان حضرة صاحب السيادة نجلكم الكريم الامير عبدالله مشترك معنا في مبادئنا وامانينا وتجمعنا عين الجامعة

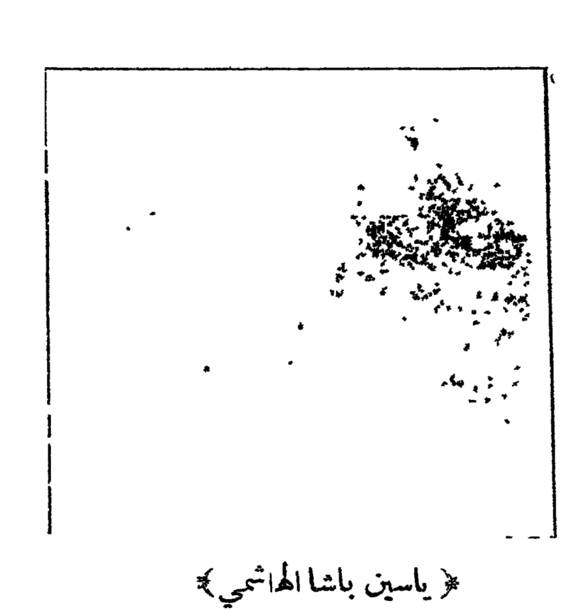
واظن ان هذه الاشارة كافية لسيادته: ٢ + ٦ = ١٢ ☆

اذا كان مولاي قد وثق من معرفتي ابادر الى اخباره بانه في اثناء تفاهم ياسين بك البغدادي مع جمعية الفتاة بسوريا بلغني هذا الخبر وانا كنت في حلب واطلعت على خطتهم ومناسبتهم واطاعتهم لسيادتكم ووحدنا مساعينا معهم وحس جمال باشا يومئذ بسريان روح الحركة العربية فكان ما كان منه من حبس بعض اخواننا واما نحن الضباط فبعد ان حبست في حلب مقدار ١٥ يوماً اصدر امره بارسالنا انا وياسين بك وامين لطفي بك وعبد القادر افندي الى الاستانة وعقيب وصولنا اجتمعنا انا وياسين بك وقررنا المواد الآتية :

١ — ان يكتب ياسين بك كتاباً لمركز الشام بالشفرة المعلومة باننا عزمنا على الفرار من الأتراك الى الانكليز لتجعلهم طريقاً للوصول الى سيادتكم لاننا كنا عارفين بالمخابرات الجارية بين عظمتكم ودولة بريطانيا العظمى.

٢ — ان يطلب اوراق الاعتماد والدراهم التي لم يتمكن من الحصول عليها من رضا باشا الركابي خوفاً من ان يفتش .

٣ — ان يعرف المركز بعائلتي بالموصل لكي يعاونوها عند الحاجة وبعد كم يوم سافرت من الاستانة الى كليبولي وبقيت بخط الحرب في (انا فارطة) عشرة ايام كنت في خلالها ارتقب الفرص الى ان سهل الله العظيم لي الفرصة . وهي لكوني قائدا مستقلاوجرى في اثناء الليل حرب مدهشة بيننا وبين الانكليز وترك الطرفان في ساحة القتال عدداً من القتلى ومعهم بعض المجاريح . فطلبت المذاكرة مع القائد الانكليزي



﴿ ياسين باشا الهاشمي ﴾

لاجل ان نرفع المجاريح وندفن القتلى وفي ذلك اليوم كافأني الاتراك بوسام الحرب ووعدوني بغير هذه المكافات ايضاً ولما اتيت القائد الانكليزي واشترطت عليه الشروط الآتية التي لورفضها لكنت رجعت للاتراك لان عدم قبوله يخالف فكرتنا وخطتنا ويمس بعزة النفس والشرف . اما الاتراك فارادوا ان يكافؤني ولكني علمت بانهم ما اتوا بنا الى كليبولي الا لاجل ان نقتل وهم قاصدون قتلتنا وقتل قومنا واماتينا العزيزة المقدسة واما الشروط التي اشترطها على القائد الانكليزي ورضي بها فهي هذه : ١ — ان لا اعتبر اسيراً بوجه من الوجوه ٢ — ان اكون ضيفهم في اثناء اقامتي عندهم ٣ — ان ارسل الى مصر ومنها الى المكان الذي اختاره لمصلحة العرب ومصلحتهم والمقصود سيادتكم ٤ — كتمان اسمي وامري لكي يفهموا الاتراك انني اصبحت اسيراً لانهم اذا علموا حقيقة الحال انتقموا من اهلي واخواني الذين ليس لهم سواي ثم هم يشددون الضغط والاستبداد والظلم على اخواني ولما نزلت بمصر قدمت للانكليز تقريراً مسهباً وافهمتهم باني انا واخواني نرى ان مصالح العرب والانكليز متحدة ولهذا السبب يلزم ان نكون اصدقاء ونحن قدر همنا على هذا الامر لهم بالمخابرات ولولا هذا الاعتقاد لما اتيتهم قاصداً سيادتكم وذكرت لهم اشياء عن جمعيتنا وبينت لهم سدة الحركة العربية وبسطت البسط الوافي عن اخلاصنا وتعلقنا بسيادتكم وذكرت لهم باننا نحن رجال لمس لنا ارب سوى الاستقلال ونحن مستعدون لتضحية كلما يلزم لهذا الاستقلال لان منافع الطرفين متحدة كل الاتحاد . ونحن نرى الموت حياة في سبيلنا ولنا ثقة بانفسنا واعتمد على بريطانيا العظمى التي جاهرت بود العرب والتي تحب ان تصاحب العرب اصحاب

السيادة على العالم الاسلامي وتعينهم على استقلالهم لاتحاد المصلحتين ثم بحثت معهم بشأن المفاوضات التي دارت بينكم وبينهم بشأن تشكيل الدولة العربية تحت رياسة سيادتكم وطلبكم منهم الاعتراف بهذا الاستقلال الذي تكون حدوده مرسين — مديات وقد كان بلغني هذه الامور وغيرها اخي ياسين بك واتفقت معه على مخاطبتهم بها ليثقوا .. ويعتمدوا علي فبناء على بيانا في لهم اعتمدوا علي ومن ثم افهموني جوابهم لسيادتكم الذي يستثنون به غرب خط الشام وحمص وحما وحلب ومرسين واسكندرونة معتذرين عن ذلك بأن لفرنسا حليفتهم مصالح لايسعهم ان يغضبوها لاجلنا واعتراف بريطانيا واعضاءها لاستقلالنا تحت رئاسة سيادتكم مع استثناء الحدود المذكورة ومن غير المساس بمصالح فرنسا وما عدا المعاهدات الممضاة قبلا بينهم وبين مشايخ ورؤساء العرب وفيه طلب مساعدتكم بشأن ولايتي بغداد والبصرة وان يعترف لهم بحقوق ومصالح اقتصادية وتأمين تلك المصالح من كل خطر اجنبي وجلب مفتشين انكليز وانهم يمنعون كل تعدي اجنبي عن البلاد المقدسة وبعد ان اطلعوني على هذه المواد طلبوا مني رأيي الشخصي فاجبتهم بصفة شخصية حسب معرفتي السابقة والمحاورات التي دارت بيني وبين ياسين بك وبعض الاخوان انه لايمكن بوجه من الوجوه التنازل عن شبر ارض فى سوريا واني لست اعرف في غرب خط الشام وحلب بلد غير عربية كما يدعون وقلت لهم لابد من الاعتراف بذلك ووضع معاهدة تحالف وان لايبرم صلح الا بأشتراك سيادتكم وان يعترف بهذا الاستقلال جميع الدول المتفقة مع امريكا وهو يشمل سوريا والعراق وان يمدونا بالاموال والذخائر

الحربية ويمكن الاعتراف للانكليز بالمنافع الاقتصادية بالعراق وللفرنسيين بسوريا وجلب المفتشين منهم . جرت هذه المذاكرة مع اصحاب السلطة هنا وقد تكلمت ايضاً في هذا الموضوع مع احد نوابهم المختص من قبل دولتهم بالمسئلة العربية المدعو السير (مارك سايكس)وهذه المذاكرة الشخصية تعددت وتكررت مراراً واظنهم قد قنعوا بها وفهموا بأننا نتفهم ازيد من نفعهم لنا ومصالحهم فيها اكثر من مصالحنا .

ولما ورد خطاب سيادتكم اليهم اخبروني بأنه جاء مشتملا على ماذكرته وقدارسلوا جوابهم مع رسولكم وعندما جاء رسول سيادتكم الشيخ عريفان طلبت اليهم ان ابرح مصر قاصداً سيادتكم فاجابوني انه لابد للسفر سفراً مطمئناً من الحصول على امر واذن سيادتكم لتسهيل الطريق ولا سيما من الساحل الى الداخل حتى لايعد هناك شيء من الاخطار .

وقد رأيت جوابهم مبنياً على الحكمة ولهذا تجاسرت بتقديم عريضتي هذه بكمال الحرية والخضوع لسيادتكم . ضباط العرب الذين اسروا في الترعة لايبلغون الثمانية واذا رأيتهم مستعدين لقبول فكرتنا ادخلهم الجمعية وهم يطلقونهم احرار ففعلت وحدي دون ان يشترك معي احد من الانكليز وادخلنا ضابطاً اسمه رؤف عبد الهادي من عائلة الامير عبد الهادي النابلسي وابن عم المغفور له المشنوق ظلماً في سبيل العربية عبد الهادي ولما عرفتهم اني اعتمد عليه وهو قد قبل بفكرتنا اطلقوه للحال وعينوا له معاشاً يكفيه فأن كان سيادتكم تأمروني اخبر الضباط الذين هم في العراق والهند واظنهم لايخالفون وهذا دليل على صداقتهم وحسن نيتهم للعرب ولا سيما لسيادتكم والدليل الثاني حسن معاملتهم لي وا

ارى من الواجب ان ابين لجلالتكم بصفتكم رئيسنا المعظم مزيد شكري وامتناني منهم وأنا غريق الطافهم وقد عاملوني معاملة ضيف شريف وانزلوني عند مجيئي في منزل نعوم بك شقير احد وجهاء المسيحيين السوريين الموظف عند الانكليز الذي يشترك بفكرتنا مبدئياً فأكرمني واحسن ضيافتي وانساني هو وعائلته غربتي وهنا تواجهت مع اخواننا السيد رشيد رضا ورفيق العظم وعزيز علي المصري وحقي العظم وجميل الرافعي وكلهم يقبلون انامل‌كم الشريفة ويدعون لحضرتكم — قبلة العرب ومخلص الاسلام — بالفوز العاجل واختم كتابي هذا بتقبيل اياديكم الشريفة واسأله تعالى ان يقدرني على تقبيلها بالفعل قريباً بالخير والسلامة .

خادمكم

محمد شريف الفاروقي

الرد من مكة المكرمة في ٢٥ صفر الخير ١٣٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قرة عيني وثمرة فؤادي حفظة الله

يعز علي يابني ماسمعتنا به الانبياء ثم ماعلمته من رقيمك الصادرة غرة شهره برفق حامله وكفاك قوله تعالى ذلك لايصيبهم ظماء ولا نصيب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون الى آخر الآية الشريفة . بني ! لاشك ان قدومك هو اول التأييد وبقاءك عن القدوم الينا عين الاصابة بل ارى ضرورة اقامتك وعدم مبارحتك لها مالم تجبر عليها لحين دعوتك لعمل مع اخوتك او لما يقضي له الحال والشأن فان مقامك لديهم فيه من المصالح

﴿ جلالة الملك فيصل ﴾



صفحة ٢٢٤

ماتقدو له الأثمان وثمرته لمستها بيدي لاسيما ماأبدته قريحتك الفطرية من المباحث والاقتناعات في مسائل الحدود والمقتضيات السائرة التي لااحتياج ان اذكر لك واحدة منها سيما افهامهم بأنا لانروم شططا ولا غلطا وانا لانريد الا مايمكنا معه المحافظة على كياننا ان كان المراد بنا الحقيقة وقد اشرت لمن يلزم باجراء كل يقتضي لك ارومه من الاحتياجات. بني! اني بذلت كل وسيلة سريعة في احاطة عائلتك بصحتك ومقامك وما انت بالصورة المناسبة به والله يحفظك ونحن قائمون انشاء الله تعالى بالواجبات المعلومة لديك في سائر الاوجه فلثقة بالله والاتكال عليه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. الحسين بن علي

الرسالة الثانية من القاهرة في ٢٦ ربيع الاخر ١٣٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الديباجة: مولاي! شرفني كتابكم السامي الجليل فقرأته مثنى وثلاث ورباع وسألت الله ان يديم لنا حياتكم ممتعة بالاجلال والتعظيم.

مولاي! ارادت العناية الصمدانية ان تشرحوا قلب فتاكم الصغير وتجبروا كسر والدتم البار بكتابكم المؤرخ ٢٥ صفر فطار قلبه شعاعاً من الفرح ورفع يديه الى السماء يستمطر الدعاء من الباري النعيم بطول حياتكم الثمينة ويسأل موجد الوجود ان يحقق الآمال على ايديكم الطاهرتين المباركتين وينشر بيمينكم العلم الذي ينصوى تحته ابناء الضاد وتهفوا القبلة قلوب الموحدين في اربعة اقطار العالم مولاي! ليس لمن كان مثلي في ضعف البيان ان يعبر عما يختلج في خبايا القلب من الحمد لله والثناء

لدولتكم على ماوطنتم عليه النفس الكبيرة التي تحمل بين جناحيها آمال امة ودين من عظيم العمل وجليل المقصد الذي طالما تقطرت دونه المؤثر فبت ليلتي بأوسع احلام السعادة واكبر اماني وكيف لا اكون كذلك وقد قدرني ربي على وهب هذه النفس لخدمة قومي وملتي فأنا يامولاي على ما بي من سائق الابتهاج ارقب بفارغ الصبر وتعداد اللحظات جليل اوامركم وارى السعادة العظمى عند تلبية ندائكم فقد ماتت نفسي في نهاية الظماء الى ينابيع الحياة التي انحليها تتفجر بين ايديكم الطاهرتين فيها وانا منذ الآن اتنسم من البرق سامي اوامركم لاصدع بها على الرأس والعين واذا سمح مولاي فأني ازود كتابي هذا بما جد من الانباء فى خلال هذه الفترة قلت سقطت مدينة طربزون الثغر العثماني الهام على شواطيء البحر الاسود فى قبضة الروس في اوائل هذا الشهر ووصل القاهرة في نهاية الشهر العابر الدكتور عبد الرحمن شهبندر مع رفيقه توفيق الحلبي فارين من دمشق عن طريق العراق الى البصرة فالهند مع رفيقه وعين طبيباً للاسرى العثمانيين بمصر. نشر فى مدينة باريس باشتراك حكومتها ابراهيم النجار الذي كان محررا في المقطم ومندوباً له بالاستانة جريدة عربية سماها المستقبل ووصل بعض اعدادها. وصل العاجز كتاب من السيد مصطفى اخبرني به بما عليه من السيد الادريسي من الغيرة والاهتمام بمسائلنا وقال ان السيد ارسل لدولتكم كتاباً حسب امركم الكريم واني في الختام اكرر لكم تلثيم الاذيال الخ.

خادمكم

محمد شريف الفاروقي

الرد الثاني من مكة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ هـ

الامين المحترم .

تلقيت محررك بتاريخ ٢٥ واسرني جداً ماأنتم عليه من الصحة . اخيك لم يصادف في البلاد من الاحبة الا ما كان في الدرجة الثالثة من اي صنف منهم ومشتغل للاستفادة في اول فرصة يجدها واخذ دورنا في اعماله الابتدائية ومنه التوفيق بلغنا الوكالة بأن المبلغ مائة جنيه وان يضاعفه عند طلبك . اخوتك هنا يهدونك جزيل التحيات و التكريم ولا بد يردك عقبه ماترى الحاجة به بني حفظك الله فطب نفساً وقر عيناً .

الحسين بن علي

الرسالة الثالثة من القاهرة :

بعد الديباجه : اما ماتفضل به سيادة مولاي المعظم من الاشارة الى عدم مصادفة الاخاء في البلاد الحضرية التي تعنونها سوى الطبقة الثالثة من الناس فيرى العاجز ان الامر الواقع طبيعي وضروري ايضاً لان الناس المشهورين ليست سبب شهرتهم الا غناءهم وثروتهم وهاتان القوتان لم يحصلوا عليها الا بصور غير مشروعة وبظلم الغير فظلم القوي الضعيف والتملق امر طبيعي عندهم وهو لايرجى منهم خيراً اذ لامبادئ ولااخلاق ولا يهمهم المسألة العامة بل ربما يعدونها خطراً عليهم . فالواجب علينا ان نكتفي من هؤلاء عبان لايمانعوا حركتنا ونحن واثقون بانهم يكونون معنا عند اول نجاح نصيبه واما الطبقة الثانية كالموظفين والصنف المتوسط من الناس فالغالب انهم يخافون على رواتبهم التي يعيشون من ورائها فلا يلقونها للمهلكة وربما لايكون بعظهم ذوي مبادئ او اخلاق او افكار

عالية ولكن بالنسبة للمتنورين قليلا. فأن الحركة القومية سائرة بينهم سيراً حسناً واما الطبقة الثالثة من الناس فهؤلآء من غير ان يظنوا الافكار العالية او المبادئ السامية هم نافرون من ظلم الحكومة القاسية الجائرة واني احمد الله تعالى على وجود اناس بين افراد الامة التي اصطفاها من الطبقة الثانية ذوي المبادئ كالموجود في كل الامم التي نعت بينهم الحركات القومية . هؤلآء يعيشون للحياة الاخرى ويسعون لخدمة كل فرد من افراد الامة وهو العمر الثاني التاريخي بعد المهات لايفكرون بأنفسهم مهما قاسوا من الذل والهوان ومن المؤكد انهم يموتون دون تنفيذ خططهم ومبادئهم ولا تنجح اي حركة قومية بدون اشتراكهم وهؤلآء يامولاي! تابعون بالطبع لادارةسيادتكم العالية لانهم وحدهم عاجزون عن القيام بحركتهم لأنها اعظم منهم في الظروف الحاضرة فهم بطبيعة الحال محتاجون الى رأس يوصلهم الى هذه الغاية ولا يوجداشرف واعظم واسمى واقوى من سيادتكم متبوعي الفخيم ومع هذا يرى العاجز بأنه ليس من الممكن احداث حركة عظيمة تتوج بالنصر وتتوصل للغاية في البلاد الحضرية بل يمكن احداث حركات بأشتراكهم مع بعض اولي العزم من رجال البوادي يعملون عملا مبدئياً فالطريق الموصل للغاية السياسية هوالطريق المستقيم السريع لتكوين قوة مهمة وتجهيزاتها بكل مايلزم لها من عدد وعدد في البلاد البعيدة عن سلطة الحكومة واستعمالها عنـد سنوح الفرصة وتعين هذه الفرصة بدرس احوال العرب الحاضرة وهذا لايتم الا باتحاد امراء العرب المهمين تحت رئاسة سيدنا . هذا وقد تباحثت كثيراً مع السيد مصطفى وكيل السيد الادريسي قبل سفره

وهو رجل زكي حسن الاخلاق وقد افهمته روح حركتنا وقبيل سفره اعدت الحديث معه فاظهر لي انه مدرك لزوم الاتفاق العربي تحت رئآسة مولانا وبأسم الادريسي رضي بهذا الامر وبالاتفاق مع الامام يحى بكفالة مولاى وقد اوعدني انه سيصرف كل مقدرته على تنفيذخطتناوقد حررت له كتاباً ذكرته فيه مواعيده ورجوته كل الرجاء ان يسعي جهد الطاقة وقدمت صورة الخطاب لمولاي للاطلاع عليه . والسيد مصطفى يتمنى ان تدور هذه المباحثات والمراسلات بواسطة اناس عاقلين كاملين ليتم التوفيق باسرع مايكون وبناء على طلب الرجال الرسميين من الانكليز حررت كتاباً الى الهند وسلمته لهم ليعطوه الى ضابطين من العرب والاسراء الذين هم من اصدقائي واعتمد عليهم وهم مولود افندي وعبدالله الدليمي وهما من الموصل وعرفتهم بوجودي بينهم وافهمتهم بعض الامور البسيطة بصورة مبهمة هذا وقد شاهدت تبدلا جديد في السياسة متعلقاً في مسألة الاسلحة والذخائر والمدافع والرشاشات .

اشكر سماحة مولاي على المبلغ الذي تفضل به فاني كاذكرت في معروضاتي ان المبلغ ليس الا لاجل الاحتياط وان لم تمس الحاجة يمكن ان اعيده وفي الختام الثم الاذيال .

خادمكم

محمد شريف الفاروقي

الرد الثالث من مكة الى القاهرة

الامين المحترم

بكل الشرف تلقيت رقيمكم الصادر بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر عندحامله ولا شك ان ما اعتنيتم به من المباحث انهامن مساعكم المشكورةونوايا كم المبرورة وحيث الامر اصحى عديم اجتنابه في العاجل فسيهي الولى مافيه

الرشد فان الاعمال بالنيات والله يحفظك ويرعاك وسنرد لك عند اللزوم مايقتضي افي .

الرسالة الرابعة من القاهرة ١٥ جمادي الاولى ١٣٣٤

بعد الديباجة سيدي ومولاي ؛ اتشرف في هذه المرة بعد لثم الاذيال وبث الاشواق الى التيمم بجلال طلعتكم الاحمدية المباركة — ان اتقدم الى مقامكم الجليل الاسمى بعامل فروض العبودية ومتين الود ما رأيته في هذه الظروف وما اراه لازماً لمجرى الاحوال .

يعلم مولاي اعزه الله ، انني باقي في هذه الديار طوع اشارته ومنقاداً لعظيم اوامره فاذا سمح لي في التعبير عما يخالج القلب قلت : انني اشعر بكثير من الالم لتعطيل مواهبي العقلية والجسمانية في يوم لايسمح الدهر بمثله وربما كانت دقائقه على رهبتها لن تعود . اقول واحسب نفسي ضحية لقومي الذين وهبتهم حياتي وقضاء عليهم فتخليت عن اهلي واملاكي ومركزي الرسمي وبعت راحتي وما رخص وما غلى عندي كل ذلك لاخدم العرب واضحي في سبيل خدمتهم مالم يضح من قبل .

فمن كانت هذه حالته وتلك امانيه ورغباته يعتبر نفسه ان ظل عاطل العمل ولاسيما في هذه الفرصة السانحة يسقط ماديا وادبياً لان الايام تمر عليه كالسنين مصحوبة بقلق لايعلم مبلغه الا علام الغيوب . فلو كنت ممن يميلون ولو بعض الميل الى الحياة الدنيا وزخرفها لكنت في منتهى الانشراح من وجودي في هذا البلد الامين لانني بعنايتكم والتفات اولى الشأن متوفرة لدى كل اسباب الحياة من مأكل وملبس ومنام . ولكن ليست

هذه طلبتي ولا النعيم الدنيوي وغبتي ولهذا كانت الامن في النعيم فايامي لاتنقضي ولياليها لاتمر الا والقلق يصافح فيها الهواجس لان روحي تدفعني كما يدفع النجار المرجل الى خدمة الامة العربية وبغير هذا لايهدأ لها تأثير.

نعم ! قد نجم عن بقائي هنا بعض الفوائد ستحدث فى المستقبل الا انني ارى ان يكون العمل اتم والفائدة أعم وان اواصل الاشتغال بفكرتنا المقدسة اناء الليل واطراف النهار . ولاسعادة لي الافى الحصول على هذا فان راحتي وسعادتي وحريتي وثروتي وكل ماتطمح اليه النفوس ينحصر فى هذا العمل المقدس حتى انني لو فقدت حياتي فى هذا السبيل لاعتبرت بل اعتبر من الآن هذا الموت حياة وعليه فارى يا مولاى انه قد آن الاوان لان اكون قريباً من سيدي وولي نعمتي اذ لديكم تتوفر الآمال ولاسيما فى هذه الساعات القليلة فانني لم ار زمناً انسب ولا اوفق للتوجه للثم اناملكم من هذا الوقت لانني اخاف ان تفوت سانحات الفرص وامسي من الآمال صفر اليدين واني فى الختام الثم الاذيال .

محمد شريف الفاروقي

الرد من مكة الى القاهرة ١٦ رجب سنة ١٣٣٤

عزيزي !

كتابان وصلا وتلقيناهما بغاية الانشراح وبرقيمنا هذا نبشرك بقرب زمن طلبتك الى هنا فانتظر اول اشارة تأتيك عظيمة انشاء الله تعالى هذا ونحن جميعنا بخير نسأل التوفيق فى كل حال .

الحسين بن علي

الرسالة الخامسة تلغرافياً ٤ شعبان سنة ١٣٣٤

مولاي العظيم :

هل يرى مولاي ادام الله حياته مباشرة العمل بتشرفي بعتابه ؟

محمد شريف الفاروقي

الرسالة الاولى الى السيد مصطفى باليمن في ٢٨ شباط سنة ١٩١٦

سيدي الفاضل الجليل والاخ الكريم السيد مصطفى دامت معاليه .

علمنا بوصول الشيخ عريفان حاملا كتاب مولانا الشريف المعظم الى حضرة صاحب السيادة السيد الادريسي مبيناً فيه لزوم الاتحاد مع حضرة الامام يحي وان مولانا الشريف يتكفل هذا الوفاق . فيا سيدي ! اتجاسر ان اعتمد على مواعيدكم وعلى ذكائكم العظيم وارجو ان تأخذوا المسألة بيدكم اليمنى وان تتكرموا ببذل الجهد في غايتنا المقدسة وهي الاتحاد العربي وليس بخاف على فضيلتكم حالتنا السيئة وما هي فيه من التفرق والتخاذل والاجدال بانكم تعلمون اننا اذا بقينا على هذه الحالة فالمستقبل اسواء من الحاضر واذا تم هذا الاتفاق واتحدت الكلمة فالمستقبل خير لنا ونستطيع ان نعيد محسوبنا القديم . فيا مولاى ! أرجوكم ودموع الحزن ترفرف فى عيني ان لا تنسوا العربية الحزينة وان تقدموها على كل شيء فى كل حال ولولا شدة اعتمادي وثقتي مفضلكم لما تجاسرت بكتابة هذه الكلمات وارجو من فضيلتكم اعتماداً على مافطرتم عليه من الا كرام ان تحملوا كتابي وتقبلوه بصورة حسنة وليس له من الوظيفة الا ان يكون ورقة كتاب واقبل ايادي حضره مولاي المحترم بكمال الحرمة

والخضوع واتمنى لسيادته العمر الطويل والاجلال وادعو الله ان يهبطعلى قلبه الكبير الرحمة والبركات اخي جميل افندي يسلم عليكم كثيراً ودمتم للمخلص : محمد شريف الفاروقي

الرد من العسير ١٢ جماد اول سنة ١٣٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
الى سيدي الفاضل صاحب السعادة محمد شريف بك الفاروقي حفظه الله وتولاه وبلغه مناه . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابي بخير ولله الحمد . وقد وصلت عند سيدنا الامام منذ ثمانية فوجدته بخير لله الحمد . وبلغته سلامكم وشرحت له حالكم ومشربكم فسر ونشر بالمواجهة وان شاء الله تسمعوا مايسركم . وامس وصل الشيخ محمد بن عرنفان حاملا خطاب من الشريف الى سيدنا وقد جاوب سيادته عليه بجواب طبق المرام والحقيقة ان هذة نغبته من زمن وقد وصلني خطابكم العزيز فاستبشرت به جزاكم الله عنا خيرا وجمع بيننا باحسن حال . سلامي الى الاخ الفاضل الفطين جميل افندي الرافعي رفع الله قدره واعلى مقامه وانتم بخير وقد امرني سيدنا ان املغكم السلام وقد اطلعته على الخطاب الوارد منكم .

مصطفى السيد عبد المتعال الادريسي

الرسالة السادسة : مرفأ جدة في ٣ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ :

مولاي صاحب الدولة والسيادة اطال الله عمره ودام ملكه :
الثم اناملكم وادعو بطول البقاء وبعد : فقد وصلت مرفأ جدة مع رفيق ومساعد لي في الاعمال الكتابية وهاانا انتظر اوامركم العالية لاصدع بها

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام مع تلثيم الاذيال .

الخاضع المطيع محمد شريف الفاروقي

الرسالة السابعه :

مولاي صاحب السمو الامير محسن بن منصور حفظه الله !

اتشرف ان اخبر جنابكم اني حضرت صباح اليوم لمرفأ جدة حسب امر مولانا المعظم واتمنى ان يسمح لي الحظ بمقابلتكم وتفضلوا بقبول احترامي.

الخادم : محمد شريف الفاروقي

رسالة من القاهرة في شباط سنة ١٩١٦

حضرات اخواني الاعزاء مولود افندي وعبد الله افندي المحترمين

اطال الله بقاءهم آمين! اعرض لكم زيادة اشواقي واتمنى لكم الصحة والعافية.

اخواني! لقد صار لي قريب اربعة اشهر وانا هنا في مصر. وقد طلبت من رجال الحكومة في هذه الديار اسماء الضباط العرب الذين هم عندهم فتلطفوا بقبول طلبي واعطوني اسم ئكم واسماء بعض اخواننا. اخواني! لاجل ان ابدأ في البحث في موضوعنا المهم احب ان تكونوا مطمئنين بان هذا الكتاب كتابي ومحرر من قلبي وبقلمي ولكون ليس بيننا شفرة سوى الشفرة التي وضعناها بين مولود افندي وبيني يوم تركه حلب وذهابه الى بغداد وهذه الشفرة ليست معي الآن ولا اتذكرها اريد ان اذكر في كل كتاب من كتبي التي اريد ارسالها خاطرة من خاطرات مساعينا المشتركة من سنين متعددة بيني وبين مولود افندي وكل خاطرة اذكرها تكون معتبرة في الكتب المدونة فيه ولا نعتبر الكتاب الذي بعده فلاجل

هذا اذكركم باجتماعاتنا ونحن فى الموصل فى بيتكم ليلامع الحاجي والدكتور داود وداود الملاح وبعض الاخوان.

والآن نأتي الى المقصود :

اخوان ! بعد سفر فرقة ٣٥ من حلب الى بغداد وسفر مولود افندي منها بقيت فى حلب مدة بصفتي معلم فن الرمي وبهذه الاثناء وحدنا مساعينا المشتركة انا والهاشمي وبعد انقضاء شهر بدأت الحكومة التركية توقيف بعض اخواننا الملكيين كمحمد المحمصاني واخيه وعبد الكريم .... الخ وبعد توقيفهم بدأت بتوقيف الضباط وتبعيدهم ومن الجملة انا- والذي اشرت اليه قبلا وامين لطفي الاركان حرب وغيره ... الخ وبعد توقيفنا بخمسة عشر يوماً واستنطاقات طويلة عريضة بعدونا الى استانبول وبقينا انا والذي اشرت لكم عنه مدة في استانبول. اما انا فارسلوني الى الدردنيل بصفة قائد بلوك . اما فى هذه المدة التي نبحث عنها نحن كنا قد اتحدنا مع حزب ملكي الذي هو مرتبط بأكبر واشرف روساء العرب وله مناسبات مع دولة بريطانيا العظمى وانا والهاشمي كان لنا اطلاع واشتراك فى هذه المسألة ولاجله قررنا في اثناء سفرنا للاستانة انه اذا تمكنا من الالتحاق بالجيش الانكليزي ومنه الى مصر ومن هناك لهذا الرئيس يعد عملنا حسناً وتوافقنا مع الهاشمي والمركز ان التحرك بهذه الصورة فلما اتيت الدردنيل بقيت مقدار عشرة ايام في الحرب وفي تلك الاثناء جرى حرب شديد فطلبنا من الجيش الانكليزي هدنة لاجل رفع المجاريح وانا انتهم لاجل التكلم بهذا الموضوع شخصياً. فلما جئتهم فهمتهم من انا وما هي خطتنا ومناسباتنا مع الحكومة الانكليزية وطلبت منهم

ان اكون عنـدهم ضيفاً غير اسير وان يردلوني لمصر فوافقوا على جميع مطالبي فاتيت مصر وتكاتبت مع هذا الرئيس واخذت منه جواباً والآن حصل ارتباط بيني وبينه وبين جميع اخواننا الذين هم في البلاد العثمانية وتيقنت وضعيتي . اخواني ! لانتنازل عن مبادئنا الاستقلالية المعروفـة لديكم ونحن والجميع الآن مشتغلين في هذه القضية العزيزة مهما ذقنا المر فى هـذا الطريق فهو حلو علينا . فاقول لكم بأننا الآن مشغولين بجمع كلمة العرب المتفرقة تحت رئاسة الرئيس الذي اشرت لكم عنه ومشغولين ايضاً بأجرآء تحالف مع دولة بريطانيا العظمى في موضوع استقلال بلاد العرب جميعها واخذ الذخائر التي تلزم للقيام فأملنا واتكالنا على الله تعالى وعلى عزمنا ونحن آمنين من صداقة ومحبـة رجال انكلترا لنا ونتأمل منهم اشياء كثيرة وسننال منهم ماتريد انشـاء الله . فلهذا التمس من حضراتكم ان تكونوا على علم انتم وكل من تعتمدون عليه وتأخـذوا المسؤلية عليكم من هذه الخطة وتصبروا على كل ضيق واني على اطلاع تام لفضائلكم الشخصية وارجوكم ان تجاوبوني بأسرع مايمكن واذا كنتم في عسر ارجوكم ان تعرفوني سريعاً لكي انشبث هنا وامل بأنني اقدر ان اعمل كل شيء الممكن وارسلنا جواب الى اخواننا ايضاً .

واذا كان مولود افندي يذكر لي فى مكتوبه الاول احدى خاطراتنا من ان لايذكر ذكرت فى كتابى هذامجرى الاحوال مختصراًوانني ارى اذا أوجب الحال من المحتمل ان آتي اليكم فارجوكم توحيد مساعينا وان تنتظروا فى كل مكاتيبي وتبلغوا سلامي واحترامي الى الاخوان واختم كلامي بدعائي للرب ان يعيننا علي استقلالنا العزيز واتمنى لكم الصحة

والعافية وبلغوا الجميع السلام .   محمد شريف الفاروقي

ومما يدل على أهتمام المرحوم شريف افندي العمري بتنشيط رجال العرب للقيام بالنهضة، هو ان الموحى اليه بعد ان وصل القاهرة وشرع بالمخابرة مع سيادة الشريف حسين باشا اخذ يحتك ببعض منورى العرب ويدخلهم في حزبه وذالك يبان من الورقة المندرجة ادناه التي اخذها المرحوم من اصحاب التواقيع وهذا نصها :

«القاهرة ١٢ ربيع الاول ١٣٣٤ يوم مولد الهادي صلى الله عليه وسلم،

نحن الواضعان اسمينا ادناه جميل محمد الرافعي ورؤوف قاسم عبد الهادي ننفض ايادينا من خلافة السلطان رشادو نبايع بالخلافة الاسلامية الجليلة حضرة شريف مكة الحالي الشريف حسين وندخل عن طيب خاطر في «جمعية الفتاة العربية» التي ترمي الى تأسيس دولة عربية تحت رئاسة حضرة الشريف وتتعهد بالاطاعة لها والمحافظة على كل قوانينها بدون شرط وان خرجنا من الجمعية اوبحنا باسرارها أو خنا شؤنها نكون جديرين بمعاملة من هم بلاشرف .

ا. جميل الرافعي   رؤف عبد الهاددي

ويمكننا ان نعتبر ان هذان السيدان اول من بايع جلالة ملك الحجاز بالخلافة والملوكية فلاجل ان تبقى كتذكار في تاريخنا درجنا الوثيقة المذكورة اعلاه .

اتفاقية دول الائتلاف ومعاهدة سايكس — بيكو

بينما كانت انكلترا تفاوض الشريف حسين باشا سنة ١٩١٥ لادخال

العرب الحرب العظمى بجانب الدول الائتلافية [انكلترا ، فرانسة ، روسيا وحلفاؤهم] وربط مقدراتهم بمقدرات الدول المذكورة، كما وضع الاتراك مقدراتهم بمقدرات المانيا والنمسا ، واذا ببريطانيا العظمى تتفاوض سرياً مع حلفاؤها روسيا وفرانسة فى تلك السنة نفسها فابرموا فيما بينهم معاهدة سرية تقضي بموافقتهم على ان تستولي روسيا على بلاد (ارمينيا) و (كردستان) وان تتوسع فرانسة فتستولي على سواحل سوريا والاناضول الوسطى وعلى (كليكيا) وان تستولي انكلترا على شمال العراق وفلسطين في جنوب خط حيفا — عقره .

ابرمت هذه المعاهدة في شهر شباط سنة ١٩١٦ م وبقيت سرية لدى دول الائتلاف .

وعدا ذلك ، عقدت انكلترا مع حليفتها فرانسة فى ١٦ ايار سنة ١٩١٦ م [١] معاهدة سرية اخرى تسمى (معاهدة سايكس — بيكو) هذا ملخصها :

« لقد تحددت الاراضي التي يجب ادخالها تحت نفوذ فرانسة وانكلترة بخمسة خطوط :

الخط الاول البريطاني : احمر. تحت اشارة (١) يحد العراق من البصرة الى نحو الخط الذي يمر من جنوب بغداد مع خط آخر يحدد سواحل سوريا من حيفا ويمتد الى (عقره) [اي الاراضي الواقعة بجنوب خط حيفا — عقره] .

الخط الثاني الفرنسوي : ازرق . يحد اراضي (كليكيا) و (الاناضول)

---

[١] وعلى رواية عقدت في شهر مارت سنة ١٩١٦ م

و (لبنان) و سواحل سوريا غربي خط دمشق — حمص — حما — حلب ويحتوي على مدينة (بيروت)

الخط الثالث البريطـاني : المشار اليــه تحت حرف B يحد الاراضي المتوسطة مابين فلسطين والعراق ويمتد خط العراق الاحمر نحو (تكريت)

الخط الرابع الفرنسوي : ازرق . يمتد هذا الخط شرقاً وشمالا ويحتوي على كل من مدينة دمشق وحلب والموصل .

والخط الخامس المتوسط : اسمر يفصل فلسطين عن سوريا . »

هذه هي خطوط المعاهدة المذكورة العمومية وقد قررت الحليفتين ، في هذه المعاهدة تشكيل ادارات وطنية في اراضي المشار اليها بحرف (A) و (B) تحت نظارتها او تحت رئاسة امير عربي يستمد الاستشارة والمساعدة من فرانسة وانكلترا . فهذه محتويات معاهدة (سايكس — بيكو)[١] المشؤمة السرية . ولم يكن اذ ذاك الشريف مكة علماً بها حتى نشوب الثورة البولشفيكية

ولما اصطرمت نار الثورة البولشفيكية سنة ١٩١٧ اخذ البولشفيك ينشرون المعاهدات السرية المنعقدة بين روسيا وبين دول الائتلاف فانكشف الستار وانفضح الامر واتضحت للملأ مطامع دول الائتلاف .

وتلي هذه المعــاهدات السرية المجحفة بحقوق العرب (وعد بالفور) المشؤم الذي ليس له شــأن بمنزلة (وعد السر ستانلي مود) الصادر في بغداد سنة ١٩١٧ م ومع ذلك قد نفذته انكلترا بكل سهولة فلنقتطف من التاريخ عبر وعظات ! . . .

---

[١] سميت هذه المعاهدة اسم العاقدين المسيو جورج بيكو الفرنسوى والمستر (مارك سايكس) الانكليزي .

كيف اعلن الاتفاق العربي — البريطاني ؟

بينما كانت المخابرات السرية جارية بين انكلترا وبين سيادة الشريف حسين باشا اخذت علاقات امير مكة بجمال باشا تتوتر كما يبان مما درجناه اعلاه من مذكرات جمال . وكان قد ايقن سيادة الشريف انه لاحياة له مع الاتراك من الآن وصاعداً ولا سيما بعد ان دارت بينه وبين انور وجمال تلك البرقيات والخطابات المرة واضداده الذين ينازعونه الامارة لم يزالوا في الاستانة يترقبون الفرص ليمشوا ضده .

وكان قد تقرر — بعد انتهاء المفاوضات والمخابرات مع انكلترا — ان يبعث الانكليز الى سيادة الشريف بالجواب النهائي الذي يجب ان يذكروا فيه مايتعهدوه للعرب واذا وافق عليه سيادته اخبر الانكليز بموافقته فعندئذ تطلق احدى البواخر الحربية البريطانية بضع طلقات مدفعية تشير بها انكلترا على موافقتها وعلى ان الاتفاق قد تم بين الطرفين . فهذه الطلقات كانت هي الاشارة لاعلان التحالف البريطاني — العربي .

ففي اوائل شعبان سنة ١٣٣٤ هـ وصلت باخرة انكليزية الى (ينبع البحر) تقل اذ ذاك المستر (كورنواليس) [مستشار وزارة الداخلية للحكومة العراقية في الوقت الحاضر] والمرحوم شريف افندي العمري وبضعة اشخاص ولما وصلوا الى المرفأ انزلت الباخرة قارباً اوفدت فيه بعض الذوات ليستدعون امير (ينبع) ويسلمونه الاوراق الرسمية السرية الانكليزية التي يجب ايصالها الى سيادة الشريف حسين باشا وافهموه بوجوب تسريع اخذا الجواب من الشريف وايصاله الى الباخرة وعند موافقة الطرفين على شروط الاتفاقية بطلق بضعة طلقات مدفعية من

الباخرة اشارة على موافقة انكلترة فيما اشترطه الشريف . ففي اوائل شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ورد جواب الموافقة من سيادة الشريف حسين باشا فأطلقت الباخرة المدافع وبعد ذلك بثلاثة ايام نشبت الثورة الحجازية كما سنذكر تفصيلاتها قريباً .

كيف رسمت مقدرات العراق السياسية؟

فأن تلك الطلقات المدفعية هي التي رسمت يومئذ مقدرات البلاد العربية عامة والعراقية خاصة في جو السماء . وان مانقلته تلك الباخرة من الاوراق الرسمية البريطانية هي التي سجلت مقدرات العرب في اعماق الهواء . فهكذا كانت قد رسمت «مقدرات العراق السياسية» ضمن مقدرات العرب جمعاً ويظهر من المحررات التي درجناها آنفاً ان اهم ماتحتويه المعاهدة البريطانية — الشريفية عام ١٩١٦ هو ضمان استقلال البلاد العربية الواقعة جنوب درجة السابعة والثلاثون للعرض [اي البلاد العربية الواقعة جنوب خط مرسين ــ مديات ماعدا منطقة لبنان] وفي ضمنها العراق على ان تعترف العرب لبريطانيا العظمى والفرنسة ببعض المنافع الاقتصادية في تلك البلاد وان يستخدم في الدولة العربية المتصور تأسيسها وتأمين استقلالها مستشارين واخصائيين من الفرنسيس والانكليز بشرط عدم المساس باستقلال العرب. فهذه هي الأساسات التي تقررت في تلك المعاهدة وعلى هذه الاساسات كانت قد وضعت الحجر الاولى لاستقلال الديار العراقية . فيمكننا اذاً ان نعتبر ان القضية العراقية جزوء من القضية العربية التي فرقت بين اجزاءها ساسة الاستعمار تأميناً لمصالحهم ورغماً عن تعهداتهم الرسمية

الصادرة باوقات مختلفة . ولا شك في ان بنود المعاهدة الانكليزية - الشريفية لاتقضي بتفريق البلاد العربية بعضها عن البعض بالدرجة التي هي الآن فيها . بل انها تقضي بتوحيد الاقطار العربية اتحاداً سياسياً يكفل مصالح العرب واستقلالهم . واني اعتقد في ذات الوقت ان لفرانسة علماً اذ ذاك بالمعاهدة التي ابرمتها انكلترة مع الشريف حسين باشا ولولا انها لم توافق على بنودها لما ارسلت وفداً الى مكة لتبريك استقلال العرب ولما ارسلت مفرزة عسكرية والكولونيل (كوس) الى البلاد الحجازية لتعاضد الجيش الشريفي الذي اصبح حليفاً لها ولانكلترة في الحركات العسكرية .

ولكن لست ادري ما الذي استوجب بعدئذ شذوذ الحلفاء عن مواعيدهم وعهودهم التي قطعوها للشريف حسين باشا فقسموا البلاد العربية الى مناطق نفوذ بين انكلترة وفرانسة بمعاهدة (سايكس—بيكو) المشؤومة

نشوب الثورة العربية في الحجاز :

اضطرمت نار الثورة في الحجاز عند فجر يوم السبت المصادف ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ و ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ فقد بدأ القتال صبيحة اليوم المذكور بين الترك والعرب على الطرز الآتي :

في مكة المكرمة وجدة :

لما خرج عسكر الترك من ثكنة (جرول) في مكة المكرمة الى التعليم صبح ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ فاجأهم ثوار العرب بطلقات الرصاص من كل الاطراف اذ ان الثوار كانوا قد ضربوا نطاقاً حول ميدان التعليم قبل الفجر واستعدوا للقتال والاستيلاء على الثكنات العسكرية التركية

[كان يدير هذه الحركات الثوروية الشريف حسين باشا وولده الامير زيد]

ولما كان خروج الجنود التركية الى ميدان العرض صرف التمارين فقط لم يكن جنود الاتراك حاملين العتاد معهم ليقابلوهم فأسرع في ذلك الوقت البيكباشي الاركان حرب درويش بك بالمخابرة مع شريف مكة واميرها حسين باشا بالتلفون مستفسراً منه اسباب هذه المباغتة فأجابه ان العرب لا ترضا كم حكاماً عليهم وانتم في ديارهم قد اهنتموهم وعاديتموهم ففكر درويش بك بدسيسة لتخليص العسكر فقال الشريف حسين :

« لا نريد اراقه الدماء ، ارسل من تعتمد عليه ليسلمه الثكنات ولمستودع والاسلحة والعتاد ونخرج نواً » فأرسل حسين باشا الشريف محسن [الذي تعين اخيراً مندوباً للحكومة الحجازية في مصر] لاجل استلام الاسلحة والمهمات والثكنات ولما وصل المشار اليه الى الثكنة قال له درويش بك : « جنودنا الآن هم خارج الثكنة تحت طلقات بنادق ثواركم الذي قد طوقت اطرافنا من كل جانب ولا يمكننا ان نسلمكم شيئاً ما لم تكف البدو عن اطلاق الرصاص وتمنعوا شرهم واذا امض الثوار ادخلنا جنودنا في الثكنة وسلمناكم اسلحتهم وعتادهم ومهماتهم » فاعتقد الشريف محسن بصحة هذا الكلام ولم يدر في خلده ان الحرب خدعة فأمر البدو ان يكفوا عن الترك وينفضوا فتمكن بذلك عسكر الاتراك من الدخول الى الثكنة (جرول) ومعهم الشريف محسن ليستلم المعدات . وكان في نية القائد التركي ان يلقي القبض عليه في الثكنة بعد ان تدخل فيها جميع جنوده فيحاصر بها وقد شعر بذلك ضابط عربي كان مستخدم اذ ذاك في القطعات القاطنة بتلك الثكنة واشر الى الشريف محسن واوهمه

سوء نية الاتراك نحوه فخرج محسن حالا ونجا بنفسه ، غير انه قد سبب بذلك عمله أدامة مقاومة الترك في ثكنه (جرول) مدة ما تقارب الشهر

وفي صباح اليوم التالي [اي يوم الاحد ١٠ شعبان سنة ١٣٣٤ الموافق ١١ حزيران سنة ١٩١٦] هجم ثوار العرب على (باش قره غول) الواقع حول (الصفاء) واستولوا عليه عنوة .

وفي اليوم الاثنين ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ حمل العرب حملة شديدة على ثكنة (الحميدية) حيث كان وكيل الوالي واستولوا عليها واسروا من فيها . ولما وصل وكيل الوالي مع الاسرى الى دار الامارة واطلع على حقائق الامور ارسل كتابين بخط يده . الاول الى قائد ثكنة (جرول) والثاني الى قائد قلعة (جياد) يخبرهما عما كان من امره وامر جنوده وطلب منهما ان يسلما للعرب حقناً للدماء .فرفضا ذلك وجعلت القلعة (جياد) تشدد اطلاق القنابل والرصاص على المنازل والمسجد الحرام التي تعطلت العبادة فيه وتعذر على المصلين الدخول اليه. وكان في هذه القلعة اربع مدافع جبلية وكل مهمات المدفعية العائدة لفرقة الحجاز . فاطلق الترك منها قنبلتين على الكعبة الشريفة فوقعت احداهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه نحو ثلاثة اذرع فالتهمت بنارهما ستار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب واضطرهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من من اطفاء الحريق ولم يكتف الترك بذلك فحسب ؛ بل اطلقوا القنبلة الثالثة على بيت سيدنا ابراهيم (عليه السلام) وهذا عدا ماوقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفاً لهم وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في

نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العماد التقرب منه .

وكان قد وصل ثغر (جده) عقيب نشوب الثورة في مكة المكرمة وبعد اتفاق الانكليز مع الشريف حسين باشا بعض السفن الحربية البريطانية فاطلقوا النار على حامية (جده) التركية وبعد حرب دامت ستة ايام سلمت الحامية المذكورة نفسها الى ثوار العرب يوم (١٦ حزيران سنة ١٩١٦) وكان يقود العرب هناك المرحوم شريف افندي العمري فاسر في (جده) ١٣٤٦ اسيراً تركيا واغتنم عشرة مدافع ميدان واربع مدافع جبلية واربعة رشاشات ومستودع السلاح والذخيرة وكل المهمات الحربية من دون ان يتلف منها شيء .

ثم نقل المرحوم شريف افندي المدافع التي اغتنمها الى (مكة المكرمة) ونصبها امام قلعة (جياد) وهجم العرب على القلعة بعد ما دمروا جانباً منها فاحتلوها عنوة في ٤ رمضان المبارك عام ١٣٣٤ هـ [و٤ تموز سنة ١٩١٦ م] واسروا كل حاميتها وغنموا منها مدفعين من المدافع الكبيرة وثلاثة مدافع جبلية ونحو (٨٠٠٠) بندقية ومقداراً كبيراً من القنابل والرصاص والبارود ولكن لم يحضر المومي اليه شريف افندي اثناء سقوط قلعة (جياد) بيد العرب اذ كان قد سافر الى مصر بصفته مندوباً عن شريف مكة واميرها فيها وثاني يوم مغادرته مكة المكرمة ضبط العرب القلعة المذكورة .

وبعد ما فرغ رجال المدفعية من مهمتهم فى قلعة (جياد) انضموا الى الجيش العربي الذي كان يحاصر ثكنة (جرول) واصلوها نارا حامية من مدافعهم وكانت حاميتها تحاول من حين الى آخر ان تخدع العرب

برفع العلم الابيض لتتمكن من الاستراحة وترمم مادمر من الثكنة ولكن العرب لم ينخدعوا اكثر من مرة فهجموا على الثكنة بالسلاح الابيض واكرهوهم على التسليم وكان ذلك في ٩ رمضان المبارك عام ١٣٣٤ هـ [و ٩ تموز سنة ١٩١٦] بعد غروب الشمس . وبلغ عدد الاسرى من تلك الثكنة ٢٨ ضابطاً ومايزيد على التسعمائة جندي و ١٥٠ مريض وجريح .

ثم استولى العرب على ثغرى (ليث) و (اوملج) على بحر الاحمر في يوم الثلاثا فى ١٦ شوال سنة ١٣٣٤ هـ [و ١٥ آب سنة ١٩١٦ م]

فى الطائف :

بدأت الثورة فى الطائف تحت قيادة سمو الامير عبد الله نجل شريف مكة واميرها الشريف حسين باشا على اثر اعلان الثورة فى (مكة المكرمة) فخرج الامير من الطائف مع اتباعه من الثوار والعربان فحاصرها ودام القتال بين قوته والقوة التركية مدة ثلاثة اشهر ونيف الى ان انتهت ارزاق وذخائر عساكر الترك فاضطروا الى التسليم حيث اعلن سمو الامير عبدالله فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ هـ [و ٢٢ ايلول سنة ١٩١٦] سقوط (الطائف) فى قبضة يده ببرقية طيرها الى سيادة والده فى مكة المكرمة قال فيها ما خلاصته :

« حضر غالب باشا [١] والي الحجاز وجميع الضباط الى المعسكر العربي وسلموا انفسهم عند منتصف الليل وانصرف الجيش حينئذ الى

[١] لعله غير نصرى باشا

احتلال ثكنات الجنود ومرابطهم فى الطائف فسلمت القوات التركية سلاحها وخرجت منها وطوق فرسان العرب البلد . وكان جميع السكان يجهلون ماهو جار الا الذين كان لهم دخل فى المفاوصات . وعند الصباح دخلنا البلد واحتللناها وقد بلغ مجموع الاسرى الذين اسرناهم فى الطائف ٨٣ ضابطاً و (١٩٨٢) جندياً و (٧٢) موظفاً . وغنمنا عشرة مدافع [ماعدا مدفعاً كنا قد اغتنمناه منذ ايام] ووجدنا في مخزن الجيش اكثر من (١٧٠٠) بندقية و ٨٠٠ قنبلة وقديفة و(١٦٠٣١٠٨) رصاصة من رصاص موزر .

« واني التمس من سيادتكم ان تتفضلوا بغض النظر عن الضرر الذي لحق بنا من جراء عمل الترك حتى يوفقنا الله في جميع اعمالنا كما اني اسئل سيادتكم ان يعامل الاسرى بكل لطف فأن العالم الاسلامي كله ينظر الينا »

وكان اذ ذاك قائد القوة التركية في الطائف المير الاي احمد بك ومعه والي الحجاز غالب باشا فلم تهن عليهم هذه الاسارة لاسيما بعد ان سمعوا بسقوط مكة وجدة بيد العرب فقد رجحوا ان يكونوا اسرى عند الانكليز عوضاً من ان يكونوا اسرى العرب فندموا على ذلك اخيراً .

في المدينة المنورة والسواحل :

ذكرنا فيما تقدم ان كل من سمو الامير علي والامير فيصل كانا في المدينة المنورة قبيل نشوب الثورة الحجازية . وكان المشار اليهما مشغولان بتجهيز المتطوعين لجهة القناة . ولكنهما كانا في ذات الوقت ينتظران نتيجة اتفاق والدهم مع الانجليز واشارة ابيهم للقيام بثورة .

ولما وردهم امر ابيهم جمعا القبائل التي تحت يدهم وخـرجا بهم الى (عاصي تبة) [تل يبعد عن المدينة خمس كيلومترات شمال غربي المدينة] وكان مقدارهم (٤٠٠ : ٥٠٠) مقاتل . فضربوا القطار السائر بين المدنية ودمشق الشام واعلنوا ثورتهم بذالك ولما نمي الخبرالى قائد المدينة الجنرال فخري باشا ارسل عليهم قوة كبيرة لاستأصالهم فلم يفلح حيث انسحب الامير علي وفيصل مع ثوار العرب الى (ينبع البحر) وكان فى تلك الايام (الشيخ حسين بن امبيريك) حاكم منطقة (رابغ) صديقاً للاتراك وعدواً للشريف حسين وانجاله ؛ بل كان رقيباً له ويقال ان الانكليز كانوا قـد بدأوا بمفاوضته للقيام ضد الاتراك قبل ان يفاوضوا الشريف حسين ولكن لما علموا انه لم يكن بمنزلة الشريف صرفوا النظر عن مفاوضته وبدأوا يفاوضون امير مكة للاتفاق معهم .

غير ان المرقوم حسين امبيربك اراد القيام ضد الامير علي واخيه فيصل ولكن لم يفلح حيث اوفد الشريف حسين قوة تحت قيادة نجله سمو الامير زيد فدحره وطرده .

اراد فخرى باشا تأديب الثوار الملتفين حول سمو الامير علي وشقيقه فيصل فزحف بقواته المرابطة في المدينة المنورة وجوارها على (ينبع البحر) ولما سمع بذلك شريف مكة واميرها أرسل الامير عبد الله مع قوة كافية عن طريق شرقي المدينة المنورة (ويسمى هذا الطريق الشرقي) ليضرب فخرى باشا من وراءه فيضطره الى الوقوع بين نيران العرب . وذلك كان بعد سقوط الطائف ولما سار الامير عبدالله بجيشه اضطر فخري على الرجوع الى المدينة والدفاع حولها بعد ان جرى عدة مناوشات بينه وبين جيش

الامير فيصل وكان اذ ذاك قد التحق نفر قليل من ضباط العرب وفي مقدمتهم نوري باشا السعيد (وزير الدفاع للحكومة العراقية في الوقت الحاضر) وعزيز بك علي المصري والمرحوم حلمي باشا ومولود باشا مخلص (متصرف لواء كربلا الحالي) وعلي جودت بك (وزير الداخلية للحكومة العراقية في الوقت الحاضر) وراسم بك ورشيد بك وغيرهم وقد اشترك قسم منهم بواقعة (دير سعيد) .

وهنا لا نريد ان ننسى حادثة اسارة الملازم اشرف رئيس العصابات التركية فنقول انه لما وصل الامير عبد الله الى شرقي المدينة المنورة بقصد تهديد جيش فخري باشا الزاحف على (ينبع البحر) كان قد خيم مع جيشه في موقع يسمى (الحرة) شرقي المدينة وكان قد ذهب بضعة انفار من جيش الامير عبدالله الى البر ليحتطبوا فوجدوا جنديين من الاتراك كانوا قد خرجوا للغرض نفسه فالقى العرب على واحد منهما وهرب الثاني فاعترف الجندي التركي بانه منسوب الى عصابة الملازم اشرف التي وصلت حديثاً من الاستانة مع مبلغ مهم من الدراهم والمهمات الى اليمن فارسل الامير عبد الله قسما من خيالته ليكشف العصابة التركية ولما التقوا بها باغتتهم الاتراك بنار الرشاشات غير ان العرب هجموا عليها ولم يمض ١٥ دقيقة الا واسروها واغتنموا الـ (٢٥٠٠٠) ليرة ذهبية التي كانت معها وهرب رئيس العصابة اشرف جريحاً نحو الجبال ولكن لم يلبث الا وقبضوا عليه العرب فاسروه كسائر رفقائه من العصابة .

ولما كانت قوة الامير عبد الله المنظمة قليلة جداً (مدفعين انوس قطر فوهتهما ٨ سانتيمترو ورشاشتين ما عدا العشائر والعربان) اضطرت ان

لانبقى فى محلها فالتفت من شرقي المدينة المنورة فشمالها فغربها الى ان اجتازت السكة الحديدية ليلا من بين خفراء الاتراك بسكونة تامة من دون ان يشعر بها احد حتى وصلت (وادي العيص) فعسكرت هناك وجعل بعدئذ هذا المحل مقرا للجيش الشرقي الحجازي.

وبعد ان رجع فخري باشا الى (المدينة المنورة) تقدم الامير فيصل بقوته شمالا واحتل (الوجه) ثم سار الى (العقبة) وضبطها سنة ١٩١٧ بمساعدة القوة البحرية البريطانية وعشائر (عوده ابو تاية) فاتخذها مركزاً لجيشه الذي سمي اخيراً (الجيش الشمالي الحجازي) وتخصص لفتح سوريا. واما الامير علي الذي كان قد تراجع بجيشه امام فخري باشا الى (رابغ) كان قد نظم جيشه وعززه بمفرزة مصرية استجلبها من الجيش المصري (بطرية جبلية وسرية مشاة واربع رشاشات) ثم سار به الى (بئر درويش) فاحتله وتدريجاً هناك تشكل (الجيش الجنوبي الحجازي) تحت قيادة الامير علي وكان مقر الجيش المذكور فى (رابغ) . وهذا الجيش هو الذي حاصر المدينة المنورة بعدئذ الى ما بعد عقد الهدنة بثلاثة أشهر على التقريب حيث استلم الامير علي (المدينة المنورة) بموجب مقاولة التسليم وهذا نصها بحروفها :

(توفيقا للمادة السادسة عشر من الهدنة المنعقدة ما بين دول الحلفاء المعظمة ودولة العلية العثمانية قد تقرر اخلاء المدينة المنورة وترحيل القوات التركية الى بلادها ما بين صاحب السمو المعظم الامير علي بأسم الحكومة الهاشمية وحضرت الكابتن البريطاني (جارلاند)بالنيابة عن دول الحلفاء وبين الهيئة الموقعة في ذيله المرسولة من قبل قائد القوات التركية في المدينة على الشروط الآتية :

١ — نظراً لضعف الامراء والضباط والجنود العثمانية الذين سيخلون المدينة يتوسط ويسعي صاحب السمو المعظم الامير علي بأسم الحكومة الهاشمية لدى دول الحلفاء المعظمة بأرسال الجنود التركية الى بلادها .

٢ — ان بعد مرور ثمانية واربعين ساعة من امضاء هذه الشروط يلزم على القائد فخر الدين باشا أن يترك المدينة المنورة وفي معيته كل من ينتخبه من الامراء ويأتي الى مقر سمو الامير علي فى (بئر درويش) وهنا سيحل فى منزله ضيفاً معززاً ومكرماً .

٣ — ان القطعات العسكرية الموجودة في داخل المدينة المنورة وجوارها والذين هم في الخارج عنها يجتمعون فى داخل المدينة المنورة وان القطعات الموجودة على الخط الحديدي تجتمع ايضاً في مركز (البويره) وان الاسلحة الخفيفة والثقيلة مع جميع ذخائرها تتحضر فى المواقع المذكورة بموجب كشف وتسلم بموجب مضبطة قبل سفر القطعات التركية الى هيئة المأمورين المندوبة من قبل صاحب السمو المعظم الامير علي وبعد نقل القطعات المجتمعة في مركز (البويره) بواسطة القطار الحديدي الى (بواط) يجري سوقهم الى (ينبع النخل) بواسطة الجمال واذا صعب سوق القطعات المذكورة من (بواط) حينئذ يجتمعون بسلاحهم وذخائرهم في المدينة المنورة ويجري بعده تسليم السلاح والذخيرة وعندها يهيأ للرحيل وان الاسلحة الثقيلة الخاصة بقطعات (جاحلة) و (علاوه) تنقل الى المدينة المنورة بواسطة الحيوانات الذي ترسل من جيش سمو الامير علي وان الاسلحة الخفيفة وذخائرها سيجري تسليمها في (جليجلة) وبعده يجري نقل القطعات عند وصول الجمال اليها في المحل المذكور .

٤ — توفيقاً للمادة الثالثة عشر من الهدنة تسلم القطعات التركية جميع الاسلحة الخفيفة والثقيلة والذخائر وجميع المهمات الحربية والتلغراف اللاسلكي وجميع الالآت والادوات المماثلة اليه ويجب ايضاً تسليم الخط الحديدي مع قطاراته ومحطاته وجميع لوازمه بصورة سليمة وبدون ان يطري عليهم اقل تخريب . ان الالغام والمواد المنفجرة الموضوعة فى المحلات المختلفة تجمع من قبل واضعيها بدون ان يحصل قضاء ما .

٥ — ان الاسلحة والاشياء المندرجة في متن المادة الرابعة تحضر من طرف المأمورين المخصصين لهذه الغاية وتسلم بموجب كشف وبمقابل ضبطة تعطى لهم من طرف الهيئة المعينة من قبل صاحب السمو المعظم الامير علي

٦ — جميع الحيوانات الاميرية تسلم من قبل القطعات الى الهيئة المنتخبة من قبل سمو الامير علي بموجب كشف منظم بمعرفة البياطرة الموجودين فى المدينة .

٧ — ان الاشياء الذاتية العائدة لشخص الامراء والضباط كمثل النقود والنواظير والاشياء الذاتية المماثلة لها كان الاشياء الذاتية العائدة للجنود العثمانية كمثل النقود والاشياء الذاتية وان كل هذه الاشياء المذكورة اعلاه لا تمس بضرر ما ويسمح لحامليها بأخذها .

٨ — يتفضل سمو الامير بتخصص جملين لكل من الامراء وجملا واحداً لكل من الضباط والمأمورين وجملا واحداً لكل عشرة من الجنود ويعين لكل قافلة الفين جملا او مايقارب هذا المقدار .

٩ — يسعى بكل همة بترحيل الامراء والضباط والجنود والمرضى قبل تسفيرهم على اربعة قوافل على ان تكون الفاصلة مابين القافلة الاولى والثانية

من خمسة الى ستة ايام وعلى كل قافلة أن تستصحب معها مؤنة عشرة ايام من الارزاق وعدا ذلك يعطى الى المرضى علاجاتهم وكل ما يلزم من المواد الطبية وان بطانيات الجنود وقبابيطها وجميع ادوات مطبخها ومايلزم لوضع مائها وكلما يلزمها في طريقها يتداركه ويعطي من قبل القيادة التركية فى المدينة وكلما يقتضي لاجل نقل الاشياء المذكورة اعلاه يتفضل باعطائه سمو الامير ويخصص من جمال القافلات فى المائة عشرين للمرضى ويخصص ايضاً جملا واحداً لاجل الافراد الذي مرضهم خفيف ولاجل نقل الطبيب وعلاجاته يرفق اثنين من الاطباء وعمبتهم الافراد اللازمة من الصحية لاجل تطبيب المرضى المرسولين فى ضمن القوافل .

١٠ — بعد مرور أسبوع زمان على امضاء هذه الشروط يبتدء فى سوق اول قافلة .

١١ — المنزل الاول يكون (الحفر) والثاني (مضيق بواط) والثالث (رأس البئر) والرابع (ينبع النخل) والقافلة التي تصل الى هذا المنزل تنتظر فيه مجيئ الوابور غير ان المرضى يساقون رأساً الى (ينبع البحر) وتؤمن راحة القوافل الواردة الى (ينبع النخل) من قبل البيكباشي محي الدين بك .

١٢ — تجرى النقليات على الجمل مابين (ينبع النخل) و (ينبع البحر) بمعرفة المأمورين المخصوصين لهذه الغاية وعلى الوجه المذكوراعلاه .

١٣ — ان مسئلة الاركاب فى البواخر ومايقتضى من التسهيلات لها يؤمن من قبل قائمقام القضاء ومعاونة البيكباشي براءت بك .

١٤ — ان الجمال المرسولة الى المدينة المنورة لاجل نقل وسوق القوافل

تجتمع في محل (عروة) وبعده تقسم على القطعات والمؤسسات المهيئة للحركة وترسل اليهم .

١٥ — تدخل هيئة الاستلام الى المدينة المنورة عقب خروج حضرة فخر الدين باشا منها .

١٦ — بعد خروج اول قافلة من المدينة المنورة تشغل جميع النقاط اللازمة الموجودة في محيط المدينة من قبل الجنود الهاشمية وعندها يجرى تأمين الراحة العمومية من قبلهم الى ان تخرج آخر قافلة من المدينة ويؤمن سمو الامير علي عدم دخول العربان والاهالي اليها .

١٧ — ان النقود والاوراق النقدية الموجودة فى خزائن القطعات والمؤسسات توفيقاً لاوراقها الرسمية والحسابية المنظمة فى داخل كشف تسلم بموجب مضبطة الى الهيئة المنتخبة .

١٨ — يؤذن للقطعات وللمؤسسات ان تأخذ الدفاتر والامانات والمخلفات الموجودة لديهم لانهم مجبورين بابرازها امام حكومتهم .

١٩ — تشكل هيئة من الاشراف ومشايخ القبائل المحلية لاجل منع الاضرار والتعديات حين انسحاب القوات التي على الخط الى (بواط) والمدينة من محطة الى آخر محطة .

٢٠ — يلزم بقاء مستخدمين الحرم الشريف والخزينة النبوية في وظائفهم الى مدة شهر ونصف الى ان يعين في محلهم ومعاشاتهم تصرف لهم كالسابق .

٢١ — يمكن البقاء في المدينة لمن يرغب من المأمورين الملكية والمجاورين فيها .

٢٢ — يستوفي اصحاب الحقوق حقوقهم من المبالغ العائدة للملكية والمحكمة الشرعية والخزينة النبوية وبعد ذلك يسلم الموجود الباقي من المبالغ المذكورة بموجب دفاترها للهيئة المنتخبة بمقابل مضبطة تعطى من قبل الهيئة .

٢٣ — على دائرة البريد ان تعيد المبالغ المرسلة من قبل الضباط والجنود العثمانية الى عائلاتهم بواسطة اليوزباشي ضياء بك لسبب عدم ارسال هذه الحوالات الى محل ايجابها .

٢٤ — تبقى مأمورين الطحين والكهرباء ومايلزم من المقدار الكافي من المأمورين العائدين لسوق القطعات الى حين سفر آخر قافلة وان هؤلاء المأمورين يداومون على وظائفهم ويصرف لهم معاشاتهم كالسابق .

٢٥ — ان المرضى الموجودين في المستشفيات والذين يصعب نقلهم لشدة مرضهم يوضعون في مستشفى أو اثنين ويترك لكل مائة منهم لاجل معالجتهم طبيباً واجزاجياً واحدا .

٢٦ — بعد تفريق مايلزم اخذه من الادوية والرباطات لاجل الطريق يترك مابقى الى الحكومة الهاشمية ويسلم الى مفتشي صحيتها بمقابل مضبطة من جنابه .

٢٧ — على الاشراف المأمورة لسوق القافلات أن ترشد كلما يقتضي لاجل محافظة المرضى في المنازل عند المساء ولاجل اعطائهم شاى وشوربة حارة

٢٨ — الطرفين مجبورين بتطبيق احكام هذه الشروط .

٢٩ — قدنظمت هذه الشرائط على نسختين في العربية والتركية في مقر قيادة سمو الامير علي في (بئر درويش) في يوم الثلاثا الموفق ٥

ربيع الآخر سنه ١٣٣٧ و ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٩ م — سنة ١٣٣٥ رومية عند لساعة التسعة غروبية .

معتمد دول الحلفاء في الحجاز	الامير
يوزباشي غارلند	علي بن حسين
قائد منزل القوة السفرية	قائد الفرقة (٨٥) المنسوبة للقوة السفرية
مير الآى عبد الرحمن	مير الآى علي نجيب
رئيس لوازمات القوة السفرية	وكيل رئيس اطباء القوة السفرية
قائمقام صبري	يوزباشي كمال

فلنترك الجيش الحجازي الآن ولنعود الى سلسلة الاحوال السياسية :

اعلان استقلال العرب :

وقد اعلن سيادة الشريف حسين باشا استقلال العرب وانفصالهم عن حكومة الاتحاديين بمنشور خطير الشأن وجهه الى العالم الاسلامي فى مشارق الارض ومغاربها بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ — ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦ م واراد نشره فى مصر ولكن السلطة البريطانية اقترحت تعديله واختصاره لما حوى من بعض العبارات فنحن ندرج اصل المنشور اولا وثم ندرج ما نشر منه بعد التنقيح فى اواخر شوال سنة ١٣٣٤ هـ فى مصر

وهذا نص اصل المنشور قبل التصليح والتنقيح :

منشور عام من شريف مكة واميرها

الى جميع اخوانه المسلمين



﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ﴾

كل من له المام بالتاريخ يعلم ان امراء مكة المكرمة هم اول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وامرائهم رغبة منهم في جمع كلمة المسلمين واحكاماً لعرى جامعتهم ، لتمسك سلاطينهم من (آل عثمان) العظام طاب ثراهم ، وجعل دار الخلد مثواهم ، بعروة الايمان بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ولبناء احكام دولتهم على الشريعة الغراء ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة مازال الامراء المشار اليهم يحافظون عليها — حتى انني حمات بالعرب على العرب بداتي في ١٣٢٧ سنة سبع وعشرين وثلثمائة والف حصار (ابها) محافظة على شرف الدولة ، وفى السنة التي تلتها كان مثل هذه الحركة تحت قيادة ابنائي الى غير ذلك مما هو فى هذا المعنى كما هو مشهور ومعهود — الى ان نشأت فى الدولة جمعية

الاتحاد وتوصلت الى القبض على ادارتها وجميع شؤونها بقوة الثورة فحادوا
بها عن صراط الدين ومنهج الشرع القويم ومهدوا السبل للمروق منه
واحتقار ائمته — وسلبوا شوكة السلطان المعظم ماله حق من التصرف
الشرعي والقانوني ايضاً — وجعلوه هو ومجلس الامة ومجلس الوكلاء
قائد منفذين للقرارات السرية لجمعيتهم الثورية — واسرفوا فى اموال الدولة
.ير ، حملوها الديون الفاحشة التي لايخفى امر خطرها ووخامة عاقبتها على
حد — واضاعوا عدة ممالك كبيرة من ممالكها — ومزقوا شمل الامة رأي
العثمانية بمحاولة جعل شعوبها كلها تركية بالقوة القاهرة فاوقعوا بينها
وبين العنصر الذي ارادوا تسويده عليها وادغامها فيه العداوة والبغضاء
— وخصوا العرب ولغتهم بالاضطهاد ،

ولم يكتفوا بذلك كله حتى خاضوا بالدولة والامة غمرات هذه الحرب
الاوربية الساحقة الماحقه فوقفوا بالدولة موقف الهلكة ، والقوا بايديهم
الى التهلكة ، واستنزفوا باسمها ثروة الامة كما استنزفوا قبلها ثروة الدولة
ثم اتخذوها ذريعة للفتك بجميع المخالفين لرأيهم فى سياستهم الخرقاء
وادارتهم الظالمة ، وللتنكيل بالعرب خاصة ، حتى ان حرم الله سبحانه
وحرم رسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم لم يسلما من شرهم ، فانهم عرضوهما
للخوف والجوع والخراب .

اما انحرافهم عن صراط الدين فلا نأخذ فيه هنا بمجرد ما اشتهر عن
زعمائهم من الكفر والالحاد فى الصحف الاسلامية والاوربية ، ولا بما نعلم
من سوء اعتقاد جمهور علماء الاستانة وغيرهم فيهم ، بل نأخذ فيه اقوالهم
وأفعالهم — فمن باب الاقوال مانشروه فى دار السلطنة من الكتب

والصحف التي جاهرت بالطعن في الاسلام، وانتقاص ما عظم الله تعالى من قدر خاتم رسله وقدر خلفائه الراشدين الكرام، ككتاب (قوم جديد) الذي اشتهر بما فيه من الكفر والضلال والاضلال، وتحريف نصوص الكتاب العزيز والسنة السنية، ومجلة (اجتهاد) التي شوهت اجمل سيرة في الخلق واشرفها وهي سيرة المصطفى صلوات الله عليه وسلامه، ولا يمكن ان تنشر امثال هذه المطبوعات في دار السلطنة على مرأى ومسمع من شيخ اسلامها وعلمائه، ومن رجال السلطنة ووزرائها، لولا ان الجمعية هي الناشرة لها. وما بالنا نرى من ينتقد جمعيتهم ولو بحق يعاقبونه بالقتل او النفي او السجن المؤبد، ومن يطعن في دين الله وصفوة خلقه يعزز ويكرم؟

ومن باب الافعال انهم ابطلوا ما كان محتماً على تلاميذ المدرسة الحربية وغيرها وعلى جميع العسكر من التزام الصلاة فجعلوا الصلاة في نظامهم العسكري اختيارية غير واجبة توسلا بذلك الى ابطالها بالفعل، وقد جعل كتاب (قوم جديد) لدينهم اركاناً لا صلاة فيها ولا صيام ولا حج ثم جاءت اوامرهم في اثناء هذه الحرب الى الجنود المقيمين في مثل المدينة المنورة او مكة المكرمة او الشام تحتم عليهم الافطار في رمضان، لعلة المساواة بينهم وبين الجنود الذين يقاتلون في حدود الروس، ولفقوا اقاويل لمعارضة النص الصريح الذي لا يقبل التأويل، وهو قوله عز وجل (فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر) بل شرعوا في ابطال احكام الشريعة المنصوصة في القرآن الكريم المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة. وقد يعد من هذا القبيل ما ورد اخيراً الى قاضي محكمة مكة الشرعية بان لا يحكم الا بالشهادة التي تحررت في محكمته وبين يديه والا يلتفت الى الشهادات التي يكتبها المسلمون فيما بينهم، غير مبالين

بمافي آية البقرة . ومنه استحلالهم لقتل المسلمين والذميين بغير محاكمة شرعية ولاحكم ، اوباحكام عرفية ماانزل الله بها من سلطان ، واستحلال مصادرتهم وسلب اموالهم واخراجهم من ديارهم — وسيأتي شيء من شواهد ذالك المنشور ، ولايمكن هنا احصاء جرائمهم ولابدعهم واحداثهم في الاسلام ومن اغربها مشروع (سجلات المستشفعين) الذي قرره شيخ اسلامهم السابق واصدر به ارادات سنية . وقصاراه بيع الشفاعة النبوية لطالبها بليرة عثمانية وكتابة اسماء المشترين للشفاعة في سجلات تودع في الحرم النبوي الشريف .

واما سلبهم ما للسلطان المعظم من حق التصرف الشرعي — وكذا القانوني — فهو مما لايجهله احد من اهل العاصمة واهل المعرفة في جميع اقطار المملكة ولا من الاجانب ايضاً . حتى انه لاقدرة له على اختيار رئيس الكتاب (المابين) في سلطنته الشريفة ، ولارئيس خاصته المبجلة المنيفة ، فضلاعن اختيار الصدر الاعظم وشيخ الاسلام — فضلاعن النظر في امور المسلمين ومصالح العباد والبلاد ، وقد اسقطوا بهذا بقايا شروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون كافة ، اذ يجب على المسلمين ان يكون لهم امام (خليفة) شرعي مستقل قادر على التصرف في اقامة الشرع ورفع لواء العدل

واما اسرافهم في اموال الدولة وارهاقها بالقروض الفاحشة فامره معلوم للخاصة والعامة وكذالك اضاعتهم لعدة ممالك من الدولة — كمملكتي البوسنة والهرسك والممالك الالبانية والمكدونية وطرابلس الغرب وبرقة ، وكذالك اثارة الاحقاد الجنسية الممزقة لشمل الامة العثمانية ، وبهذه السياسة السوءي اضاعوا المملكة الالبانية ، وافقدوا الشعب الارنؤوطي الباسل الذي

كان سياجا للدولة امام البلقان ، وهي التي حملتهم على ما اشتهر خبره في هذه الايام من الفتك بالارمن رجال ونساء واطفالا ، فاين هذا ان صح عشر معشاره من قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم «من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود . وفي الوصية بحفظ حقوق اهل الذمة والعهد احاديث في الصحاح والسنن ومن الاحاديث المخيفة في هذا الباب ما رواه الطبراني من حديث جابر : « اذا ظلم اهل الذمة كانت الدولة دولة العدو» فأن كان في سنده ضعف فأن متنه في غاية القوة تؤيده السنن الاجتماعية

واما ما خصوا به العرب ولغتهم من الاضطهاد فهو أعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد ، حالوا قتل اللغة العربية ، فى جميع الولايات العثمانية ، بابطالها من المدارس ، ومنعها من الدواوين والمحاكم ؛ واصدروا في ذلك اوامر كثيرة لقيت من مصوني العرب معارضات شديدة ؛ ونفروا عنها فى كتبهم الجديدة ؛ والفوا لذلك الجمعيات الكثيرة ، ولا يخفى ان قتل اللغة العربية قتل للاسلام نفسه ، فالاسلام فى الحقيقة دين عربي بمعنى ان كتابه انزل باللغة العربية وجعل متعبدا بتلاوته وتدبره وفهمه لا بمعنى انه خاص بالعرب فمن المعلوم من الدين بالضرورة انه عام لجميع الامم وقد قال الله في سورة الرعد (وكذلك انزلناه حكما عربيا)

وقد امكنتهم فرصة اعلانهم الاحكام العرفية في البلاد من تنفيذ كل مايريدون فى العرب فطفقوا يقتلون ويصلبون كبراء ونوابغ رجال النهضة العربية الذين اشتهروا بغيرتهم على الامة والدولة من ارباب المعارف والافكار وحملة الاقلام وبارعي الصباط ، وآخر ماوصل الينا من

بلاغاتهم الرسمية فى ذلك انهم صلبوا في الشام ٢١ رجلا فى آن واحد (منهم شفيق بك المؤيد والسيد عبد الحميد الزهراوي والضابط الكبير سليم بك الجزائري والامير عارف الشهابى وعبد الغني العريسي وشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك وتوفيق بك البساط) وانه ليصعب على كثير من ذوي القلوب القاسية ازهاق مثل هذا العدد الكثير من الانفس لاجل الانتقام ، ولو كانت من الدواب او بهيمة الانعام ، وانما يقتلون امثال هؤلآء جهراً ، ويصلبونهم في الشوارع العامة صلباً ، حتى لايطمع عربي بأن يقول بعدهم ان لغتنا لغة الاسلام فيجب على الدولة الاسلامية الكبرى مساعدتنا على حفظها ، وان لنا في المملكة حقوقاً شرعيه وقانونية يجب علينا المطالبة بها ، واما من يقتلون رمياً بالرصاص بعلل عسكرية ومن يقتلون اغتيالا فى السجون والشوارع فلا سبيل الى العلم بأخبارهم الا اجمالا . وانه ليعز على كل انسان ان يرضى لقومه او لغيرهم من ابناء جنسه بأن تكون دماؤهم مهينة غير محترمة الى هذا الحد . وقد عظم الاسلام أمر احترام الدماء ، وجعل من يتعمد القتل خالداً في النار .

ثم انهم صادروا اموال من لايحصى من الناس ، وعمدوا الى كثير من الاسر (العائلات) الغنية او المغضوب عليها لاسباب سياسية فأخرجوهم من ديارهم واموالهم وعقارهم وابعدوهم نساء واطفالا الى بلاد الاناضول بلا كافل شرعي . فهتكوا حرمة المخدرات من النساء المؤمنات اللواتي لايعرفن السياسة ، وعرضوا اطفالهن للهلاك بين ايديهن في طريق لنفي الطويل الذي لايجدن فيه الكفاية من القوت والاسباب الواقية من البرد او الحر ، والله تعالى يقول (ولا تزر وازرة وزر اخرى) والظاهر ان

الغرض من هذا ان يكون من يسلم من الهلاك من هؤلآء النساء والاطفال كالاماء والعبيد للترك في الاناضول ، ولابد من ان ينسى الاطفال لغتهم هنالك فيكونوا تركا تعمر بهم بلاد الترك ، ولعلهم يريدون ان يأتوا بترك يحلون محل هؤلآء المنفيين فيسهل جعل البلاد السورية كلها تركية

ولم يكتفوا بالتنكيل بالاحياء تقتيلا وتصليباً ومصادرة ونفياً ، بقساوة على الاطفال والمخدرات ، تنفطر لمجرد تصورها القلوب وتذهب الانفس حسرات — بل وصل حقدهم على العرب الى اهانة الاموات ، فتجرأوا على قبر الامير الابر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الحسني باهانته وتحقيره .

أي مسلم بل أي بشر يرضى لقومه بمثل هذا الظلم والخسف ، وقد جعل الله تعالى أمر نفي المرء من وطنه ، مقارناً لامر قتاله ليرتد عن دينه وسبباً لمشروعية القتال فقال تعالى في تعليل الاذن بالجهاد (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ۞ الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق) — الآية — وقال في شأن معاملة غير المسلمين بالعدل والبر والاحسان (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ۞ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

واما نصيب الحجاز وسكان الحرمين الشريفين من هذه الارزاء فلو سكتنا على ما كان من بوادره واوائله لطغى مده ، حتى لايعلم الا الله اين يكون حده ، : ساقوا الينا الالوف الكثيرة من جنودهم المنظمة متكملة

الاسلحة والذخائر ، وهم يعلمون كما نعلم ان الحجاز لايهاجمه احد من الدول المحاربة ، حتى يحتاج الى قوة مدافعـة ، وانهم في اشد الحاجة الى هؤلآء الجنود في ميادين القتال ، فلم يبق الا انهم يريدون ان يفعلوا في الحجاز ، مافعلوا في سورية والعراق ، ليتم لهم القضاء على الامـة العربية في عقر دارها ، وموطن منعتها وعزها وفخارها ، ويذيقوا هذا الحرم الذي جعله الله آمناً تجبي اليه ثمرات كل شيء ، ماذاقوا جنة الدنيا (الشـام) من الجوع والخوف ، ويسلبوه ما من الله به عليه وامتن به على سكانه فى كتابه العزيز ، فكان وجود هذه الجنود سبباً لمنع ورود الاقوات على الثغور الحجازية وعليها مـدار معشة البلاد ، وسبباً لمنع ورود الحجاج منها ولا كسب لأهلها الا منهم ، فاشتد الضيق حتى اضطر كثير من ابناء الدرجة الثانية من الاهالي الى بيع ابواب بيوتهم وخشب سقفها بعد بيعهم لجميع مايملكون لاجل الحصول على سد الرمق ، وصار من المحتم علي دفع اسباب الهلاك عن قوم جعلني الله راعياً مسؤلا عنهم ، واسباب منع سواد المسلمين الاعظم عن اقامة ركن من أهم اركان دينهم ، ولو كان ذالك البلاء فى سبيل الدفاع عن الاوطان ، او المصلحة الراجحة للاسلام ، لتحملته البلاد بالافتخار ، واساوى فيه الشرفاء والموسرون غيرهم ولو بالاختيار ، ولكنه كما اسلفنا ضد مصلحة الاسلام والوطن .

فيا ايها الاخوان المسلمون !

اننا قد وصلنا الى حال من الخطر لم يسبق لها في الاسلام نظير — كان لنا دول عزيزة قوية ، افضلها دول اسلافنا العربية . وقد ورثتها هذه

الدولة العثمانية ، فكنا نحن العرب احرص الناس على حياتها ، على كونها هي التي خذلت اللغة العربية وانتحلت لنفسها منصب الخلافة دون الدول التركية والكردية قبلها ، وكنا نحن امراء مكة وشرفاءها اخلص زعماء العرب وغيرهم لها ، على حرمانها بلادنا مهبط الوحي والعرفان من علوم الدين والدنيا ، كل ذلك حرصاً منا ومن العرب كافة على ان يكون للاسلام دولة قوية تحفظ استقلاله وتنفذ شرعه ولو في الجملة .

وقد صار امر هذه الدولة الى جمعية اغتصبت آل عثمان الكرام ملكهم بقوة الثورة ، وجعلته في ايدي زعنفة ليس لا كثرهم في الشعب التركي الاسلامي اصل راسخ ، ولا في الاسلام علم صحيح ولا عمل صالح ، كانور باشا وجمال باشا وطلعت بك فكان من سوء تصرفهم فيها وفينا ما اجملناه لكم في هذا المنشور ، وقد كانت مقاومة اخواننا الترك لهم اشد من مقاومة العرب ، واما نحن فكنا كلما سمعنا او رأينا شيئاً من هجماتهم على الاسلام ندفعه بالتأويل ، الى ان اعيانا التأويل ، وكلما علمنا بجناية منهم على الدولة او على العرب نقول لعله ذنب عارض يرجعون عنه بعد قليل ، ولا نستحل مقاومتهم لاجله لئلا يترتب عليه صدع في الدولة ، ويزيد له ما يريدون من التفرقة بين العرب والترك ، حتى انني ساعدتهم على مقاتلة قومي ، ومقاومة ابناء ابي وامي ، فلم يرضهم كل ذلك من العرب ولا مني .

ولما رأيناهم عرضوا استقلال هذه الدولة التي نحرص عليها للزوال ، ولم يبقوا على كرامة الدين ولا على احكام الشرع ولا على استقلال السلطان ، لم يبق من سبب نحتمل لاجله منهم هذا الخسف والهوان ، لما

وصل سيل طغيانهم الينا فى حرم ربنا الذي اكرمنا بخدمة بيته واقامة دينه وحرم جدنا ورسولنا عليه الصلاة والسلام، الذي نحفظ من حديثه الصحيح: « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اضطررنا الى مقاومة بغيهم من اسلم الطرق، وهي حصر جنودهم فى معاقلها من غير ان نبادئهم بقتال، فمن سلم منهم سلم، ومن قاتلنا كانت جنايته على نفسه، فما كان من حاميتهم بمكة الا ان فعلت ما يعد برهاناً على ما تكن صدورهم للدين والعرب وهو رميهم للبيت العتيق الذي اضافته العزة الاحدية لذاتها العلية فى قوله تعالى: ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن (جياد) عند ما علموا بقيام البلاد بالمطالبة باستقلالها، وقعت احداهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف، والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة اذرع، فالتهبت بنارهما استار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب، واضطروا الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من اطفاء اللهيب، وما انتهى امرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة وقعت في مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام، هذا عدا ما وقع من القذائف فى بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص، وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد التقرب من الكعبة المشرفة. وفي هذا من الاستخفاف بالدين وازدراء بيت الله تعالى والالحاد فيه ما نترك القول والحكم فيه ايضاً لجماعة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها بعد تذكيرهم بقول الله عز وجل: (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم)

وتذكيرهم بان الجاهلي كان يرى قاتل ابيه فى هذا البيت فلا يمسه بسوء (نعم) نترك الحكم في هذا الاستخفاف والازدراء للعالم الاسلامي ولكننا لا نترك مشاعر ديننا وشعائره العوبة فى ايدي الاتحاديين ولا نبيح لهم من التصرف في حرم الله وحرم رسوله ما استباحوا في ديار الشام ولا في الاستانة نفسها ، ولا نسكت لهم بعد على شيء من بغيهم على احد من أبناء جنسنا ، اذا لم يعد فى السكوت مصلحة راجحة لا لدين ولا لدولة بل صارت المصلحة الاسلامية والعربية (وهما متلازمتان) في مقاومة هذه الفئة الباغية .

ولما كان امر حماية الحجاز من هذا البغي والعدوان ، واقامة ما فرضه الله فيه من شعائر الاسلام ، ووقاية العرب والبلاد العربية من عاقبة الخطر الذي استهدفت له الدولة العثمانية بسوء تصرف هذه الجمعية الباغية — كل ذلك لا يتم تداركه الا بالاستقلال التام وقطع كل صلة بهؤلاء المتغلبين السفاكين للدماء الناهبين للاموال ، وقد هبت البلاد بتوفيق الله تعالى للنهوض بأمر استقلالها ، بعد ان ضربت على ايدي عمال الاتحاديين ورجال حاميتها ، فاستقلت فعلا وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالا تاما مطلقاً بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة مداخلة اجنبية ولا تحكم خارجي ، جاعلة مبدأها وغايتها نصرة دين الاسلام ، والسعي لاعلاء شأن المسلمين ، والمساواة الشرعية فى الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزه استقلالها من المخالفين ، قائمة في كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف الذي لا يكون لنا مرجع سواه ولا مستند الا اياه في جميع الاحكام واصول القضاء

وفروعه ، مع استعدادها لقبول ما ينطبق على اصول الدين ويلائم شعائره من انواع فنون الترقي الحديث واسباب النهضة الصحيحة ، باذلة كل ما في الجهد والطاقة لاعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد

هذا ما قد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا راجين من اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ان يؤدوا كذلك ما يرونه واجباً لنا عليهم من احكام روابط الاسلامي والتناصح على البر والتقوى ، وليعلموا اننا قمنا بما قمنا به ونحن نعتقد اعتقاداً راسخاً انه افضل خدمة للاسلام اذا لم تتحقق به اكبر اماني المسلمين الصادقين حتى الترك منهم فانه لاضرر فيه يوازي عشر معشار الضرر في تركه ، وستظهر لهم الايام حقيقة ذلك فليصبروا ان الله مع الصابرين ، والله نسأل وبحبه وحب رسوله نتوسل ، ان يتولانا بالتوفيق ويمدنا بالهداية الى ما فيه خير الاسلام والمسلمين ، والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ونعم النصير .

شريف مكة وأميرها

الحسين بن علي

وهذا المنشور الثاني بعد التنقيح :



هذا منشورنا العام

الى كافة اخواننا المسلمين

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين »

كل يعلم بأن اول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين واسرائهم امراء مكة المكرمة رغبة منهم فى جمع كلمة المسلمين. وتحكيماً لعرى جامعتهم لتمسك سلاطينها من (آل عثمان) العظام طاب ثراهم، وجعل دار الخلد مثواهم، بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وتفانيهم في انفاذ احكامها ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة لايزال الامراء المشار اليهم محافظين عليها فأني حملت بالعرب على العرب بدأ في فى سنة ١٣٢٦ الف وثلثمائة وسبعة وعشرين لفك حصار (ابها)محافظة لشرف الدولة، وفي السنة التي اعقبتها جرت عين هذه الحركة تحت قيادة احد ابنائي الى غير ذلك مما هو فى هذا المعنى كما هو مشهود ومعهود الى ان نشأت فى الدولة جمعية الاتحاد وتوصلت الى قبض ادارتها وكافة شؤونها عاكانت نتيجة انتقاصها من الممالك ماقوض عظمتها مما عرفه

افراد العالم وخصوصاً بخوضهم بها غمرات الحرب الحاضرة وايقافهم اياها اليوم في موقف المملكة التي لاتحتاج لبيان.

كل هذا لمحض غايات معلومة تأبى احساساتنا البحث فيها وتستدعي تفطر قلوب مسلمي المعمورة أسى وحزناً على دولة الاسلام وتمزيق مابقى من سكان ممالكها بلا تفريق بين مسلميهم وذميهم فريق منهم بالصلب وانواع الاعدام والآخر باجلائه عن وطنه على الصورة المعهودة والحالة المشهودة علاوة على ماأصيبوا به في اموالهم وانفسهم من آفات الحروب ولا سيما هذه الاخيرة التي كان للارض المقدسة منها النصيب الاعظم كما يعلم مختصراً من اضطرار العموم حتى الدرجة الثانية من الاهالي على بيع ابواب دورهم ودواليبها واخشاب سقفها بعد بيعهم لكافة موجوداتهم وذلك للحصول على سد الرمق كل هذا وكأن جمعية الاتحاد لم تره كافياً لغرضها كما يظهر من تجاوزها على اخلال الرابطة الوحيدة بين السلطنة السنية العثمانية وكافة مسلمي المعمورة الا وهي التمسك بالكتاب والسنة فقد وصفت احد صحفها الموسومه (بالاجتهاد) الصادرة في دار السلطنة السنية سيرة صلوات الله عليه وسلامه بشر السير (نسأل الله العاقبة) وهذا بمرأى ومسمع من وزير الدولة الاعظم وشيخ اسلامها وسائر علمائها ووزرائها واعيان رجالها وشفعت هذه الجرأة بلغو قوله تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » فساوتها في الميراث وعززتها بالطامة الكبرى وهي هدم احد اركان الاسلام الخمس وهو صوم رمضان بالأمر بفطره على الجندي المقيم بالمدينة المنورة او مكة المكرمة او الشام مثلا بدعوى ان زميله الجندي الآخر يقاتل في حدود الروس ولفقت لهذا اقاويل لمعارضة

صراحة قوله تعالى: « فمن كان منكم مريضاً او على سفر » الى غير ذلك مما يمس بأساسات الاسلامية من الاقدامات المشتهرة صراحة احكام مرتكبها بعد ان ضربت على ايدي شوكة السلطان المعظم وسلبته حتى حق الاقتدار على انتخاب رئيس كتاب (مابين) سلطنته الشريفة او رئيس خاصته المبجلة المنيفة فضلا عن النظر فى امور المسلمين ومصالح البلاد والعباد وما في هذا من اسقاطهم لشروط الخلافة المطالبين بها المسلمين ووجوب البراءة منهم والحالة هذه مما لامشاحة فيه ومع هذا فما زلنا نتأول صحة هذه الجرأة هرباً وحذراً من نسبة تهمة التفرقة وبواعث الاختلاف حتى ظهر الخفا وانكشف الغطا واتضح بأن الدولة اصبحت في يد انور باشا وجمال باشا وطلعت بك يحكمون فيها بما يشاءوه ويفعلون بها مايريدون واسط دليل على صحة هذا ماورد اخيراً لقاضي محكمة مكة الشرعية بأن لايحكم الا بالشهادة التي تحررت فى محكمته بين يديه ولا يلتفت للشهادة التي يكتبها المسلمون فيما بينهم غير مبالين بما في آية البقرة هذا كله من وجهة ومن الاخرى صلبهم في آن واحد للواحد والعشرين رجلا من عظماء افاضل المسلمين وكبراء نوابغ العرب عدا من صلبوه من قبل وهم الامير عمر الجزائري والامير عارف الشهابي وشفيق بك المؤيد وشكري بك العسلي وعبدالوهاب وتوفيق بك البساط وعبد الحميد الزهراوي وعبد الغني العريسي ورفقهم المعلومون ولاريب انه يصعب حتى على ذوي القلوب القاسية ازهاق نفوس مثل هذا العدد في آن واحد ولو كانوا من بهائم الانعام وهب اننا التمسنا لهم عذراً وانتحلنا لهم مسوغاً في قتل هؤلاء الافاضل فما المسوغ لنفي عائلاتهم البئيسة البريئة من كل ذنب وفيها من

الاطفال والشيوخ وربات الخدور من تنفطر لهم القلوب وتذهب الانفس حسرات عليهم واذاقتهم انواع العذاب فوق ماقد اجرعوه من سم المصيبة باتلاف عميدهم الذي خربت بفقده منازلهم والله تعالى يقول: « ولا تزر وازرة وزر اخرى » واذا انتحلنا لهذه مسوغاً ايضاً فما الذي يسوغ لهم مصادرة املاكهم واموالهم التي يأوون اليها ويستغيثون بها بعد ان قضوا على عزهم وسلبوا من ايديهم اسبـاب عزهم واذا تعامينا عن هذا كله ايضاً وقلنا ربما كان لهم مسوغ اليه فكيف يمكن ان ننتحل مسوغاً لجراءتهم على قبر الامير الابر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الجزائري الحسني واهانته وتحقيره.

هذا ما ابدوه من الاعمـال اتينا به مختصرا تاركين الحكم فيه للعـالم الانساني عموماً والعالم الاسلامي خصوصاً وحسبنا برهاناً على ما تكنه صدورهم نحو الدين والعرب رميهم للبيت العتيق الذي اضافته العزة الاحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين » وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن (جياد) اثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وقعت احداها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة اذرع التهبت بنارهما استار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب واضطرهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من اطفاء اللهيب وما انتهى امرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة في مقام ابراهيم وهذا عدا ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد فى غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس

المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتعظيمه وحرمته مانترك القول والحكم فيه ايضاً لعموم المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها (نعم) نترك الحكم فى هذا الاستخفاف والازدراء للعالم الاسلامي ولكننا لانترك كياننا الديني والقومي العربة في ايدي الاتحاديين وقد يسر الله تبارك وتعالى للبلاد نهضتنا كما وفقها بحوله وقوته لاخذ استقلالها وتكليل مساعيها بالفوز والنجاح بعد ان ضربت على ايدي موظفيها بيننا ورجال حاميا تها فاستقلت فعلا وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالا تاماً مطلقاً بكل معاني الاستقلال الذي لاتشوبة شائبة مداخلة اجنبية ولا تحكم خارجي جاعلة غايتها ومبادئها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين وقائمة فى كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف الذي لايكون لنا مرجع سواه ولا مستند الا اياه فى سائر الاحكام وكافة اصول القضاء وفروعه مع استعدادها لقبول كل ماينطبق على اصول الدين ويلائم شعائره من انواع فنون الترقي الحديث واسباب النهضة الصحيحة باذلة كل مافى الجهد والطاقة لاعزاز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد .

هذا ماقد قمنا به لأداء الواجب الديني علينا راجين من كافة اخواننا المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ان يؤدوا ذلك ما يرونه واجبا لنا عليهم لتحكيم روابط الاخاء الاسلامي رافعين اكف الضراعة لرب الارباب ومتوسلين برسول الملك الوهاب ان يتولانا بالتوفيق ويمدنا الى ما فيه خير

الاسلام والمسلمين والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ولنعم النصير
في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ شريف مكة واميرها
الحسين بن علي

مندوب الحجاز في القاهرة ومخابراته :

بعد ان نشبت الثورة الحجازية وأسر شريف مكة الاتراك واستولى على (مكة المكرمة) و (جدة) و (الطائف) وسائر البلدان الحجازية فكر في ان الاتراك لابد من ان يسوقون جيشاً عليه لاسترداد الحجاز فرأى من الضروري ان يرسل من يعتمد عليه الى مصر ليحتك بالمندوب السامي البريطاني فيها ويستحصل منه المساعدات المالية والادبية والوسائط الحربية التي وعدته انكلترا بها ويرسلها الى مكة وليسعى هذا المعتمد بجمع وسوق ضباط ومأمورين وجنود الى الحجاز لتأليف جيشاً يقوم بأمر مدافعة الحجاز وتحقيق الاماني العربية .

فانتدب سيادة الشريف ، المرحوم شريف افندي العمري الذي كان متعطشاً للقيام بهكذا امور ومتحمساً بحماسة لم يكن لها مثيل ؛ ولما تعين المرحوم المومى اليه مندوباً من قبل شريف مكة واميرها حسين باشا فى مصر تحرك من (مكة المكرمة) — بعد ان اشترك بحرب (جدة) واسقط قلعة (جياد) في اواخر شهر شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ووصل (جدة) في اوائل شهر رمضان المبارك ثم تحرك من (جدة) في ٣ رمضان ووصل (القاهرة) فى ٦ منه وشرع بوظيفته في اليوم التالى .

وقد بذل المومى اليه كل مافى وسعه لتسريع تشييد دعائم الدولة

الحجازية وتشكيل اساسات جيشها ولوازماته وقد اشتغل في مصر من الوجهتين الادبية والسياسية والعسكرية وذلك يفهم من مخابراته التي رأينا درج البعض منها امر ضروري.

وهذه هي البعض من محرراته ومخابراته ندرجها بحروفها وقد استنسخناها من محفظات اوراق المرحوم المومى اليه المحفوظة لدينا :

رسالة من مكة في ١١ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ :

جناب النبيه النبيل محمد شريف افندي

قد تقرر مع بعض مأمورين طرفكم مواد من جملتها قدومكم علينا بأربعة مدافع جبلية ومثلهـا رشاشات وحيث الحال يقتضي جلب فقط مدفعين بنفراتها وما تحتاجه من المهمات والادوات واواعيها سيما في مهماتها ومقذوفاتها التي لابد انكم راعيتم فيها الاختراعات الاخـيرة كما توضح في افادتنا لحضرة الفاضل حسين روحي افندي وقائد الباخرة القادمين عليها وبناء على ذلك فقد وجهنا احد معتمدينا من الاشراف واصحبنـاه بتحريرات أسماء المشار اليهما وضروري اطلاعكم على مآلها لكي يقدم بك وبالادوات المذكورة الى طرفنا بتمام السرعة وخصوصاً اخذكم من كل نوع منها مقادير احتياطية نظراً لما يطرأ من الخراب وتعذر صحته والله يحفظك.

شريف مكة واميرها

حسين

رسالة من مرفأ جدة في ١٢ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ :

سيدي الجنرال كليتن !

لم اذهب لمكة ولكنني الى الآن في مرفأ جـدة وذلك لتأخر المدافع وانما سأسافر اليوم الى مكة ولهذا السبب ليس في الامكان ان اكتب لكم تقريراً مسهباً عن الحالة العمومية كما وعدتكم سابقاً وعند وصولي الى مكة واطلاعي على الاحوال سأحرر لكم تقريراً مفصلا يتناول كل شيء مبيناً فيه الاشياء اللازمة لنا على وجه التفصيل والآن يمكني ان ابين لكم مشاهداتي واحساساتي :

١ — اخذت مكة سوى حصن او حصنين عديمي الاهمية وقد اسروكيل الوالي والموظفين والضباط وهذا مؤكد .

٢ — ليس لدي نبأ اكيد عن اخذ الطائف ولكنه شائع كثيراً .

٣ — انتصارات العرب فى المدينة متوالية على الاتراك وسقوط المدينة قريب والبعض يتحدث بأنها سقطت .

٤ — من المؤكد ان جدة تسلم لنا اليوم .

٥ — تأثير نفوذ سيدنا الشريف على جميع عرب الحجاز مدهش جداً .

٦ — الحرب التي جرت وتجري الآن مع الاتراك هي حرب عشائر لا حرب منظمة ولكن شجاعة العرب وجبن الترك اتحدا فوزا لنعرب ما كنت اتوقعه .

٧ — بنادق الترك من طرز حديث وعندهم قليل من المتراليوز ولا اقدر قطعات الاتراك المنظمة بأكثر من الف ومائة زاندرمة

٩ — اظن مدافع الترك في جده قديمة .

١٠ — اظن قوة الاتراك في جميع الحجاز لا تزيد عن (٧٠٠٠)

١١ — تتكلم العرب الآن عن استقلالها تحت رئآسة الشريف والكل فرحين بمحالفة سيدهم لانكلترا .

١٢ — الجميع عاقدوا النية على الاستيلاء على سوريا وسيهتمون بالاحضارات .

١٤ — اظن ان العرب حلفاؤكم الجدد قادرون على سحق عدوكم وعدوهم لشرط ان تمدوهم

١٥ — اني شخصياً ما كنت اؤمل ان ارى الاحوال مساعدة لنا ولآمالنا بهذه الدرجة وبهذه السرعة فاسترحم معاونتنا بكل ما يلزم لنا كما وعدتمونا رسمياً وحضرتكم شخصياً وعند وصولي الى مكة سأحرر طلب الاشياء اللازمة وسأجتهد ان اجعل هذه الحكومة العربية منظمة واني مطمئن بان سيدنا الشريف راغب كل الرغبة بهذا على شرط صداقتكم واقبلوا فائق احترامي

محمد شريف الفاروقي

وفي ٣٠ حزيران سنة ١٩١٦ م المصادف ٢٠ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ابرق شريف مكة واميرها الى رئيس جمهور حكومات امريكا المتحدة ، بواسطة ممثل انكلترا في مصر البرقية التالية :

« نلتمس حشمتكم بان تبلغوا انور باشا وطلعت بك وجمال باشا بانه متى وقع ادنا تعدي على اخي الشريف ناصر بن علي المقيم في الاستانة او على احد من تعلقاته فانا نقتص من الاسرى الموجودين عندنا من الرجال

الملكية والعسكرية والذين في بلاد عسير واليمن واختمها بمزيد احتشاماتي لذاتكم

شريف مكة واميرها

الحسين بن علي

رسالة من جدة ٣ رمضان سنة ١٣٣٤ :

صاحب العزة الفاضل محمد شريف بك الفاروقي

بعد السلام كنا البارح قدمنا لحضرتكم تلغراف ورد من دولة سيدنا وكنا اخبرنا الرسول ان يفيد جنابكم لتشرفوا الى محل التلفون الساعة خمسة نهاراً والآن وجدنا جواب من حضرتكم مختوم بأسم سيدنا واخبرناه بالتلفون فلايزال يكرر طلب حضرتكم لتشرفوا الى التلفون ليتكلم معكم فنرجو حضرتكم سريعاً ان تفيدونا لسبب عدم مجيئكم حتى نخبره بالتلفون

الداعي رئيس البلدية سليمان قابل

صورة التلغرافات السرية :

(١) من جدة الى مكة ٣ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ

سيدي وسيد الجميع شريف مكة واميرها المعظم .

تواجهت يومين متواليين مع فخامة نائب الملك ولقد سررت بحسن قبوله لي وطلبت عدة مطاليب ووجدته مساعد الى كل ما نطلب ولهذا تأكد عندي ان فى الحال الحاضر دولة انكلترا ميالة الى مساعدتنا من كل الوجوه تعمير التلغراف تحت البحر تم وكمل بعد اربعة او خمسة ايام سيرسل حسين الف جنيه والدخ ثم سترسل نقداً واريد ما طلب مولاي الآلاف بندقية

والخراطيش ارسلت. التلغراف الذي ارسله سيدي الى رئيس جمهورية امريكا[١] تبلغ الى الرئيس المشار اليه قبل يومين. لان فخامة نائب الملك خلى التلغرافات ان تروح من (بورت سودان) الى امريكا رأساً لكي يفهم انه مرسل من قبل سيدي رأساً وهذا موافق. لقد اشتغلت بتحضير الجنود والضباط العرب والحمد لله توفقت. بعد ثمانية او تسعة ايام يسافرون من هنا الى قبل سيدي سبعمائة جندي عربي مدرب تحت قيادة عدة ضباط والكل سيكونون تحت قيادة صاحب الذي أعنه نوري البغدادي[٢] ومن هؤلاء ستمائة مشاة ومائة مدفعية مع ضابط عربي مدفعي ويكون معهم بطارية او بوس [مدافع ضخمة] ومعهم رشاشات وكلهم متحمسون صادقوا الخدمة لسيدي نافرون من الترك وسيكون مع نوري قنابل اليد والديناميت لاجل تخريبات السكة الحديد فنياً وتخريب المباني الجسيمة فاني ارى ان يأمر مولاي ان تروح هذه البعثة رأساً الى المدينة لانني معتقد بانه ليس يوجد خطر في غير محل. واما الضباط والجنود الباقية من اولاد العرب فقد كتب نائب الملك تلغرافاً الى الهند والى العراق لكي يأتوا سريعاً فعند مجيئهم سيجهزون ونرسلهم واما البعثة الحالية فكانت الجنود منها مأسورين بمصر واقد اجتهدت ان تعطي حكومة انكلترا جميع لوازمهم مع رواتب الضباط والجنود بمقدار واف من الدراهم وبعد وصولهم الى قبل سيدي استرحم من مولاي ان يعين لهم رواتب حسب ما اعرض من المقدار بعد. واريد ان اعين وافرق مقداراً كافياً من الضباط

---

[١] البرقية التي درجنا صورتها آنفاً .

[٢] نوري باشا السعيد

والجنود العرب لكي يدرسوا فن الطيران وعندا كمالهم ترسلهم مع طياراتهم واما المساعي السياسية فلقد استحصلت على مساعدة نائب الملك لاجل ان ينشر رفقائي المتعددين من العرب عدة مقالات في جريدة المقطم والاهرام ووادي النيل وساطلع على هذه المقالات قبل نشرها لكي تكون موافقة لصالحنا وان لا تمس مصالح الحلفاء وبعد ان ترسل هذه المقالات سترسل الى الهند والجزاير وتونس ومراكش وسائر البلاد الاسلامية وستكون هذه المقالات مقدمة تمهيدية لنشرة مولاي. وسأرسل هذه الجرائد الى مولاي. اريد ان ارسل اربعة مأمورين ملكية من العرب الذين اعتمد عليهم الى جده لكي يكون احدهم مساعداً لحضرة نائب مولاي والثاني مساعد رئيس البلدية والثالث للتجارة والرابع للبوسته والكمرك وهؤلاء ليسوا من المغفلين الذين يريدون الطفرة بل من العقلاء الذي اعتمد عليهم وليست رواتبهم اكثر من ١٥ او ٢٠ جنيه فانني ارى ارسال هؤلاء الاشخاص ضروري لان جده ثغر مهم جداً بمناسباتها مع الخارج. واما من جهة المأمور الذي سيكون في مصر لاجل التلغراف البحري فانني رأيت فخامة نائب الملك غير ميال الى قبوله ولاجل هذا مارأيت الاصرار يفيد واقتنعت بان يكون في مصر مأمورين التلغراف البحري من الانكليز على شريطة ان يستعملوا العربية ووافقوا على هذا. ولقد تباحثت مع نائب الملك لأجل لقب (ملك العرب) فوجدته ميالا لقبوله واسترحم ان يرسل مولاي النشرات [١] سريعاً ثم استرحم بناء على اعترافي بعفو مولاي ان يأذن لخادمه اذا كان في النشرة بعض الكلمات

---

(١) النشرات التي درجنا نصها آنفاً

التي يعترض عليها نائب الملك ان يسمح لي ان تغير بعض الالفاظ ولكن لاتزيد على ماقرر من قبل سيدي. واني قلق جداً من المدينة فأسترحم من مولاي ان يمد جيشها امداداً مؤثراً واسترحم من سيدي ان لايتركني قلق البال من عدم ارسال الاخبار من قبل سيدي لي . واذا كان في معروضاتي هذه شيء غيرموافق لارادة سيدي فليأمرني سريعاً لاتخذ خطة اخرى ولكني مطمئن من صواب معروضاتي هذه لانها من اراء سيدي وقد اوصلت المكتوب الى رشدي باشا وافهمت نائب الملك من جهة مأمورين الانكليز وعدم مراعاتهم لعوائد البلاد والى اللازم ووافق على العادات . اما الشائع فى الجرائد فهو ان تركيا مشغولة بتحضير الجنود لاجل الحجاز وستجلب هذه الجنود من فلسطين وقد نشرت تلغرافاً عن قتال المدينة وعن انكسار العرب هناك وخروج فخري باشا من المدينة واما اعمالي الباقية سأعرضها بعد هذا وارجو من كاتب مولاي او من مأمورين التلغراف ان لايغلطوا في كتابة الشفرة واقبل الايدي والاقدام داعياً بالنصر والاجلال .

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة في ١٣ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ :

سيدنا وسيد الجميع شريف مكة واميرها المعظم !

تلقيت تلغراف سيدي وكنت قد شرحت في تلغرافي الآخر المطول بعض اعمال والنتائج والحمد لله تعالى على توافق اراء العاجز مع اراء سيده لا سيما بخصوص المدينة والآن انى مشغول بتلك الاعمال بسرعة.

ولقد بلغت لفخامة نائب الملك ما يلزم تبليغه . ولولا بطاءة الانكليز لكانت الاعمال تتتوج بالتوفيق باسرع ما يكون . لقد ارسل (٧٠٠٠) بندقية مع ٥ ملايين ونصف من الخرطوش وبعض الاوراق والدراهم التي عرضتها في تلغرافي السابق . اما الارزاق التي طلبها سيدي شهرياً فلقد رأيناها قليلة لا سيما بعد ارسال جنود العرب ولاجل هـذا طلبنا اربعة اضعافها ووافقوا على هذا . ولقد حمدت الله على انتصارات سيدي الاخيرة وبلغت قلم المطبوعات انتصارات سيدي العظيمة وستنشره الجرائد اليوم وسيكون لانتصار مولاي الاخير وقع عظيم في النفوس هنا واني لا ارى لزوماً بان اعرض لمولاي باني مجتهد لاكمال النواقص باسرع ما يمكن من الوجهة الحربيـة والسياسية . اما كتابات اخواننا العرب فماشية بصورة مرضية وكلهم يرون ان الشرف لهم بان يخدموا سيدي . وحتى قال احدهم بتحمس زائد لو ان سيدنا يدعي الربوبية فاننا انصاره . واني ارى يا مولاي لزوم تشكيل البوستة بين الحجاز ومصر فاذا كان سيدي يوافق على هذا الرأي فليأمرني لكي نعمل المقتضى عند الانكليز ونعمل الاشياء اللازمة كالطوابع البريدية وما شاكل ذلك فان واردات البوستة لا يستهان بهـا واني ارى ايضاً ان يسمح مولاي للتجارة بين مصر والحجاز فان لها فائدة عظيمة لبلادنا ما عدا العائدة الثانية من ضرائب الجمرك . وسأرسل باسرع ما يمكن جميع الجرائد العربية التي تكتبت عن حركة مولاي المعظم واقبل الايدي والاقدام داعياً بالنصر المتمادي والاجلال .

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة فى ١٦ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ :

سيدي وسيد الجميع شريف مكة واميرها المعظم .

ج — قريباً نرسل طبيبين الى جده وليس من الممكن ان تكون رواتبهما اقل من ٢٠ جنية وسنرسل كما امر سيدي شخصاً له دراية ولي اعتماد عليه يتولى قسم الجند والضبط واسترحم من مولاي ان يجعل راتبه ايضاً عشرين جنيهاً . اما الجنود المسافرة قريباً فليس لها هيئة قواد بل لها قائد واحد وهو نوري والضباط الآخرون ليسوا بقواد مستقلين وانما هم ضباط لادارة الجند ومن المعلوم ان جميعهم سيكونون تحت امرة انجال سيدي في المدينة . اما عزيز بك فسوف يسافر بعده مدة . اما طرز المذاكرة فارجو من مولاي ان يثق بانها لاتخرج عن امره وتعليماته . واما من جهة المنشور فكان اعتراض نائب الملك على ضرب الاتراك للكعبة واحراق الستار لاعتقاده بان هذه الحملة تغيظ القسم الاعظم في الهندلان للاتحاديين هناك تأثير عظيم ويقول بان هؤلاء الهنود يقولون بانه لاسبب لضرب الكعبة الا قيام العرب . وسأجتهد في اقناع نائب الملك لتعيين المأمور للتلغراف سوا كن من قبلنا . واما نوع سلاح القوة المنطمة فسيكون من بنادق الجيش الانكليزي العامل واري من الفرض انشاء جريدة بمكة لتكون لسان حالنا امام العالم الاسلامي ولكى تزيل عن قيامنا السعيد كل غموض وابهام واذكر بان سيدي قد امرني بهذه الفكرة . وانه امر سيدي فاريد ان ارسل كاتبين من العرب المعروفين بشدة وطنيتهم وتعلقهم لسيدي . فضلا عن تمرنهم الطويل على هذه الامور براتب ٢٠ جنيه . فاني مستعد

للقيام بذلك عند اول اشارة من قبل مولاي المعظم واما جواب تلغراف سيدي المعظم المؤرخ ١٤ رمضان بعد مفاوضاتي القريبة مع نائب الملك . واقبل الايادي والاقدام داعياً بالنصر والاجلال .

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة المكرمة في ١٧ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ:

سيدنا وسيد الجميع شريف مكة واميرها المعظم !

ج ١٤ رمضان سنة ١٣٣٤ بعد مفاوضاتي مع نائب الملك ابلغني بأنه مسرور من قبولكم القونصلوس بجدهوهم مشغولون الآن باحضاره ويريد ان يتكلم مع رئيس شركة الخديوية للوابورات لاجل تشغيل وابوراتها في الاسبوع مرتين بجـدة و (بورت سودان) و (السويس) وسأعرض لمولاي نتيجة المذاكرة مع الرئيس المذكور وهذه الوابورات ستحمل البريد ايضاً وقد فكرت بعمل (٥) آلاف طابع بوسته فى مصر لاستعمالهم موقتاً وارسالهم لمولاي وتكون قيمة الواحدة قرش صاغ لانه ليس من الممكن ان تعمل في مصر منتظمة لان الطوابع المنتظمة تعمل فى اوربا ولاجل هذا رأينا ان اكتفي بالخمسة آلاف موقتة الى ان يأمرني سيدي بالشكل الذي يراه مناسباً مثل جعل رسم مكة على الطابع او كتابة اسم مولاي المعظم او غيره . اما الطوابع الموقتة التي عملناها في مصر محرر في اعلاها بوستة حجازية وفي وسطها مكة المكرمة وفي اسفلها قرش صاغ وعلى اليمين واليسار التاريخ وشكلها طريف وسنرسلها بأقرب مايمكن .

سأفصل بعد كيفية التجارة وتنظيمها وكيفية المساعدة للتجار واقبل

الايادي والاقدام داعيا بالنصر والاجلال .

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة المكرمة في ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٤

سيدي وسيد الجميع ...

اقدامر حاكم السودان السيد علي بالاطاعة لجميع اوامر سيدي وان يتحرك المدينة وكدره لسوء تدبيره . من ٢ شوال شركة وابورات الخديوى (ميل ستري) بجده فى كل اسبوع مرة لاجل التجارة والبريد وهل يوافق سيدي على انه حملة قوية من جيش الانكليزي تقطع خط حديد الحجاز من (معان) وشماله وتخربه تخريبا فنيا فانني ارى صواب ذلك واما القنصل البريطاني فسيكون في الوقت الحاضر ويلسون الموجود الان بجدة لتسهيل جميع امورنا وامور بريطانيا وتعيينه موقتا الى ان يحضر قونصلوص آخر واقبل الايدى .... الخ

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة المكرمة فى ٢٢ مه :

سيدنا وسيد الجميع ....

اؤكد لمولاى بان نورى ومن معه مع تجهيزاتهم سيتوجهون باسرع مايمكن ولو كان في الامكان اجبار الاحوال لكنت اجبرتها على سرعتهم بازيد من هذا . واما من جهة المظاهرة الحربية وامر الطيارات على ينبع فجاوبني اليوم بصفة خصوصية بأنه سأل مساعدة حكومته بشأنها ويؤمل

غدا ان يجاوبني بالموافقة عليها. وسأنظم معهم ترتيباً لاجل الطيارات الى المدينة ولكن لايمكن الا ان يكون الطيارون من الانكليز . ولقد سمعت من وكيل نائب الملك بان الشريف حيدر وبرفقته عدة علماء وبعض الاشياء المادية سيتوجهون الى المدينة لاجل ان يعرضوا لمولاى. ولقد اخذت الحكومة الانكليزية هذا الخبر من تلغراف لاسلكي الماني وقد سألوني هل يمكن الصلح ام لا؟ فجاوبتهم بالنفي واما الاجزاء اللازمة لادارة البرق فقد طلبناها وافهمنا القوم بأنه لابد من وصولها قبل عشرة ايام . وجدنا فى السودان اربعة اشخاص مصريين مسلمين عارفين بتخريب الخط الحديدى فنياً بالديناميت رئيسهم يأخذ ٣٠ قرشاً فى اليوم والباقون ١٥ قرشاً فاذا وافق مولاى على ارسالهم فليأمرني بارسالهم . وسأتواجه مع نائب الملك لاجل المنشور . واقبل ....

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة المكرمة في ٢٤ منه :

سيدنا وسيد الجميع ...

لقداستعدللسفر فى ٢٦ رمضان الاشخاص الآتية اسماؤهم مع التجهيزات: نورى بن سعيد، رؤف عبدالهادي ومعه عشرون جندى مدفعي مع اربعة مدافع ضخمة من عيار ١٥ سانتيمترو، مدفعين جبل رشاشات وطبيب عسكرى مسيحي متعصب للعربية اسمه الدكتور امين معلوف مع مستشفى كامل لمئة جريح مع جميع اللوازم وخمسين خيمة فاذا كان فى مرافقته للجيش محذوراً ما يمكن ان يباشر عمله فى جدة . ومن الملكيين فؤاد

الخطيب ومحي الدين الخطيب المحررين للجريدة وقد اعطيناهم (٥٠) جنيه لأجل ان يأخذوا لوازم الورق والكليشات للجريدة[١] واعطينا لكل من المسافرين ٢٠ ليرة . وهذه الدراهم اخذناها من الانكليز وسنسافر مع الوابور . سيسافر بعد الآن بمدة قصيرة مدير البوليس لجدة وطبيب او طبابين مع خمسة ضباط مدفعية اكبرهم اليوزباشي محمد رشيد البغدادي والملازمين سعيد البغدادي وراسم الشامي وابراهيم الراوي ومحمد حلمي البغدادي مع عدد قليل من الجنود للتشكيلات مع ٢٦ رأس خيل لجر المدافع و ٣٠٠ بغلة للنقليات وهؤلاء الضباط تقرر معاشهم بصورة موقتة كما يلي: رشيد ٢٠ جنيه والباقون ١٢ جنيه لكل واحد ونوري ١٥[٢]ولرؤوف عبد الهادي ١٤ ان استخدم بصفته ضابط للجندرمة وان كان ضابطاً يعطى حسب الوظيفة ويمكن استخدامه بجدة موقتاً للضبط والربط . اما محي الدين وفؤاد الخطيب فراتب كل منهما ٢٠ جنيهاً ورواتب الاطباء بين ٢٥ و ٣٠ وللجنود من ريالين الى خمسة ريالات حسب الرتبة . وقد كلفني الضباط ان اعرض للاعتاب ان الحكومة العثمانية تعطي عائلاتهم الآن معاشاً متوالياً فاذا علمت بأشتراكهم في الحرب ضدها قطعت المرتب وانهم ربما يصابون بالعاهات او قتل في الحرب لذلك يلتمسون ان يعطى لكل منهم الآن مرتب ٦ شهور توضع في بنوكة مصر ويحسم من رواتبهم الشهرية واني ارى اجابة طلبهم هذا .

---

[١] لتأسيس جريدة (القبلة) .

[٢] جرت بعض التعديلات بالرواتب بعدئذفزيدرواتب نوري السعيد

واما عزيز بك فبعد المناقشة الطويلة معه اعتمدت عليه اعتماداً تاماً وايقنت بشدة وطنيته وتعلقه بمولاي وسيسافر في بحر ١٠ ايام او ١٥ يوماً لاعتاب مولاي لوضع اساس التشكيلات واما من جهة ينبع فقد بلغني نائب الملك انهم اعطوا اليوم اوامر السفن الحربية لاقامة المظاهرة الحربية واما مسألة الطيارات والجيش المصرى للمدينة فقد علمت ان دونها مصاعب جمة . يسافر الوابور بعدغد مع كل لوازم التلغراف والتلفون واقبل . . . .

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة المكرمة في ٢٩ منه :

سيدنا وسيد الجميع . . . .

قطع الخط من الشمال بواسطة قوة انكليزية تقرر عندهم نهائيا وقد وافقوا على ارسال طيارين مع طيارات هوائية مع الانكليز الى جده ليكونوا تحت امر مولاي . الاشخاص والمعدات التي ذكرتها في تلغرافي السابق تحركوا للسويس ليسافروا فاما ان يسافروا على الترتيب الذي ذكرته في تلغراف ٢٤ رمضان او كلهم يسافرون مرة واحدة فالمرجو من مولاي ان يأمر النائب او من يفهم الامور بجدة لاجل ترتيب استقبالهم واحضار الاماكن اللازمة لراحتهم ومن المواد التي تقررت مع القائد المدفعي واخوته بأن نائب مولاي بجدة يستلم المدافع وعداتها من الانكليز وبعد يسلمها لهم بأسم مولاي وان يحسنوا مداراتهم ولا سيما الجنود لانهم بسطاء غافلون . وارجو مولاي ان يعتمد بالشؤون

العسكرية على نوري وهو وكيل عزيز بك حتى مجيئه وقد حصل غلط في تلغرافي ٢٤ منه عن راتب نوري اذ لا بد ان يكون ازيد مما ذكر سابقاً والامر لمولاي، ولقد تحضر في الهند ١١٠ ضابط و١٩ وكلاء ضباط و ٢٦٠٠ جندي عربي كانوا في العراق فلا بد من تسليمهم الينا واني وحكومة الانكليز نرى من الحكمة والصواب ان ينزل هؤلاء المذكورون رأسا الى جدة عند مجيئهم من الهند واني اعد موافقة مولاي على هذا الامر من المحقق ولهذا ان سمح مولاي ان يتأسس مخزن في جدة لوضع كل احتياجاتنا العسكرية وان يبتدي بجميع احتياجات هذا الجيش فيه من الان واقبل ... الخ

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة في ٤ شوال سنة ١٣٣٤ (مستعجل)

سيدنا وسيد الجميع ...

بعد خمسة ساعات يتحرك الوابور الحامل نوري ورفقائه مع ٤٥ طن ارز و ٤٥ طن طحين و ٥ اطنان سكر والفين بندقية لى ينبع ومليونين و ٣٣٠ الف خرطوش و ٤ مدافع ضخمة و ٢ رشاشة جبل و ٣٠ حصان ومستشفى سيار وعدة تفرعات غير ان الخمسة ضباط المدفعيين لما عاينوا المدافع الضخمة قالوا بأنها مدافع قديمة ولا تصلح وان بعض آلاتها ناقصة فابلغنا قولهم هذا الى الحكومة البريطانية فجابت بأن هذه المدافع يستعملها الجيش الانكليزي وانها صالحة ولكن فيها بعض نواقص وقد اصلحت ولكن الضباط مصرين على عدم صلاحها وليس في امكاني الان

أن ابدلها بل يمكن ان تؤخذ فيها بعد عدة بطاريات حديثة ولقد افهمت الضباط عند عودتي اليهم ان وجودهم فى الحجاز ضروري وان لم تكن مدافع فوافقوا على ذلك ولكن عند عودتي الثانيه من السويس تلقيت تلغرافا يخبروني به بأن الضابطين رشيد وراسم مصران على عدم الذهاب للحجاز بدون مدافع جديدة فجاوبتهم تلغرافياً بلزوم سفرهم اليوم بلا تأخير وان المدافع الجديدةسترسل بعدهم . وقابلت اليوم القائد الانكليزى المسؤول عن هذه الامور فقال لي ان هذه المدافع صالحة وان اردتم ان يسلمها لضابط انكليزي وهو يستعملها وما قول الضباط بعدم صلاحيتها الا عذر لعدم ذهابهم فاجبته بأن هؤلاء الضباط اظهروا عدة اعذار لعدم ذهابهم ولكن هذه المدافع ليستحديثةونحن نؤمل من حكومة بريطانيا العظمى ان تعطي لنا المدافع والاسلحة الحديثةلكي نقدران نحارب عدونا المسلح بأحدث سلاح . وقد قررنا ان نطلب كما عرضت وسأعرض مفصلا عدة بطاريات واسلحة كثيرة منهم والى الآن ما عندى خبر عن الضابطين الذين رفضا الذهاب هل يذهبان او يبقيان هنا قطعيا ومع هذا فارجو من مولاي حرصا على منافعنا ان لا يفهم هؤولاء الضباط القادمين بان مولاي قد علم بترددهم وكثرة اعتذارهم وان يعاملون بين اللين والشدة لانه من المحقق عند وصولهم للحجاز سيكونون بطبيعة الحال اطوع الخدم لمولاي هذا وقد نشرت الحكومة البريطانيـة بلاغاً رسمياً في ٢٨ رمضاناذيع في صحف لوندرة ومصر ادرجه ادناه . وان قطع خط الحجاز بواسطة قوةانكليزية يجب ان يكون في منتهى الكتمان .

هذه صورة المنشور كما اذاعه قلم المطبوعات هنا :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية وقد ادى سوء تصرف الحكومة الحالية بالاستانة وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشئومة اوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء بالبلاد العربية ان الاوان قد آن لخلع النير التركي عن اعناقهم والمنادات باستقلالهم . وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائماً على العرب وامانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد واما الآن فقد انظمت تركيا الى صفوف الدول الوسطى فقد اصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على اولئك العرب الذين انخرطوا في عداد الحلفاء ضد العدو المشترك على ان بريطانيا ستبقي محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن اية مداخلة في الشؤون الدينية وعلى بذل غاية جهدها في بقاء الاماكن المقدسة امينة من كل طارئ خارجي . ومن النقط التي لاتقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في ايدي حكومة اسلامية مستقلة .

ولا يخفى ان احوال الحرب الحاضرة تلقي العقبات الكثيرة و الاخطار في سبيل الذين يرغبون القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان . »

محمد شريف الفاروقي

من مصر الى مكة في ٣ شوال

سيدي وسيد الجميع . . .

الاشخاص والاشياء التي ذكرتها البارحة فى التلغراف تحركت مساء الامس ما عدا الضابطين رشيدوراسم والباقين كانوا ممتنعين من حركتهم. استرحم من مولاي ان لا يتأثر من استيلاء الادريسي على (القنفدة) فان الاحوال الحاضرة تجبرنا على السكوت الآن . واني ارى ان يكلف مولاي ويلسن باشا قنصل بريطانيا في جده الذي كلفته حكومته تنفيذ اوامر مولاي بهذا الخصوص لكى يأمر البواخر الحربية فتساعد جنود مولاي على احتلال الموانى الصغيرة كالوجه وما شا كل ذلك ليكون العمل اتم وتكون حاكميتنا على الخط الحجازي اثبت وامكن. المنشورات قالوا لي انها اتت باسم السياسة ديانه ولهذا لم اتمكن من المداخلة فيها خيرا وما نشرت الى الآن ولكن ساتداخل فى امرها بناءعلى امر مولاي وسأذهب غدا للاسكندرية لمواجهة نائب الملك وسانشرها قريباً . وارجو من مولاي ان يأمرني بارسال السيد رشيد الذي عرض نفسه لخدمة مولاي في كتابه الذي ارسل مع الخط . واني معتقد بان السيد رشيد يكون مستشاراً حسناً واقبل . . .

محمد شرف الفاروقي

من مصر الى مكة في ٦ منه

سيدنا وسيد الجميع . .

اخبر مولاي ان الشريف حيدر كان بدمشق في ٩ رمضان وان ما

فوض به يعين شريفاً في المدينة وان يكون لمولاي الاستقلال في مكة وما حولها على شكل الامامه واذا لم يتم الاتفاق المذكور يعمدون الى الحرب واقبل . . .
محمد شريف الفاروقي

عدد ٢٥ من القاهرة : في ٨ شوال سنة ١٣٣٤ هـ :

سيدنا وسيد الجميع . . .

ج لايمكن ارسال الطيارات الهوائية الآن ولم ينجح جميع مابذلته لهذه الغاية . وحجة القوم ان الطيارات مشغولة جداً في (سيناء) ولا يمكن الاستغناء عنها . . . . نجحت مساعي في امر المنشور واؤمل ان اتمكن من نشره بعد غد . قرب سفر عزيز . وافق الانكليز نهائياً على جميع المهمات الحربية التي قدمتها (طلبتها) لتشكيل جيش والتي ارسلت صورتها لسيدنا وسيعطونا تدريجاً اولا بطارية سريعة الطلقات . . . . .

(وهنا بحث عن معارك التي دارت بين الانجليز والاتراك في سيناء تلك التي انتهت بفوز الانجليز) الى ان ذكر في الرسالة قائلا : « وقالت المقطم في هذا الصدد : واننا نهنئ جميع الذين يتكلمون بالعربية فان هذا الانتصار يوطد استقلال البلاد العربية حيث قد اصبح من المتعذر ارسال حملة تحتفظ بمواصلاتها في بلاد العرب . . . الخ »

محمد شريف الفاروقي

عدد ٢٩ من القاهرة : في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٤ هـ :

سيدنا وسيد الجميع . . .

ج — تعديل معاملة الضباط والقيادة ليست في طاقتي ولا يوجد غير

عزيز بك [١] لها ولتهيئة الامور المستقبلة عند سيدي [يعني امور الجيش وادارة الحركات العسكرية — للمؤلف .] وارجو مولاي ان يثق بأخلاصه واني بأنتظار جواب تلغرافي المؤرخ ٢٧ الجاري . وعزيز بك مهيأ للسفر يوم السبت واسترحم من مولاي ان يجاوبني بسرعة عن مسئلة سفر عزيز بك واقبل الاذيال . . . الخ

محمد شريف الفاروقي

عدد ٤٥ من القاهرة : في ٨ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ هـ :

الى مكة المكرمة سيدنا وسيد الجميع . . .

لقد سافر على بركة الله اليوم من القاهرة عزيز بك للتشرف باعتاب مولاي . وسيكونون جميعاً واصلين سواء ، مع الذوات والاشياء التي ذكرتها البارحة في تلغرافي . واسترحم مولاي ان يتلطف بالامر لحسن استقبالهم . . . الخ

محمد شريف الفاروقي

عدد ٤٦ من القاهرة ، في ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٣٤ هـ :

الى مكة المكرمة سيدنا . .

وصل مصر وفد فرنساوي برئآسة ضابط ميرالاي [اسمه سيدي قدور] وقد تواجهوا معي بالامس . وافهموني ان وظيفتهم ان يسبقوا الحجاج

---

[١] عزيز بك علي المصري المشهور بوطنيته ودهاءه العربي وهو كان اركان حرب فى الجيش التركي سابقاً .

التابعين لهم الى (جدة)ومعهم قونسلوس ؛ ليعرضوا لاعتاب سيدنا تبريك وتهاني فرانسة بمناسبة استقلال البلاد والنظارة على الحجاج التابعين لفرانسة ويريدون ان يعرضوا لمولاي مساعدة فرانسة بالمهمات الحربية كالرشاشات والمدافع وغيرها . وبين اعضاء هذا الوفد ضابط مسلم مراكشي يجب ان يذهب الى مكة ليتشرف بأعتاب مولاي. ويود ان يدرس الاحوال والاحتياجات الحربية ليطلب من حكومته المهمات التي يرى ضرورة وجودها وافهموني انه ربما يحاول السفر الى المدينة للاطلاع على الاحوال وقالوا انهم مفوضون من قبل حكومتهم بكل مايطلبون ومعهم هدايا فرانسة لمولاي وسيكونون (بجدة) في خلال العشرين من الشهر الافرنجي القادم [اي تشرين الاول سنة ١٩١٦] ومن المعلوم انه يلزم تهيئة محل لاجل سكناهم واعداد مايلزم لهم من كل الاحتياجات لمجاوبتهم باظهار المودة والمحبه لعظمة فرانسة . وقلت لهم : فى سياستنا الرسمية ايضاً سيشاهدون اثر هذه المحبة واننا نشكرهم على عواطفهم هذه واكدت لهم بأنهم سيصادفون لدى مولاي استقبالا حسناً جداً وانما يتضاعف شكرنا لهم عندما نشاهد عواطفهم الكريمة فعلا بأهدائنا المهمات الحربية . ولكن لااستطيع ان اقول كلمة واحدة بشأن الضابط الفرنسوي المسلم ، افي الامكان ان يذهب بنفسه الى المدينة ويطلع على حالة جيوشنا ام لا ؟ ولكن لااري ذهابه ضرورياً للمدينة بل يكفي وصوله الى مكة . واني ارى ياموﻻى ان عزيز ملك يتواجه معهم .

وعدد الحجاج الفرنسويين ٦٠٠ وقد اعد سلطان مصر وفداً من العلماء سيرسل مع الحجاج لاداء الحج عن والدته المتوفية حديثاً ولتقديم

التهاني لمولاي معاً وربما تكون لهم وظيفة اخرى. كان لجريدة العبلة احسن وقع هنا واقبل ... الخ

محمد شريف الفاروقي

عدد ٥٠ من : القاهرة في ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٣٤هـ.

الى مكة المكرمة سيدنا وسيد الجميع ...

افهمني نائب الملك [مندوب بريطانيا العظمى السامى] بان ليس باستطاعة الحكومة الانكليزية ارسال جنود الى الحجاز لاسباب مختلفة اهمها الحذر من اتهام العالم له واعتقاداً منهم بان ليس للاتراك قوة يخشى منها. البعثة الفرنسوية ستكون في (جدة) في ١٩ من الشهر الافرنجي [تشرين الاول سنة ١٩١٦]. المهمات الحربية كالرشاشات والبنادق سترسل مع وابور مخصوص لها ولا يريدون ارسالها مع وابور فيه اجانب.

لنا الامل القوي بان عدد الحجاج في مصر يزيدون عن الالف ... الخ

محمد شريف الفاروقي

من مكة المكرمة في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ :

الى فخامة نائب جلالة ملك بريطانيا العظمى ، اطلب مفتاح ارقام مندوبنا وتحل بصورة مخصوصة من قبل فخامتكم.

ان مقاومة جندنا البدوي للمتغلبة [يعني الاتراك] وحليفتها وصدهم في نحورهم وثباته منذ اربعة اشهر لايخفى عن طلى للعظمة البريطانية

امدادها العسكري كشرط عهدنا . ولقد حصل لدينا مزيد الحزن واليأس من استرجاعها الطيارات ايضاً بعـ ـد ان وصلت (رابغ) في الوقت الذي كانت طيارات العدو تهدد ميمنة جندنا الذي بقيادة فيصل وتؤثر عليه . فزيادة تفوق العدو بطياراته في هـذه المرة يلزمني بأسم العهد والتحالف الواقعين بيننا ، عدا ماصرحت به حكومة جلالة الملك فى بلاغها الرسمي المذاع في ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ المبيح لها كل محذور بقولها فيـه عن العرب انهم انخرطوا في عداد الحلفاء ضد العدو المشترك ثم قولها انها ستبذل كل الجهد في بقاء الاماكن المقدسة آمنة من كل طارئ خارجي . فكل هذا يخولني ان اطلب سرعة اعاده الطيارات المذكورة الى (رابغ) بمهندسها ومديرها بدون افاتة وقت وزمان . وان حياة ابنائي علي وفيصل وزيد كافلة لحراستها . اما القوة الجزائرية التي يقال بانها ستساق، فأن صح امرها فمن الضروري اعتباري بانها كبريطانية محضة . وعليه فلا بد من ايجاد قوات كافية نظامية لمقابلة العدو واحباط اعماله المرتكن فيها على الفن والمخترعات الحربية التي لايحسنها جندنا في الوقت نفسـه . فاذا حصل ادنى تأخر في انفاذ الطلبات الواقعة الضرورية في الوقت العاجل فما يحدث عقبه من التهلكة العظمى التي لاتتصورها مملكتنا المرتكنة بعد الله تعالى على شرف وشهامة محالفتها مع حكومة جلالة الملك لاتخفى على فخامتكم وسرعة اجابة فخامتكم عن طلبنا هذا منتظر بكل سرعة واختم بمزيد الموقر .

شريف مكة واميرها

حسين

من مكة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ هـ :

الى القاهرة فخامة نائب جلالة الملك بعفتاح المندوب :

لاحقة لبرقيتنا ٢٢ منه : رغبتنا في زيادة ايضاح مايجب اتخاذه ولعدم ابقاء محل لسوء التفاهم رأينا حظوة ولدنا عبد الله بفخامتكم بشرط ان تكون مدة عزيمته واقامته وعودته عشرة ايام . لان وظيفة تعيينه لمهاجمة المعاقل الكائنة شرقي شمال المدينة لاتسمح بزيادة تغيبه . فأن رأيتم فخامتكم بذلك تتكرموا بتعيين يوم وصول السفينة التي ستنقله من جدة .

شريف مكة و اميرها

حسين

عدد ٥٤ من القاهرة في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ هـ :

الى مكة المكرمة ، سيدنا . . .

ابلغني اليوم نائب الملك [بريطانيا العظمى] جواباً على برقية مولاي بتاريخ ٢٣ الجاري بان دولة بريطانيا لاتود ان يخالج ضمير مولاي من ان هذه الدولة المعظمة لاتود مساعدة سيدي بجميع مايحتاج اليه على شرط ان يكون في الامكان . وانهم يعتبرون مصالحهم متحدة مع مصالحنا . وذكرني بانهم فعلوا كل ماطلبناه سوى مسألة الثلاثة طوابير . وانهم يهمهم جداً قناعة سيدي بحسن نيتهم ووفائهم وانهم حاضرون الى اعانته بكل مايلزمنا على قدر امكانهم . فشكرته على هذه العواطف الكريمة وقلت بان صاحب الدار ادرى بما فيها . على هذا نرى اذا كانت المعاونة حسب مطالبنا يكون العمل احسن واذا تغير الكلام بحق المعاونة على

قدر الامكان بالمعاونه حسب طلبنا واحتياجاتنا يكون الفضل اعم
واقبل ... محمد شريف الفاروقي

عدد ٥٩ من القاهرة في ١ محرم سنة ١٣٣٤ هـ :

الى مكة المكرمة سيدنا وسيد الجميع ....

حظيت اليوم بمقابلة نائب الملك مدة طويلة . وقد تباحثنا بعدة مسائل اهمها تصريحه نهائياً بانه لايوجد ادنى سوء فهم ولا يدري ماهي الاسباب التي حملت مولاي على هذا الاعتقاد . وقال انه يمكن ان تكون مسألتا عدم سوق القوة الى (رابغ) وارجاع الطيارات كانا الباعث على هذا الظن وقد كرر علي مراراً ان منتهى قصده تحقيق اماني مولاي ورغباته على شرط ان يكون فى استطاعته المحافظة على توازن القوى التي تدافع عن بلادها والتي تساق الى الاماكن الاخرى وبين الرأي العالم الاسلامي ومع هذا فقد طلب من لندن طلبات مولاي. ويؤمل انه في خلال هذين اليومين يصل جواب مرضي فشكرته على هذا وشرحت لزوم وضرورة مصاحبة طيارين للجيش العربي . اما بقيه البحث فكان مبادلة المجاملات الرسمية . وقد اسمعني ثناء جماً على مولاي وقال انه كتب لسيادتكم خطاباً شكراً على العناية والاهتمام اللذان صادفهما الحجاج في هذا العام .

وقد زرت سيدي قدور رئيس البعثة الفرنساويه فوجدته يفيض ثناء على مولاي ولن ينسى لطفه الى الابد وكلفني ان ارفع الشكر والاحترام لاعتابكم ورد لى الزيارة الليله . وقال ان المساعدة الفرنسويه وصل منها

الى السويس قسم الرشاشات. هذا وكما عرضت بكتابي الاخير اني مشتغل في الحملة الصحافية بمناسبة الحج المبارك لمصلحة المسئلة العربية وقد ظهرت الصحف اليوم طافحة بهذا الصدد.

محمد شريف الفاروقي

تأثير الثورة العربية في الغرب والشرق:

وقع خبر الثورة الحجازية واعلان استقلال العرب اعظم وقع في العالم الغربي والشرقي فقابله، ما عدا الدول المركزية [المانيا النمسا، وتركيا وحلفاؤهم]، بكل سرور وابتهاج واضطربت الاتراك لنشوب الثورة العربية وقلقوا بقلق عظيم واخذوا يعزون اسبابها الى اعمال جمال باشا وسوء سلوكه مع العنصر العربي الكريم. واما الاتحاديون فانهم بادروا وقتئذ بالسب والطعن بهذه الثورة وبالقائمين بها.

اما انكلترا وحلفاؤها فانهم ابتهجوا كثيراً بانضمام شريف مكة واميرها الى صفوفهم وتلقوا هذه الثورة من اهم عوامل ظفرهم القريب. ففي ٢٨ تموز سنة ١٩١٦ نشرت صحف لندن البلاغ الرسمي الذي درجناه اعلاه [في برقية مندوب الحجاز المؤرخة ٢ شوال سنة ١٣٣٤ هـ]

وفي ١٨ حزيران سنة ١٩١٦ القى اللورد كرومر في مجلس الاعيان البريطاني خطبة عن ثورة العرب قال فيها ما خلاصته نقلا عن جريدة التايمس اللندنية:

« ان الاخبار التي نشرتها الصحف عما جرى في جزيرة العرب عظيمة الشأن جدا. ومن رأيي انها داعية الى الارتياح ايضاً. ومما يزيدها وقعاً في النفوس انها حدثت فجأة وعلى غير منتظر. انها كما هي خطيرة الشأن فلان

كل ما يختص بالاراضي المقدسة يثير اهتمام العالم الاسلامي كله تقريباً .واما كونها داعية الى الارتياح فلأن في العمل الذي قام شريف مكة وسائر المشتركين معه دليلا على ثقتهم التامة في الاعلان الذي أصابت حكومة جلالة الملك فى نشره في اوائل الحرب وهو انها لاتنوى الدخول فى شؤون ادارة اهل الحجاز واستقلالهم . [١]

« قلت ان هذه الحركة لم تكن منتظرة ومع ان جزيرة العرب كانت في حالة ثورة مزمنة في السنين العديدة الماضية فلو سئل المطلع على شؤون الشرق لنفى احتمال حدوث ثورة فيها . وقد كانت ظواهر الحال تدل على ان الفوز الذي احرزه الاتراك في كوت الامارة يكفي لخنق فكرة الثورة في بلاد العرب قبل اكمالها . ولكن الحقيقة جاءت مناقضة لها . فكان لنا من ذلك عبرة جديدة تضاف الى ميئآت من العبر التي تقدمتها وهي انه يستحيل على الاوروبى ان ينبئ بما سيقع فى الشرق اذ جل ما نعرفه عنه هو ان نتوقع فيه حدوث غير المنتظر وماليس فى الحسبان . »

وقد اجاب المركيز (كرو) على سؤال اللورد (برسي) فيما يتعلق بالثورة العربية مايلى :

« لايسعني ان ازيد على مانشرته الصحف عن سير الحال فى جزيرة العرب شيئاً يذكر ان حكومة جلالة الملك لم تؤخذ باخبار بلاد العرب على غرة . فقد كانت خطة الحكومة من اول الامر الى آخره وجوب المحافظة على الاراضي المقدسة فى الحجاز والعراق العربي تحت سلطة اسلامية على انه لما ظهر ان الحكومة العثمانية اخذت تضيع منزلتها كالدولة الممثلة

[١] مرة العرب

للدين الاسلامي والعالم الاسلامي الحقيقي بفعل النفوذ الاجنبي والسيطرة المدنية اتضح ان حدوث ثورة كالثورة التي جرت الآن لم يكن بعيد الاحتمال . فان الحكومة العثمانية اخذت تضيع حقها كممثلة للاسلام منذ مدة طويلة ولذلك لم يبق مجال للدهشة والاستغراب مما قام به قوم يعدون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للدين الاسلامي .

« ولايسع احد منا ان يردع نفسه عن العطف والميل الى اولئك الذين يفرغون قصارى جهدهم فى نزع الاجنبى عنهم .

« اما العامل الآخر الذى يحملنا على العطف على المساعى التي يبذلها العرب لتحرير انفسهم من ربقة السيادة التركية فهو ان هذه الحرب اثرت فى موسم الحج تأثيراً عظيما اوجبته الضرورة الحربية على كره منا . وقدكان الوف والوف من رعايا جلالة الملك يحجون من الهند وما وراءها شرقاً الى المواطن المقدسة . ويحتمل ان ماجرى الآن يسهل لاعادة موسم الحج الذى قضت الضرورة بالدخول فى شأنه بسبب حصر الموانى العثمانية على سواحل جزيرة العرب ونشطه تنشيطاً عظيما . »

وقد بحث المركيز فى خطبته هذه عن فضائع جمال باشا فى سوريا الى ان قال:

« وان الفرنسويين الذين يهتمون بمصير مسيحى سورية اشد اهتمام يهمهم مصير المسلمين السوريين ايضاً ومن البديهى ان مستقبل سورية يشغل بال الحكومة جداً ورجاؤها الوحيد ان الفوز الذي يمكن احرازه في انحاء العالم المختلفة من الوجهة الحربية قد يساعد على حل هذا المشكل

« وقد ظهر الآن ان الاتراك هاجموا كربلاء واطلقوا النار على احـد

مشاهدها . [١] وسينتج من ذلك ان الجانب الاكبر من العرب سكان تلك الشقة في العراق العربي معاد للحكومة التركية وناقم على حكمها . »

وقالت جريدة التايمس اللندنيــة في مقالة افتتاحية عن ثورة العرب ماتعريبه :

« ان الخبر المدهش الذي اذيع اليوم عن ان عرب الحجاز طردوا الاتراك من مكة المكرمة واعلنوا استقلال بلاد العرب سيكون له اعظم وقع فى العالم الاسلامي ويحدث هزة فى نفوس المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها . وقد استولى العرب ايضاً على (جده) ميناء مكة وعلى (الطائف) الواقعة على مسافة ٧٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من مكة . وحاصر العرب الآن المدينة المنورة ، ثاني الحرمين الشريفين حيث قبر نبي المسلمين والادلة متوفرة على ان الثورة العربية اخذت تمتد وراء الحجاز ويتسع نطاقها .

« وزعيم الحركة العربية الحاضرة سيادة شريف مكة ولا نخطئ اذا استنتجنا ان لانجاله الموصوفين بالمقدرة يداً كبيرة فيها . اما الشريف الاعظم فهو امير مكة الحقيقي وقد كان له دائماً نفوذ كبير وسلطة واسعة فى غرب شبه جزيرة العرب واوسطها وهو سليل بيت امارة منحدرة من بني المسلمين ووظيفته زمنية ومصطبغه بالصبغة الدينية . ومع ان سلطان

[١] لم تطلق المفرزة العثمانيــة التي كانت اذ ذاك فى كربلاء النار على نفس الاماكن المقدسة بل انها اطلقت النار على العصاة الذين كانوا يطلقون الرصاص على المفرزة من مأذنة الصحن الشريف فاضطرتهم على ترك المأذنة بنار البنادق بعد ان جرح منهم واحداً وكسرت الساعة المعلقة على جدار الشرفة

انواع

تركيا كان يعين اشراف مكة فى عقود السنين الاخيرة فان معظم هؤلاء الاشراف كانوا يتمتعون بشىء كثير من الاستقلال والمسلمون يحترمون شريف مكة احتراماً عظيماً لانه من عترة النبي وصميم قريش قبيلة النبي

« وان الثورة التي نشبت نارها في مكة تقدمتها فتنة مثلها فى كربلا بالعراق العربي وهي مدينة يجلها الشيعة لاحتوائها على قبر الحسين سبط النبي والمفهوم ان الاتراك طردوا كلهم منها . »

وبعد ان بحثت التايمس عن ثورات العرب السابقة بزمن استيلاء الوهابيون على الحرمين الشريفين قالت : « ولم يتسن للترك غزوة ولاية اليمن الا فى سنة ١٨٧٢ ومع ذلك لم يتمكنوا من تدويخها وقضوا تلك السنين الطوال يحاربون اهلها حرباً عواناً لم تخمد لها نار وقام العرب في سنة ١٩١٣ على الحامية التركية فى الحسا وطردوها مهانة فالتجأت الى باخرة بريطانية كانت منحدرة في خليج العجم فنجت .

«وقد ثار السيدالادريسي على تركيا منذ سنة ١٩٠٩ ونادي باستقلاله

« وقد ذكرنا ذلك لنظهر ان ما يجرى في الحجاز الان ليس الا النتيجة الكبرى للاميال التي انقضى اليها زمن طويل وهي تنمو وتتأصل فى نفوس العرب وتتعاظم تدريجاً .

« وللثورة الحجازية عاملان احدهما كان يعمل منذ قرون عديدة والاخر منذ سنوات اما العامل الاول فهو ان العرب لا يذعنو الحكم الترك ولا تمكن الترك من تدويخ بلاد العرب واخضاعها اخضاعاً حقيقياً ولم يمد عبد الحميد سكة حديد الحجاز الى المدينة الا توقعاً لقيام العرب يوماً ونزاعهم الاماكن المقدسة من الترك مرة اخرى فأنشأ هذه السكة ليتمكن

من نقل جنودها الى الحجاز على جناح السرعة .

« اما العامل الثاني فهو ان جماعة الاتحاديين استبدوا بالحكم في تركيا وجحدوا الدين الاسلامي فلا بد للمسلمين الحقيقيين في بلاد العرب من ان يطرد الترك من الحجاز . . . . . الخ » وبعد ان بحثت الجريدة عن خضوع تركيا للامبراطورية الالمانية واعتسافات الاتحاديين للعرب قالت :

« ان زعماء العرب موصوفون بالفطنة والحصافة وآراؤهم السياسية صحيحة فلم يخدعوا بانسحابنا من الدردنيل ولا بالحادث المشؤم الذي اتفق لنا في (كوت الامارة) بل رأوا النبوءة بقرب زوال تركيا مسطورة على لوح القدر فاتخذوا بذلك عدتهم وعمدوا الى التدابير التي اقروها منذ زمن لمثل هذا الاوان .

« ولا بد لنا فى الختام من تنبيه العرب الى امر جوهري : وهو وان يكن العرب قد استولوا على مكة فقد بقي عليهم ان يحافظوا عليها فأن للاتراك عدداً كبيراً من الجنود المحشودة في فلسطين ؛ ثم ان قبائل العرب كانت تنقصها روابط التآزر والاتحاد فى القرون العديدة الماضية وعليها ان تبرهن الآن على اجتماع كلمتها وشدة اتحادها ونبذ عوامل التفريق بينها . . . . . الخ »

واما تأثير الثورة العربية في فرانسا ، فكان له نفس الذي وقع فى انكلترة على التقريب

وقد فكرت فرنسة في الاعراب عن صداقتها نحو شريف مكة واميرها فارسلت فى اواخر شهر ذي القعدة سنة ١٣٣٤ هـ اليه وفداً من رجال المسلمين في المغرب الاقصى والجزائر وتونس يعربون له عن ميل الحكومة

الفرنسوية والمسلمين الذين تحت حكمها الى العرب وحكومتهم الجديدة فارسل الشريف حسين باشا برقية شكر الى رئيس الجمهورية الفرنسوية المسيو بوانكارة على أثر وصول رجال هذا الوفد الى الحجاز وهذا ترجمة البرقية المذكورة :

« ابشركم بسرور لا مزيد عليه بوصول الوفد الاسلامي الفرنسوي المؤلف من ملكيين وعسكريين . فقد استقبله الاهالي استقبالا فخيماً يليق بمقامه فاهلا ومرحباً به وانا لنشكر من صميم الفؤاد الذين اوفدوه الينا ونعرب للامة الفرنسوية عن اعجابنا بعملها في هذا الوقت الذي تدافع به هي وحلفاؤها عن المدنية وحقوق الامم . وما خلا ذلك فان التاريخ لاكبر شاهد على العواطف الكريمة التي اظهرتها الامة الفرنسوية للاسلام والمسلمين لهذا اتمنى من صميم فؤادي دوام هذه العواطف واعرب لحضرتكم عن اخلص عواطفي لشخصكم الكريم وللامة الفرنسوية . »

فاجاب المسيو بوانكارة بالتلغراف التالي :

« عن قصر الاليزه في باريس :

« الى صاحب العظمة الحسين بن علي شريف مكة المكرمة واميرها :

« انني اشكر لعظمتكم تفضلكم بذاتكم باخباري عن وصول الوفد الذي ندبته الى عظمتكم حكومة الجمهورية الفرنسوية . ولم يكن عندي ادنى شك بالمقابلة الودية التي اقمتموها له . وليكن لعظمتكم تمام الثقة بان الامة الفرنسوية تتمنى بمنتهى الاخلاص النصر المبين لجيوشكم . وانني اشاطرها بنفسي هذه العواطف واتمنى لعظمتكم الفوز . الامضاء ؛ رايمون بوانكارة. »

وقد اقتدت صحف فرنسة بالصحف البريطانية على أثر اعلان الثورة

الحجازية لحبذت القيام ضد الاتراك واعلان استقلال العرب وامتدحت سيادة الشريف وانجاله وانشأت جريدة (الطان) الشهيرة على اثر سقوط (الطائف) بيد العرب مقالة مسهبة جاءت فيها :

« . . . . . . فلما رأى الشريف الاعظم ضغط يد الالماني على الاستانه وان هذه اليد تزداد عليها ضغطاً يوماً فيوماً بداء يحاذر المطامع الالمانية التى استكشفها تحت ستار مواثيق الحاج غليوم [١] الكاذبة . فبدأ منذ ذلك العهد الجديد الذي حمل امبراطور المانيا شيخ اسلام الاستانة عليه . . . . الخ » الى ان قالت :

« لقد استعادة ارض الحجاز المقدسة استقلالها وتبادل الامير حسين ، الشريف الاعظم ، الرسائل البرقية مع رئيس حكومة الجمهورية وهي توازي الاعتراف بهذه الحكومة الاسلامية الجديدة صديقة فرنسة . فقد شكر الشريف حسين رئيس الحكومة على ارسال البعثة الاسلامية التي ذهبت لتحييه ولتعرب له عن صداقة فرنسة للعالم الاسلامي واخلاصها له . ويستطيع المسلمون اليوم زيارة مكة المكرمة احراراً بعد ان ارتفع عنها نير الاتحاديين ، ففرانسة مسرورة فى الاعراب عن صداقتها لهم بمساعدتهم على الحج وفي تحية الشريف حسين تحية الرئيس الديني والمدني الذي اعاد الى قلب بلاد العرب حكومة عربية مستقلة لا تزعجها اية مداخلة اجنبية واي نفوذ خارجي . »

وانشأ المسيو هربيت الكاتب السياسي الشهير فصلاً في جريدة (ايكو دو باري) بمناسبة ارسال البعثة الاسلامية الى الحجاز قال فيه ما ملخصه : « ان

---

[١] لقب اختاره امبراطور المانيا غليوم لخدع المسلمين . «ثورة العرب»

فرانسة لا تحاول ان تستعمل حول الاماكن المقدسة الاسلامية ادنى نوع من النفوذ السياسي او الديني وانها ترى لسيادة شريف مكة الحق في الاستقلال التام وتترك للمسلمين امر انتقاء الرجل الذي يحق له ان يكون خليفه. » ونصح احد كبار الكتاب الفرنسويين حكومته بابرام اتفاق دائم بين فرنسة وانكلترا والعرب.

وقد نشرت الصحف المصرية في ٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٤ هـ البلاغ الآتي:

« اعترفت الحكومة البريطانية وحكومة جمهورية فرنسة رسمياً لشريف مكة الاعظم ملكا على الحجاز »

وقد وقع خبر استقلال العرب اعظم وقع في اوربة فاعرب القائد الروسي لجيش القوقاس عن سرور جنوده المسلمين بحركة العرب واصدرت حكومة (بتروغراد) امرها بمعاملة الاسرى العرب العثمانيين معاملة خاصة.

واعربت ايطاليا وسائر دول الحلفاء عن عطف شديد على العرب واما الدول المتحايدة فانهم قابلوا خبر استقلال العرب بارتياح واعترفوا بما للعرب من المزايا التى تؤهلهم للاستقلال وتكفل لهم تجديد مجدهم المندثر

واستولى القلق على الالمان والترك [illegible] من جراء الثورة العربية فقال احد رجال الترك: « ان هذه الحركة اكبر ضربة على تركيا اصابت منها مقتلا. »

وانشأ الكاتب الالماني الشهير (الهر ماكسيمليان هاردن) فصلا سياسياً قال فيه: « اذا تمكن الامير حسين من استمالة العرب اليه فان ارادته تصبح امراً مطاعاً في سوريا والعراق وفي طهران واصفهان وافغانستان

ويقضي على نفوذ ألمانيا فى الشرق.»

وقال كاتب كبير مقيم في سويسرا : « وصلت الاخبار الى هنا بان جمال باشا اصبح في خوف عظيم من النهضة الحجازية ، خصوصاً بعد ان يئس من مساعدة الاستانة له بالجيش . فقد طلب عشرين الف جندي للمحافظة على سوريا فجاءه الجواب برفض طلبه . وقد بحثت مع كثير من الاتحاديين الموجودين فى سويسرا ومن جملتهم جاويد بك واحمد رضا بك ورفعت باشا فوجدتهم مقدرين اهمية الحركة العربية وعالمين بانه لا يقف شيء في طريق وصول العرب الى الاستقلال .»

وقد اذاع شبان البوسنة والهرسك المسلمون المقيمون في خارج بلادهم منشوراً هذا ملخصه :

« نحن شبان البوسنة والهرسك المسلمين راضون بالاجماع عن عمل الشريف حسين امير مكة المكرمة ونبرر قيامه على الاتحاديين الذين سببوا خراب البلاد الاسلامية وهلاك اهلها في سائر الانحاء باتخاذهم سياسة عوجاء تضر بمصالح الاسلام والمسلمين . وقد رأينا من الواجب اظهار اعتمادنا وموافقتنا لجميع الوسائل التي يتخذها سيادته لتحقيق شعائرنا الدينية وحفظ كيان الاسلام الذي يتلاعب به فتيان الترك . . . الخ الى ان قالوا : ولا يسعنا الا الهتاف للامة العربية التي نهضت للدفاع عن حرمة الدين القويم . . . فعليه نرى من الواجب اظهار اخلاصنا للذين يبذلون أثمن ما عندهم للدفاع عن مبادئ حرية الاديان والشعوب . »

ونشرت جريدة التايمس في ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦ [٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ] نبأ اوفدته من مكاتبها في (بومباي) في الهند قال فيه

« ان المسلمين الهنود يرقبون سير ثورة العرب في الحجاز باهتمام لا مزيد عليه وهم يرجون ان يتمكن سيادة الشريف من تأمين طريق الحج . والمسألة التي تشغل بال المسلمين الهنود هي : هل يفوز الشريف حسين ببسط سيادته الزمنية على البلاد ؟ لان مسلمي الهند يحترمون السلطة الزمنية كالسلطة الدينية . »

وقد كان للثورة الحجازية وقع عظيم على نفوس احرار سوريا والعراق فلما سمعوا بها انظم الى سيادة الشريف كثير من الضباط والرجال العراقيين والسوريين فلبوا دعوته للقيام باتمام مشروع الثورة العربية ومنهم من التحق به من الاسر ومنهم من انضم اليه من بغداد ومنهم من هرب من الموصل ومن غير اماكن من الاتراك والتحق بجيش الثورة خدمة لمستقبل العرب في استقلالهم ،

وقد سبقت الاشارة الى الوفود الاسلامية التي وصلت الى مكة المكرمة للاعراب عن عواطف المسلمين نحو العرب فرأينا ان نجمل في هذا المقام الخطب التي القوها على مسامع سيادة الشريف في مقابلته الرسمية لهم .

قال مندوب جلالة سلطان المغرب الاقصى :

« سيدي اني ارفع لجنابكم العالي ما امرني به جلالة اميرنا المؤيد سلطان المغرب مولانا يوسف بن السلطان مولانا الحسن . بعد التهنئة لمقامكم الرفيع الجليل وتأدية التحيات اللائقة بمنصبكم الاسمى الملحوظ بعين الاحترام والتبجيل .

« واني بحسب النيابة عن جنابه الشريف اعرب لكم بلسان العجز عن داخله من السرور باسترجاع السيطرة العربية الى مقرها الاصلي

باستقلالكم التام مجدداً الروابط الودية والتذكار فيما سلف لسلفه الطاهر مع سلفكم الطاهر من المصاهرة . فارجو من حضرتكم قبول احتراماتي وتشكراتي لجنابكم في الاشارة بما يناسب في النظر في الوقف الذي عزمت الحضرة الشريفة على ابرامه وفق ما تشيرون به بعد المفاوضة فيه مع جنابكم الشريف ورئيس الوفد والخديم .

«وها كتاب مولانا ايده الله مزفوف لسيادتكم بكل سرور . فاقبلوا هديته المباركة ولكم مزيد الشكر ودوام الحمود »

وقال مندوب سمو باي تونس : [١]

« ايها الامير الخطير !

« لقد كان لاستقلالكم رنة عظيمة بين جميع طبقات المسلمين بافريقية وقد اسرع سمو مولانا دام عزه وعلاه سيدنا ومولانا محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية بتبليغ واجب التهاني واصدر للعاجز اذنه المطاع فى تأسيس حبس من خزينته الخاصة على بيت الله الحرام . وارى نفسى من السعداء لمباشرة هذا المشروع المحمود وارجو من حضرتكم السامية ومن همتكم الهاشمية ان تأمروا من يرشد لما عسى ان نحتاج اليه من الارشاد حتى يحصل المراد . »

وقال رئيس البعثة الاسلامية الفرنسوية فى خطبته ما نصه :

« سيدنا ومولانا الامير !

« مما يحق ان يذكر فيشكر ويحمد امره ولا ينكر ما نهضت به حضرة سيدنا الامير الموفق المنيف ، شريف مكة المشرفة الجامع بين كمال السياسة

[١] باي بمعنى امير او وازع — المؤلف

الدينية والدنيوية باتقان ومعرفة مولانا الحسين الذي اقر الله به للاسلام العينين دامت راياته بالنصر خافقة راياته باهرة باهية متناسقة وذالك بنهظته في الحجاز لحفظ شعائر الاسلام واتخاذ الوسائل في تأمين البلد الحرام .

« وان اجل ما اعترف لحضرته بهذه الفضيلة التي قام بها احسن قيام وسلك من الطرق فيها ما يبلغ المسلمين الى المرام بحفظ سيطرة الامة العربية ذات النفوس الابية ، هم رجال الدولة الفرنسوية الفخيمة التي هى ام المدنية والانسانية .

«وقد شرفنا فخامة رئيس جمهوريتنا بالمثول بين يديكم الكريمتين مع بقية الوفد الذي يعيني للتشرف بملاقاتكم الفخيمة لتبليغ مراسم التهاني الصادرة من صميم الافئدة الدالة على خلوص المودة القلبية فى استرجاع حقوق اسلافكم الكرام اليكم في منابعها الاصلية .

« وان نهظتكم المشكورة والاعلان باستقلال حضرتكم المبرورة قد ادخلا سروراً كبيراً على دولة فرانسة حيث رأت فى ذلك حسم مواد المظالم الفادحة التي ارتكبها ذوو الاغراض من حزب فتيان الاتراك الذين استحوذ عليهم حزب الشيطان وغرهم حتى نبذوا وراء ظهورهم الايمان ونظروا للعرب اينما كانوا بعيون البغض وأملوا محو اللغة العربية ونفي اهلها من كل ارض وما قصروا بالعتو في تخريب القصور والديار وفتكوا باجلة احرار ابرار ومدوا يد التعدي لكل عائلة محترمة مع هتك الحرمات المعظمة مثل عائلة الامير عبدالقادر الجزائري وبشنق بعض افضلهم وعدم توقير ضريحه وغير هذه الفعال الشنيعة التي يأباها الدين

وتعجها الانسانية والمدنية الى يوم الدين .

« ولكن جرت عادة الله فى الخلق بالانتصار لاهل الحق من احياء واموات على طول الاوقات فكان الانتقام من هؤلاء الاحزاب المعتدين بما مد الله به حضرتكم السامية من النصر المكين والفتح المبين . وقد اثرت هذه النهضة الجنسية في نفوس الملايين من المسلمين الساكنين بافريقيا الذين تحت ظل حماية هذه الدولة الموقرة للامة الاسلامية والمحترمة للعوائد الدينية بما جبلت عليه من المدنية والانسانية سروراً وحبوراً ماعليه من مزيد .

« وهؤلاء المسلمون كلهم كانوا في كدر خشية حدوث حادث في هذه الديار المقدسة مما تقتضيه الظروف الحربية وقدنشطوا وفرحوا واستبشروا وانشرحوا بنهضتكم القويمة التي تحقق فيها تحرير القطر الحجازي بوجودكم من كل مداخلة اجنبية . والشاهد على ما حصل لهم من السرور الذي انسرحت به الصدور .

« اولا : ماشاهده مولانا من مثول اعيان هذا الوفد بين يديه لاداء حقوق التهاني المبنية على اقوم المباني .

« ثانياً : ان جماً غفيراً من اعيان مسلمي قطر الجزائر وتونس والمغرب الاقصى ممن تحت ظل حكم الدولة الفرنسوية قد تاقت نفوسهم الى حج بيت الله الحرام والتشرف بالوقوف بين الركن والمقام فاعلنوا للحكومة بمقاصدهم فوعدوا منها فى حين بكمل مرغوبهم فهيئت لهم المراكب الحسنة ووقفت معهم اتم وقوف على طريقة مستحسنة لما لهامن الاحترام لعقائد المسلمين وديانتهم بدخال السرور عليهم في عاداتهم وعباداتهم

وسيرد في الأثر هؤلاء المسلمون في كمال ونشاط وارتياح . وقد اخبرت امس انهم حلوا (جده) المحروسة بسلامة حلول احتلال وكرامة .

« ولا بأس ان نقول فى الختام لسيدنا الامير الهمام بانه فى قريب بحول الله يشاهد النصر النهائي فى الحالة الحضرة بجانب الدول المتمدنة المؤيدة بالحقوق الانسانية الخفية والظاهرة ، المادة يد المساعده للمسلمين، الضاربة على يد من سير المغرور منهم في ضلال مبين . ولا شك ان الباغي باغر وسوف على الباغي تدور الدوائر .

« ونسئل الله لمولانا الشريف التأييد المبين على ممر السنين ويمد في عمره البركة ويديم سلامته في كل سكون وحركة . آمين آمين لاارضي بواحدة ، حتى اضيف لها آلاف آميناً »

فأجاب سيادة الشريف حسين باشا اعضاء الوفد بخطبة مرتجلة قال فيها :

« ان نهضتنا التي اشرتم اليها انما قامت لتأييد الحق ونصرة العدل واعزاز كتاب الله واحياء سنة رسوله (صلعم) ولم ارد لنفسي زيادة جاه وثروة فى هذه الدنيا بعد ان كنت حاصلا على كل شيء من ذلك . ولو اردت الدنيا مع المسايرة في اغماض العين عما يستلزمه حق الانسانية والاصلاح لما امتنع علي شيء منها . وها اني اشهدكم واشهد الله بأني مستعد لان اضع يدي في يد كل من يرى فيه المسلمون الكفاءة للقيام بأعباء هذا الامر .

« واني لم اكن اخشى شيئاً غير ان يسيء احد من المسلمين الظن بهذه النهضة لعدم وقوفهم على حقيقتها فيفسروها بغير الواقع . ولكن اقوالكم السديدة قد طمنتني من هذه الجهة فاستبشرت بان الحق يعلو ولا يعلى

عليه وان النية الخالصة لاتخفى على احد مهما اراد اعدآء الحق اخفاءها .

« فالغضب للحق والغيرة على سلامة البلاد واهلها هو الذي حملني على الجهاد بالنفس والولد والقوم لصيانة كل مايريدنا قرباً من رحمة الله ورضاه مما امرنا الله باتباعه واوصانا سلفنا الصالح بالتزامه .

« من هذا ترون ان اعظم غاياتنا المحافظة على كياننا الديني والقومي كما صرحت بذلك في منشوري الذي اعربت فيه بالاختصار عن اسباب هذه النهضة ومقاصدها . واننا سنبذل كل مانستطيعه للحصول على هاتين الغايتين ومقاومة كل من يحول بيننا وبينهما واعداد الاسباب العالية والوسائل الشريفة السامية التي تخلد للمسلمين عامة والعرب خاصة العز والمنعة .

« واننا لاننسى مزايا الحكومة الفرنسوية الفخمة ومحاسن امتها الموقرة وحسن معاضدتها للانسانية ومؤازرتها للاسلام والمسلمين كما شهد لها التاريخ بذلك في اوقات الشدة والضيق . لذلك لايستكثر عليها اذا تلقت نهضة العرب الحديثة بما تستحقه من التعضيد والتأييد كما اشرتم الى ذالك في خطابكم وتلك منقبة جديرة لها تذكر فتشكر . وان اعظم دليل حسي اتخذه على دالك ايفادها حضراتكم الينا بما تحملونه من عبارات الود والوفاء والنفائس الكريمة وذلك كما صرحتم لمحض المصدة ومؤازرة لحكومتنا الاسلامية . فبلساني ولسان قومي خاصة وبلسان كل من يعرف هدا من المسلمين عامة اعترف لها بهذه اليد اللاحقة لعواطفها السابقة نحو المسلمين .

« ولتكن حكومتكم على ثقة من ثقتنا بها وبحسن مؤازرتها . واننا

معاشر العرب والمسلمين ، قد فطرنا على ان نمد يدنا الى كل من يمد يد المصالحة والمصادقة لنا فنقابل الحسنة بأعظم منها على حسب استطاعتنا ولعترف بالجميل لاهله مهما تقادمت عليه الدهور . واذا كانت هذه خطتنا مع حلفائنا الدول الخارجية كما تقضي بذلك شريعتنا المطهرة فأن سيرتنا مع رعيتنا وساكني ديارنا واهل ذمتنا على اختلاف الاجناس والنزعات هي سيرة العدل والاحسان التي امر بها شرعنا وسار عليها اسلافنا فنال بها المسلمون والعرب في كل زمان حسن الاحدوثة وجميل الذكر .

« هذا وانى اشكر لحضرتي الاميرين العظيمين جلالة سلطان المغرب الاقصى المعظم وسمو باي تونس المحترم عنايتهما بنهضتنا واهتمامهما بتوثيق اواصر المودة والمحبة واحييهما في شخصي حضرتي ممثليهما الفاضلين وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح والله ولي المصلحين . »

مبايعة الشريف حسين باشا بالملك وتشكل الحكومة العربية الحجازية :

لما قر رأي الشريف حسين باشا على اعلان ملوكيته واستقلاله رسمياً فكر في امر اختيار لقب : « ملك العرب » له فأوعز الى مندوبه فى مصر ، المرحوم شريف افندي العمرى ، ان يجس نبض ممثلي الحلفاء هناك وان يستعلم رأيهم فيما اذا اعلن سيادته ملوكيته تحت عنوان : « ملك العرب » .

وقد تردد ممثلي الحلفاء ، في بادئ الامر ، فى قبول ذلك اللقب خوفاً من ان تشمل عموم العرب فى (عدن) واليمن وتونس وجزائر وفاس

رغماً عما افهمهم المرحوم شريف افندي مندوب شريف مكة واميرها في مصر ان ذلك لايشمل جميع العرب في سائر الاقطار كما ان ملوكية ملك اليونان لاتشمل على جميع الاروام المقيمين في تركيا وفرانسة وغيرها مثلا.

هــذا وقد بايع العرب صاحب الجلالة الهاشمية (الحسين بن علي) بالملك عليهم يوم الخميس المصادف ٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ والموافق ٣ كانون الاول سنة ١٩١٦ مسيحية . فما ازفت الساعة الثامنة من صباح ذالك [١] اليوم حتى كان جلالة الملك حسين قد جاء من القصر الملكي الى مدرسته الملاصقة لبيت الله الحرام فدخلها يحف به آل البيت وعلماء الشرع ووجوه الامة ، ولما استقر بهم المقام سلم حضرة صاحب الفضيلة نائب رئيس الوزارة عريضة اهل الحل والعقد الى حضرة الشيخ عبد الله الخطيب ليتلوها على مسامع من لم يسمعها من رجال الامة فصعد حضرة الخطيب على دكة اقيمت امام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهــير فقابلوها بسرور . ثم اقبل حضرة قاضي القضاة على يد صاحب الجلالة الهاشميــة ملك البلاد العربيــة فبايعه بالملك وتبعه حضرات الاشراف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها . وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد ان تشرف بضعة الوف من الناس بشرف المبايعــة السعيدة ان الوقت لايتسع لاستمرار الالوف الكثيرة في ذالك فطلب منهم ان يجيزوه في اخذ البيعة عنهم فأجزوه اجزة اجماع عام مطلق فبايع عنهم على مسمع منهم .

---

[١] جريدة القبلة .

ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فتلا دعاء بليغا خشعت له القلوب وعند ختام الدعاء عاد جلالة الملك الى المدرسة فلبث فيها برهة ثم سار فى موكبه الفخم الى الديوان الهاشمى العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعزو التأييد وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية ، تنشد اناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد.

ولما وصل الموكب الفخم الى القصر الملكي العالي اقبلت الوف الناس من العظماء والاعيان والتجار ومن فى طبقتهم للتشرف بالاعتاب الهاشمية واخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد للعرب والاسلام.

تأليف الوزارة الحجازية الاولى:

وتألفت اول وزارة عربيه فى العهد الجديد فى ٧ محرم سنه ١٣٣٥هـ الموافق ٤ كانون الاول سنه ١٩١٦ وهـذه هى صورة الارادة السنيه المؤذنه بتأليف تلك الوزارة:

« حضرة العالم الكامل الشيخ سراج!

« انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤن المجتمع وتوفر اسباب العمران لابد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وماهو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة ويتعين بها اساس الوظائف الذي تبنى عليها المسؤلية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة ؛ وبالنظر الى ما تحققناه فيكم من الكفاءة والاستقامة عزمنا — بعد الاستعانة بالله عز وجل — على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلا عن رئيس الوكلاء

المظام وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية اسماؤهم وهم: ولدنا عبدالله بن الحسين لوكالة الخارجيه ويكون وكيلا عن وكيل الداخلية وعبد العزيز بن علي رئيس اركان حرب ووكيل رياسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة ، والشيخ علي مالكى وكيلا للمعارف ، والشيخ يوسف بن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلا للمنافع العمومية ، والشيخ محمد امين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلا للاوقاف مع بقائه في نظارة امور الحرم وكلما يتعلق بوظيفته الشريفة ، والشيخ احمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلا للمالية وذلك لماتوسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد واهلها على مايرضي الله واننا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وارجو الله سبحانه ان يجعلنا مظهر توفيقه وهداه في كل مايحبه ويرضاه.

حرر في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هجرية.

الامضاء : شريف مكة واميرها

الحسين بن علي

وفى اليوم عينه صدرت ارادة سنية اخرى بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصها :

« بما اننا قد استنسبنا تعيين هيئة اطلقنا عليها اسم « مجلس الشيوخ » وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر فى كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على اعمال الدواوين والدوائر الرسمية وابداء الرأي في ماتعرضه الدوائر على مقام رئيس الوكلاء وسيقرر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي . وقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد

الشبي واعضاءه حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح الزواوي ومفتي المالكية الشيخ عابدين حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبد الله علي رضا والشيخ علي بن عبد الله الشرباصي والشيخ ابو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزه بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان بن احمد بن سعيد وناصر بن شكر ولتبليغهم ماذكر اقتضى تحريره في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ ه.

شريف مكة واميرها

الحسين بن علي

هذا ويبان من ذلك ان الحكومة الحجازية لم تكن دستورية ، نيابية ، ديموقراطية منذ تشكلت حتى الآن . وقد تعين بعدئذ فؤاد الخطيب وزيراً للخارجية (وكالة) وقد استقال عزيز علي بك المصري وزير الحربية لاسباب ربما شرحناها بعدئذ وتعين عوضه رجل يدعى (محمود القيسوني) من مصر ولا ندري اي من الذوات المشار اليهم قد بقوا في الوزارة المذكورة في الحال الحاضر واي منهم استبدلوا بغيرهم .

وكانت قد ابلغت وزارة الخارجية الحجازية خبر مبايعة صاحب الجلالة الهاشمية بالملك الى وزارات الخارجية لدول الحلفاء والدول المحايدة طالبة منها الاعتراف بجلالة الملك حسين ملكا على العرب واسترداد ملك العرب من الترك مغتصبيه .

ولقد رأى جلالة الملك حسين ان يبدأ ملكه السعيد بالذكر الحسن والاثر الخالد فأمر بان توزع (٢٥٠٠٠) جنيه من جيبه الخاص على

ذوي الحاجة تفريجاً للكرب وازالة لاسباب الضيق والضنك وصدرت ارادته السنية بأن تؤلف لجنة من الكبراء والعظماء تتولى توزيع تلك النقود وتسوية مشاكل الاجور والرهون والديون تسوية ترضي الخاصة ويقبلها العامة فتم الامر على مايرام فشكر العرب جلالته .

وكان لعقد البيعة بالملك لصاحب الجلالة حسين بن علي سرور عام في البلاد العربية فاتت وفود العرب مكة المكرمة من كل حدب وصوب يحدوها الولاء داعية لجلالته بالعز والنصر .

وهذه نص البرقيات التي تبودلت بين الحكومة العربية ومندوبها في القاهرة ندرجها بحروفها تنويراً للمسئلة :

٦٠ من القاهرة في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ :

الى صاحب السمو الملكي وكيل الخارجية العربية بمكة المكرمة :

اتصل بي من مصدر غير رسمي ان سموكم انبأتم الحكومة المصرية بان جلالة سيدنا قد اعلن الملك ولم يكن لدي علم بهذه البشرى السارة وايضاً بما ان هذا الاعلان مما يدعو لتغيير مركزنا الرسمي هنا فالتمس من سموكم التكرم بافادتي عما ترونه مناسباً واني اغتنم هذه الفرصة فارفع لسموكم اجل آيات التبريك بمقامكم السامي واهنئ بنوعكم الامة العربية جمعاء مع تقديم وافر الشكر والتبريك على تلغرافكم المشير بانسحاب قوات الاعداء من الميادين الامامية وفوز الامير فيصل .

سيرسل قريباً بطارية مركبة من اربعة مدافع مع لوازمهم واتشرف برفع جليل الاحترام .

محمد شريف الفاروقي

من مكة المكرمة : في ٧ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مندوبنا بالمحروسة شريف بك الفاروقي :

ارسلت وكالة الخارجية بالامس الى جميع وزراء الخارجية للحلفاء بما فيهم المحايدون برقية رسمية شرحت فيها ما اقر عليه اهل البلاد باتفاق الاراء بشأن مبايعة جلالة سيدنا الاعظم بالملك على العرب . واما الخلافة فهم على رأى المسلمين فيما يتفقون عليه بشأنها . واليك نص تلك البرقية :

« بملاء السرور ابلغ سعادتكم ان افضل البلاد ووجهاؤها وعلماؤها وكافة طبقاتها قد اجتمعوا في صباح هذا اليوم واقروا باتفاق الرأي على مبايعة حضرة صاحب الجلالة والسيادة مولاي الشريف الاعظم حسين بن على بالملك على الامة العربية . فهو اليوم ملك العرب الاعظم بناء على ما تحققت البلاد من كفاءته واخلاصه الحقيقي للوطن ورغبته الصادقة في نشر الوية العلم والعدل في جميع ارجاء هذه البلاد العربية التي غادرتها عصاء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة لدى العالم باسره بالمساعي والمقاصد المخالفة لكل شريعة ونظام ولتعمدها استيصال كيان البلاد المادي والمعنوي المشهورة آثاره في طائفة غير قليلة من مسلمين ومسيحيين ودروز ممن لاذنب لهم غير وطنيتهم الصادقة ومحاباتهم العلمية . وان الامة العربية لتود من سعادتكم اعتبارها عضواً عاملا في الهيئة الاجتماعية كما شيدت ذلك بعناية الله وتوفيقاته الصمدانية وتفضلوا يا حضرة الوزير بقبول فائق توقيراتي الجزيلة واني على الدوام محبكم الخالص . الامضاء : وكيل الخارجية في الحكومة العربية : عبد الله » .

وقد ارسلت هذه البرقية باللغة الفرنسوية مترجمة عن النص العربي المشار اليه بكل دقة واتقان. اذا علم المتأمل بوجود شرافة مكة وامارتها واستقلال العرب قبل تشكيل الدولة العثمانية التي اوصلتها الاتحاديون الى شفا جرف المحو والاضمحلال المشهود فلايجد غاية في ارتياح استرجاع حكومة جلالة الشريف لحقوقهـا الشرعية والتاريخيه وحصولها على استقلالها الثابت القويم .

وكيل الخارجيه العربيه

عبد الله

عدد ٦٢ من القاهرة: في ٨ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ:

الى صاحب الجلالة ملك العرب وشريف مكة المكرمة :

مولاي! يتشرف عبد جلالتكم المخلص لسدتكم العاية رافعاً لاعتابكم الجليلة اكبر عبارات التهني واجل ايات التبريك لمانال جلالتكم من عناية الله الصمدانية وروحـانية جدكم الرسول الاعظم من جلال الملك الذي حف جلالتكم في النصر لحياة الامة العربية واعادة مجدها الغابر وادخالها في مصاف الامم الحية ومما لاريب فيه ان الامم الكريمة ستستقبل الامة العربية العريقة في المجد اجمل استقبال يليق بتاريخها فبسم الاسلام ومجدها والعربية وتاريخها والحياة المجيدة ومستقبلها وباسم الشهداء من احرار العرب وجهادهم الشريف وباسم الامة العربية وجمعياتها في هذه الديار تقدم متشرفاً بتكرار التهـني لشخص جلالتكم العظيم والامـة العربية التي كتب لله لها الحياة على يديكم المباركتين سائلاالمولى محق

الحق. ومبطل الباطــل ان لايحول الحول حتى تخفق اعلامكم على جميع الاقطار العربية التي تئن تحت سلطة المتغلبين .

محمد شريف الفاروقي

عدد ٦٣ من القاهرة في ٨ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مكة المكرمة صاحب السمو الملكي وكيل الخارجية :

تلقيت التلغراف المنبي بابلاغ سموكم وزارة الخارجية لدي الحلفـاء والمتحايدين اعلان مولانا صاحب الجلالة الملك وكانت قد اتصلت في صبيحة الامس هذه البشري فاستفهمت من سموكم عن حقيقتها . وعليه فاني اتشرف بهذه الفرصة النادرة الوجود فارفع لمقــامكم السامي الفخيم الطف واجمل التهاني وارق عبارات التبريك مع الشكر الصميم لسموكم على تفضلكم بهذه البشرى التي تملأ القلوب بهجة وحبوراً سائلا المولى تعالى اسمؤه ان يعيد على ايديكم المباركة في ظل صاحب الجلالة مجد الاسلام والعرب انه اكرم مسؤل . هذا وقد تشرفت فرفعت لسدة صــاحب الجلالة تهاني الخالصة وسأعرض لسموكم عن كيفيه تلقي الامة المصرية والاسلام هذه البشري التى سيتقبلها الجميع باهج آيات الابتهاج وما يكتنف هذا الاعلان من المظاهرات والحملات القصية في الصحف واني التمس من سموكم تبليغ اصحاب السعدة زملاؤكم الوكلاء المحترمين تهاني الخالصة والتنزل بابلاغي عن اللقب الذي اقره صاحب الجلالة واسماء اصحــاب السعاده زملاؤكـم الوكلاء وتفضلوا ياصاحب السمو بقبول اجل تهاني واعظم احترامي

محمد شريف الفاروقي

من مكة المكرمة في ١١ شحرم سنة ١٣٣٥ ه :

الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بمصر :

ماعلم من برقيتكم من المسرة طبيعي. المبايعة لمليكنا الاعظم بأن جلالته (ملك البلاد العربية) علاوة على شرافة مكة وامارتها .هيأة الوزارة : سمو الامير علي للرئآسة ، شخصي للخارجية ، وسمو الامير فيصل للداخلية ، واللواء عزيز علي المصري نائب وكيل الحربية ورئيس اركان حرب ؛ وصاحب المقام الرفيع الافضل الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة ونائب رئيس وكيل المعارف والشيوخ الوكلاء واصحاب الاقبال الشيخ احمد باناجه وكيل المالية والشيخ علي المالكي يوسف بن سالم وكيل المرافق العمومية و لشيخ محمد امين وكيل الاوقاف وناظر الحرم الشريف مع الحاق امور النفوذ والقوانين لوكالة الحربية واضافة ادارة البرق والبريد لوكالة المالية.هذه هي الدوائر التي اقتضى تشكيلها الآن . ولاشك ان حضرتكم تقومون بأعمالكم المهمة بغاية الدقة والاهتمام مع محافظة على شرف المقام الـذي تمثلونه والمتمس السعي في كل مايوجب وحدة العمل مع الخلفاء المحبوبين في القول والفكر . مسلك البلاط في مناشيره الرسمية يسقط كل اهمية لما ينشرها مخادعون ولا يلتفت اليه البتة .

وكيل الخارجية

عبد الله

عدد ٦٥ من القاهرة في ١٣ محرم سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مكة المكرمة ، الى سمو وكيل الخارجية العربية :

فاوضت رجال السلطة الانكليزية بشأن الاعلان بمبايعة صاحب الجلالة ملك على العرب وقد انتهت المفاوضات بيننا . الا انهم رغبوا الينا ان نتربص ثلاث ايام ليدرسوا فى خلالها مايكون من حالة العالم الاسلامي وكيفية تلقيه هذا النبأ وانه متى عرف ذلك يمكن افراغ الاعلان بشكل يلتئم مع الحالة المذكورة ولا ارى بأساً فى هذا . وجدنا اربع ضباط عرب احدهم مدفعي من الموصل [١] والآخر مشاة من الشام وواحد من بيروت ضابط فني والآخر من نابلس ضابط صحية . وهؤلاء اسرى فى مصر يمكننا ارسالهم اذا امرتم . وكان عندنا من قبل من يصلح لآن يكون استاذاً في المدرسة الحربية العربية واننا سنجتهد لاكمالهم . حولت على السلطة البريطانية طلبكم من ويلسن باشا الجوقة الموسيقية لخدمة صاحب الجلالة . فهمي له علاقة في مكتب المحامي وبعد المفاوضة معه اخبرناه بوجوب ترك اعماله وسفره في نهاية الشهر الحالي الافرنجي .

محمد شريف الفاروقي

خطبة الاستاذ رشيد رضا صاحب مجلة المنار :

ومن المعلوم ان من منسك الحج ان نقيم الحجيج في (منى) المجاورة لمكة المكرمة يوم العيد الاكبر وايام التشريق الثلاثة بعده لذكر الله وذبح الذبائح التي يهدونها لاهل الحرم وهي تسمى الاضاحي في

---

[١] الرئيس داود سرى لمدفعي .

غير الحجاز من بلاد الاسلام . وقد جرت العادة بأن تكون حفلة العيد الاكبر التي يهنئ بها الناس شريف مكة وامبرها بالعيد في اول يوم التشريق لانه يهبط يوم العيد مكة المكرمة لصلاة العيد وطواف الافاضة وكسوة الكعبة المعظمة . وهذه الحفلة يحضرها على العادة امرا المحملين الشامي والمصري وكبراء الحجاج من كل بلاد الاسلام وكان يتلى فيها الفرمان السلطاني المرسل لشريف مكة مع الاوسمة وغيرها من الهدايا .

ففي هذه الحفلة العظيمة من حجج الاخير سنة ١٣٣٤ هـ القى الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) خطبة شائقة بين يدي سيادة الشريف وملك الحجاز الاعظم جاء فيها على ذكر كثير من الحقائق السياسية التي تهم المسلمين عامة . وهذه خلاصة تلك الخطبة النفيسة :

« ايها المسلمون الكرام ! من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام !

« انكم تعلمون ان الاسلام دين سيادة وسلطة . وان شريعته انزلت ليقيم احكامها اهله لقوله تعالى : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية . وتعلمون ان الله تعالى قد جعل هذا الدين عربياً اذ انزل القرآن الذي هو اصله واساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . قد بين الله ذلك بقوله : (وكذلك انزلناه حكماً عربياً .) فهذه الآية تخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربياً لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي مع العلم بأن كتابه متعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره وكان اهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به . ثم تبعهم فيه غيرهم من

عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نوره المشرق والمغرب وأروا الامم باقامه احكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يجدوا له نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الافرنج وغيرهم .

لاطراء الضعف على السلطة الاسلاميه بتفرق الوحدة العربيه الكامله لها وتغلغل الاعاجم في الدول الاسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة ، بعد ان كانت الفتوحات الاسلامية في مد لاجزر معه ، صارت دول الطوائف الاسلامية بين مد وجزر وقوة وضعف حتى وصلت الدولة العثمانية منها الى درجة عالية ومكانة سامية من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعاً واختياراً كما دخل بعضهم تحتها اضطراراً .

وقد كان امراء مكة العظام اهل بيت سيدنا هذا (واشار الخطيب الى جلالة ملك الحجاز) في مقدمة من ايد هذه الدولة واعترفوا بسلطتها وسيادتها لاجل جمع كلمة المسلمين بها واعلاء شأن الشريعة الاسلامية بنفوذها . (هنا قال جلالة ملك الحجاز للخطيب : صدقت !)

« ثم ان هذه الدولة قد سرى اليها الضعف ودب اليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون (وذكر الخطيب لمحة تاريخية سياسية عن الادوار التي مرت بها الدولة العثمانية الى عهد عبد الحميد ثم قال)

« واما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة لان العهد بها قريب وقد خلعته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته وتولت الجمعية السيطرة على الدوله بعده ، فما ذا كان من أمرها ، هل كانت خيراً من

اولئك السلاطين العظام الذين لم يقدروا ان يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن ابائهم واجدادهم ؟ كلا ! ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على امرها هم من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد (عودتية سلانيك) وشركائهم في النمسا والمانيا اقوى انصارهم . ولذلك نرى اكبر همهم جمع المال . فلاهم على دين هذه الدولة فيغارون عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه . ولا هم من اصل راسخ فيها فيكونون احرص على حياتها من ابناء سلاطينها واساطينها .

« واذا نظرنا الى اعمالهم دون عقيدتهم وارائهم نرى انهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ اصيب بالضعف الى ان اصيب بهم .

« ثبت انهم اخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية (٥٠) مليون جنية ليجددوا قوتها العسكرية ثم رأينا دولة البلغار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في (شطلجة) تمزق مسامع اهل الاستانة وكان السبب الحسي لذلك قلة ماعند الجيش العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر اسباب الحرب .

« وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤم من الممالك مالم تخسر مثله في عدة اجيال : خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياهما النمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها اياهما لايطاليا ، ومكدونيا والبانيا وكريت وجزائر الارخبيل . ونسكت عما خسرته في هذه الحرب من الولايات فقد اضاعوا نصف الدولة في بضع سنين وحملوا فيها من اثقال الديون مالم تحمل مثله

قبلهم في بضعة قرون . ثم عادوا الى الامة فافقروها كما افقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذى خلعوا لاجل القيام به ضد سلطان الدولة وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده .

« فيا ايها المسلمون الغيورون المبصرون ! اذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهده انها كانت ضعيفة يخشى عليها من الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب وتعرضت لعداوة اكبر دول الارض .

« ان سواد المسلمين الاعظم يغارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوه للسد الذي بيناه في فاتحة الكلام . ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر المحدق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسعى لتدارك مايترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لمابقي من احكام شريعته وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته .

لم نرَ احداً من زعماء المسلمين وكرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم (واشار الى جلالة ملك الحجاز) فانه رأى ان الدولة — وهو اعلم اهلها بحالها — قد امست على شفا جرف وان ملاحدة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتنكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة اموال اهل الثروة حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا عمل فانتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة

والنفس انجاله النجباء . ولوا استطاع ان ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل ولوا بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الانجال الكرام (هنا قال جلالة الملك الى الخطيب : صدقت !)

« لكن العمل لانقاذ الدولة نفسها من الخطر قد اصبح فوق طاقته وطاقة غيره (صدقت !) فرأي ان يبداء بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسلام وشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ثم انقاذ البلاد العربية ليكون ذلك بثبة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله مما يخش ويتوقع ان يحل بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالي !

« ولا يخفى على ذى بصيرة انالاتحاديين ما حشدوا الالوف من جيوشهم فى الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم ان اعداءهم من الحلفاء لا يحاربون للاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون اهله فكان من المعقول أن يرسلوا تلك الجيوش الى قتال أعدائهم الروس وانقاذ ما فتحوه من الولايات التركية ولكن التنكيل بالعرب اهم عندهم من دفع الروس عن عقر دارهم ولو تم لهم ما ارادوا لرأينا من فظائعهم في الحجاز ماهو اشد من فظائعهم في الشام . (تصديق !)

« اعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز والحاجة قد اشتدت اليه حتى وصل الى حد الضرورة . وما كان ليوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينهض به للقيام بهذا العبء العظيم ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما تجراء على ذلك لاننا كلنا نعلم انه لايوجد في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل . (تصديق !)

« كلنا نعلم انه لايوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية بما خص الله تعالى به هذه البقعة واهلها من الخصائص . ولايعقل ان يحفظ استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان هو زال من مهده وموطن نشأته ومحل اقامة شعائره .

« انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بانها اجدر بقاع العالم الاسلامي لاقامة استقلاله . وكذلك انفرد سيدها واميرها في هذا العصر للنهوض بما يجب من العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله اكبر منة في اعناق اهل هذه البلاد وفي اعناق المسلمين الذين يشعرون بان امر هذا الاستقلال هو اهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور .

« ايها الحجازيون ! ان من يكفر لهذا الرجل المصلح ، المنقذ (واشار على صاحب الجلالة الهاشمية) هذه النعمة فهو اكفر الناس للنعم . ايها المسلمون ! يجب ان تعلموا أن هذا العمل اعظم خدمة للاسلام في هـذا الزمن . فأن الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيره مانعاً من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال [اي استقلال الحجاز والعرب] هو السبب فيه ولكنه يكون سبب حفظ استقلال الحكم الاسلامي في اشرف بقاع الاسلام

« هل تغيب عن اذهانكم انه لولا اعلان هـذا الاستقلال [استقلال العرب] لترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم

رسوله صلى الله عليه وسلم غنيمة في ايدي الدول الفاتحة ؟ فأن تركوهـا بعد ذلك لنا كان لهم منة التصدق بهما علينا . والا كانا تحت سيادتهم والعياذ بالله تعالى !

« وبهذا يتبين لكم ، ان هذا العمل العظيم الذي قام به هـذا الزعيم العظيم (مشيراً الى صاحب الجلالة) قد انقذ الحرمين الشريفين وما حولهما من الخطر الجسيم . ووضع اقوى اساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بأنشاء دولة جديدة له . فله بهذا اكبر منة على جميع المسلمين .

« وما اقول هـذا تملقاً له ولا مدحاً شعرياً وانما الحقيقـة البيضاء الناصعة بينتها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام . »

وقد اثنى جلالـة ملك الحجاز على الخطيب ثناء عاطراً لانه عبر عن حقيقة افكاره وآرائه ثم قال جلالته :

« ان وجودنا السياسي مكفول لنا بالاستقلال التام الذي لاتشوبه شائبة . واني لواثق بالله سبحانه وتعالى من حسن النتيجة وماض في سبيلي . ولو ان هذا العمل الذي اعتقد فيه كل الصلاح لقومي وبلادي وديني يعترضه احد بسوء ولوكان احد اولادي لصلبته بيدي غير آسف عليه . لاني احب قومي وبلادي وديني اكثر من كل شيء في هذا الوجود . ولولا هذه المحبة لما نهضت هذه النهضة وسأبقى مستمراً في خطتي غير متزعزع فيها ولا متحول عنها حتى يقضي الله امره ولينصر الله من ينصره . »

ثم اكد جلالته ولاءه لحلفائه ولكل من يساعده على الخير وقال :

« ان هذه النهضة عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط ان يكون صادقاً لوطنه ، مخلصاً لقومه . » وهذا انتهت تلك الحفلة الشائقة .

ملاحظة :

واظن ان من يقرأ منشور جلالة ملك الحجاز الحسين بن علي وخطبة الاستاذ السيد رشيد رضا يقف على الاسباب والعوامل التي اضطرت شريف مكة واميرها الى القيام بوجه الدولة العثمانية واعلانه العصيان على الاتحاديين الذين طغوا في البلاد واعلانه استقلال العرب للملأ المتمدن . ولاشك في ان قيام جلالته بهذا الامر الخطير هو الذي جعل للعرب حقوقاً يدعون بها ومستمسكاتاً يستندون عليها في هذا العصر ، عصر تحرير الشعوب واستقلالها .

وان ما قام به صاحب الجلالة الهاشمية هو امر سياسي خطير لايقوم به الا من اتصف بالدهاء العظيم واني اعتقد ان جلالة ملك الحجاز رجل من ادهى دهات العرب ، اذ انه عرف كيف ومتى ينهض فقام وثار بوجه طغاة الاتحاديين وانقذ بلاد الحجاز خاصة والعرب عامة حيث جعل لهم حقوقاً يدعون بها ومستمسكا يستندون عليه .

نعم ! نهض ونعم النهضة ؛ ودور سكان الشغل والادارة الحربية والسياسية والادارية في احرج المواقف ونجح ولم يزل يبذل كل جهده لاتمام ماقام من امر انقاذ البلاد العربية وسوف يكشف المستقبل خطورة نهضته وعظم مادبره من الامور السياسة ، فعلى كل هو من اشرف دهات العرب ونال بدهائه الملوكية والخلافة وفقاً لتكهن السلطان عبد الحميد ، وان نجاح جلالته دليل على دهاءه العظيم وعزمه العالي .

وعلى ان المحررات الرسمية التالية تزيدنا علماً عن جريان الامور السياسية

لى القضية العربية التي قام بها صاحب الجلالة الهاشمية رأينا ان نلوح مايقتضي منها .

برقية من مكة المكرمة في ١٧ محرم سنة ١٣٣٥ ه :

الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بالمحروسة :

خلاف رشيد مع عزيز [١] باطل . لاتبعثوا اي شخص الا بعد طلب صريح منا . بلغوا صاحب (المرصاد) ان يكف عما ينسبه الينا . اخبروا رفيق جبور بان البلاد مشغولة بالدفاع . علاقاتنا وطيدة مع حليفتنا ولا عبرة بالامور التافهة . امر الخلافة عائد الى العالم الاسلامي . وكتبه طافحة بشروطها . التفصيلات بالبريد .

نائب وكيل الخارجية
فؤاد الخطيب

برقية من القاهرة الى مكة المكرمة ٢١ محرم سنة ١٣٣٥ ه :

الى سمو وكيل الخارجية العربية :

قابلت بالامس معتمد فرانسة السياسي بمصر وبعد المجاملات الرسمية حادثته بشأن الاعتراف بالملك [٢] فاجابني بأن لفظ العرب عامة يشمل امثال تونس فقلت بأن هذا الاصطلاح سابق ولم يؤد يوماً ما معنى سلطان

[١] كان قد حدث اختلاف ونزاع بين رشيد بك البغدادي [الرئيس المدمي] وبين عزيز بك علي المصري الذي انتدب لتنظيم وتشكيل الجيش الحجازي .

[٢] الاعتراف بصاحب الجلالة الهاشمية ملكا على العرب .

الترك ، سلطان جميع الاتراك والمقصود البلاد العربيـة ثم بينت له لزوم سرعة اعتراف الحلفاء بهذا الامر ليشجعونا فى عملنا المشترك ونحن ننتظر من الحلفاء مثل هذا التشجيع لننشط في حركاتنا ثم شرحت لزوم مساعدة الامة الفرنسوية الكريمـة التي هي بمجدها وتاريخها جديرة بالعطف على اختها العربية فهما عريقتان بالحرية والاستقلال فللامة الفرنسوية ان تنظر للعربية كصديقة وحليفة محترمة مخلصة لتبني اساسات السيـاسة على الصراحة والاخلاص . اما اعلان الاستقلال فلم اوفق له .

محمد شريف الفاروقي

برقية من القاهرة الى مكة المكرمة ٢٢ محرم سنة ١٣٣٤ هـ :

الى صاحب السمو وكيل الخارجية العربية :

كررت تشبثاتي مع ولاة الامور الانكليزية مبيناً ان لفظة (ملك العرب) ليست عامة كما يظنون انها تشمل مصر والجزائر وغيرها ، بل المقصود ملك البلاد العربية واكدت لهم انه لايوجد واحد من اصحاب الفكر والرأي في الامة العربية يمكن ان يرضى بغير هذا اللقب الذي هو حقهم الطبيعي . ثم اظهرت ان الاحجام عن تشجيعنا مما يدعو لفتور روح الحركة فينا . فقالوا انهم يأملوا ان يرد الجواب في طرف اسبوع . لانهم مشتغلون بالمذاكرة مع حلفائهم وكرروا لي انهم يريدون التمسك بمعاهداتهم مع صاحب الجلالة مليكنا . واني ارى لزوم اظهار التجلد السياسي . كنت عرضت لاعتاب مولاي فى كتاب سابق ان رياض المحايري كان قد جاء مصر من (رابغ) واشترى بضاعة وقد عاد لرابغ والبضاعة

لأزال بمصر ، لان ولاة الامور هنا لايسمحوا بارسالها الااذا كان بمصادقة وسمية وانالم يروني امر بهذا الصدد فهل تأمرون ان نلتمس ارسالها ؟

محمد شريف الفاروقي

الرد : من مكة المكرمة في ٢٥ محرم سنة ١٣٣٥ ه :

الى مندوبنا محمد شريف بك الفاروقي بالمحروسة :

تلقينا برقيتكم. افيدونا اولا هل انتم مادأتموهم بالبحث ام هم البادؤن ؟ علمنا من بحثكم انه كان معتمدفرانسة . ولكن بحثكم الثاني مع اي موظف كان من حكومة جلالة الملك ؟ واذا علمنا هذا نعين مايقتضي الجواب عنه.

الرد الاخر : من مكة المكرمة فى ٢٥ محرم سنة ١٣٣٥ ه :

الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بالمحروسة :

رأى صاحب الجلالة مولاي المعظم ان ابلغكم اجتناب مباحثة مأموري السياسة بما يتعلق بذلك وان نادؤك فعلق جوابهم على طلب تعليماتنا وما يردك منا تفيدهم به . فتبلغ اولا من ذاكرتك بعنواننا الجديد مأموري حكومة جلالة الملك جزيل توقيراتي الجدية وان معلوم كلاأنهم تكليفي بعنوان الخلافة العربية في مبادي مذاكراتنا في امر النهضة ، ثم تبليغك ايانا بتاريخ رمضان رغبتهم في تلقينا (سلطان العرب) ، وان غياب ابني زيد الذي كان يشتغل باوراقي اذ ذاك يحول دون تعيين يوم وعدد تلك الافادة فمن الضروري وجودها واجابتنا عنها في قيوداتك ولذلك فان تأولها الآن في عنواننا المقيد (بالبلاد العربية) عقب سماحهم واستنسابهم لناعنوان : (الخلافة العربية وسلطان العرب) بمالهما من السلطة الواسعة ،

اعتراف بعقلوبيه كالأتهم ومداركهم السامية امام الخيالات المحضة. اذان مصر ليست من البلاد العربية ، تونس والجزائر بطريق الاولى ولاشك بان دوام حدوث مثل هذه الخيالات والذهابات يحكم علينا بالتردد في العمل ونتيجة احباط مساعينا وإياهم نحو الحقيقة التي نتقي واعتمادي عليها بعد المولى الجائي الى اقتحام مانلله الباري من المهالك والمخاطر.

ولقد اردت ايفاد ابني عبد الله لازالة ما عسى ان يحدث من امثال هذا من التفاهم ترجيحاً على بقاءه الضروري لدينا ولكن لم تسعفنا الاقدار الى اعادة حصولنا على هذا الامل المهم من بشرانا بقدوم جناب صاحب المعالي السردار [١] والحاكم العام للسودان الى جدة ليسر الباري بهذا كرتي لمعاليه زيادة تأمين الوصول الى النتيجة المقدسة المقصود وخدمة البشرية صيانتها من امثال هذه الشوائب.

فان المقصد نزيه والغاية شريفة واننا بحول الله تعالى ممن يحافظ على شعار الوفاء مع الاحاد فضلاً عن حلفاءنا الكرام الذين يعجزنا شكر صنيعهم. هذه الخلاصة التي تلقيتها من جلالة مولاي في هذا الصباح فبلغوها وخبرونا.

نائب وكيل الخارجية العربية
فؤاد الخطيب

---

[١] كان في هذه الايام قد تعين السردار نائباً لجلالة ملك بريطانية العظمى وحاكماً عاماً على السودان عوضاً عن السرهنري مكماهون.

عدد ٧٠ من القاهرة الى مكة المكرمة ٢٦ محرم ١٣٣٥ هـ :

الى حضرة نائب وكيل الخارجية :

مثلما بينت في برقياتي السابقة ، معتمد فرانسة كان قد طلب مني ان ازوره وعند زيارتي له تكلم معي بهذا الموضوع وعند ما تلقيت برقية من سمو وكيل الخارجية فيها عن اعلان الملك طلبت من حكومة جلالة الملك ان تسمح لي باعلان الخبر وعندئذ طلب المواجهة معي الجنرال (كليتن) وتباحث معي بهذا الموضوع وكنت قد كتبته في برقيتي الى سمو وكيل الخارجية .

واما مباحثتي الاخيرة كانت مع مدير الامور العربية لحكومة جلالة الملك . وليكن عندكم معلوم بان الجميع هنا عرفوا هذا الخبر قبل ان اتمكن من ابلاغ صاحب (المرصاد) بان يكف عن نشر مقاله واطمنكم انها لاتتكرر .... الخ

محمد شريف الفاروقي

من مكة المكرمة الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بالمحروسة :

في ٢٦ محرم الحرام سنة ١٣٣٥ هـ :

بادروا الى زيارة معتمد فرانسة المبجلة و لتمسوه — يبلغ رياسة الجمهورية الفخيمة وهيئة حكومتها الموقرة وكافة الامة الفرنسوية النبيلة فرط خجلنامن تأخير الهيئة التي من الضروري ايفادها لتقوم بشكر فرانسة وعنايتها بنا امام العالم . وان اجلال مكانتها وقيامها بحترق عما اسدته الينا من الجميل . نارد ان اجعل رياسة بعثة النائبة عني وعن بلادي الا

لاحد اولادي. ولكن تغيبهم في الميادين الجأنا الى التأخر قليلا وانما عند اول فرصة نبادر الى احضار بعضهم الينا ونوفدهم ليكون له السرور الجزيل في مقابلة حضرة الرئيس الكريم.

هذا هو سبب التأخر فبلغوه ذلك ولاشك ان فرانسة تقر هذه العواطف الشريفة ثم ابسطوا له ان اللقب الجديد مقيد بالبلاد العربية لدفع هذه الشبهات وصيانة لاحساسات الحلفاء الكرام. هذا ما امرت بارساله اليكم واني بانتظار الجواب.

نائب وكيل الخارجية

فؤاد الخطيب

من مكة المكرمة الى القاهرة في ٢٧ محرم سنة ١٣٣٥ هـ:

الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بالمحروسة:

امرني سيدي ومولاي ابلغك ان تقدم عين هذه الافادة: لم لا للزوم؟ اخشى حدوث اختلاف بيننا وسعادة ويلسن باشا اولا: في مسألة سياسة الدار للبرق اللاسلكي بقصد تسهيل مخابرة مواقفنا الحربية واستحسنا هذا جداً بشرط يكن تأسيسها بالصورة التي تدفع المحاذير الآتية:

١ — تجعله الحكومات الثانية كفرنسة وايطاليا مثلا ودستوراً لانشائهم لنظيرها من المؤسسات لما في هذا من حقوق البلاد ومنافعها.

٢ — لايتخذها المفسدون حجة واضحة ودليلا محسوساً في دعواهم اني بعت الحجاز للدولة البريطانية وها هي شرعت تنشئ من المؤسسات وما في هذا من ايقاظ الحسيات وتأثيره في اشتباهها وترددها في كل معاملاتنا

مالا يحتاج لبيان .

٣ — عدم قبوله تكليفي لعين الملاحظة المذكورة في تأجيل مباشرة عملية ترسيم الساحل جنوبي جده اقلا لمدة شهرين كي ماتطمأن الاذهان التي اخذت في السكينة وتفنيد تلك الاباطيل بطريقها . فأن تأخير عملية الترسيم لاتحل بالفائدة المقصودة لكن تدفع امثال تلك المحاذير التي لاادري اهل اولياء اموره يرونها ام لا ؟ ولكن ادري انها تنافي اعمالنا وتناقض اقوالنا وكلما نحن باذليه من التشبثات المهمة فنكن كالساعين فى تكذيبها في اقطار العالم وكلنا نوجدها فى بلادنا وادري ان لاقصد بهذا مع ارضاء بريطانيا صاحبة الفضل والعناية علينا معاشر الحجازيين في مقاصدها ورغائبها .

نائب وكيل الخارجية

فؤاد الخطيب

عدد ٧١ من القاهرة الى مكة المكرمة ٢٩ محرم ١٣٣٥ هـ :

الى نائب وكيل الخارجية :

ج — ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ محرم سنة ١٣٣٥ : ارجوك ان تعرض لاعتاب صاحب الجلالة بأنني بلغت اللازم لحكومة جلالة الملك وأكدوا لي بان لاسبب للتأخر الا اشتغالهم بالمذاكرة مع سائر حلفائهم لما هذه المسئلة من عظم الشأن وان بريطانيا العظمى تحافظ على شرفها وعهودها وانها تبذل كل مالديها في سبيل هذه الغاية الشريفة وتصرف اقصى جهدها لتبنى سياستها على مكارم الاخلاق . ولكن مسئلة كهذه هي من اعظم المسائل . والا ... من المسكن الجواب عليها بدون تأمل وهذا كرة

لكي يكون جوابهم مطابق لما يلزم . ومن الطبيعي ان هذا يستغرق زمناً طويلا وهم شاكرون احساسات صاحب الجلالة مولانا نحوهم ويرجون ان هذا التأخير الضروري لايزعج مولاي واما افادتي التي كنت قد ذكرتها هي بتاريخ ٩ رمضان ١٣٣٤ تلغراف رقم ٣ والعبارة هي : « تباحثت مع رئيس الملك لاجل لقب (ملك العرب) فوجدته ميالا لقبوله . »

زرت معتمد فرانسة وبلغته اوامر مولاي . فشكر شكراً جزيلا وكلفني ان اعرض شكره لمولاي الجليل وافاد انه سيخبر رئيس الجمهورية وحكومته وامته وانه بلسانهم يشكر هذه العواطف الشريفة وعند مايستلم الجواب سيخبرني .

بلغت مدير الامور العربية البرقية ٢٧ محرم سنة ١٣٣٥ وسيجاوب عنها وعند اخذي الجواب القطعي سأعرضه .

محمد شريف الفاروقي

برقية من القاهرة في ٢٩ ايلول سنة ١٩١٦ م الى :

وكالة الخارجية بمكة المكرمة

تلقيت اليوم جواباً رسمياً من اولي الشأن هنا بخصوص مسألتي التلغراف اللاسلكي ومسح الساحل خلاصته ان دولة السردار باشر بمخابرة رأساً مع الحكومة العربية بهذا الموضوع .

تمنع الصحف اليوم نشر مانشرته (القبلة) عن مبايعة صاحب الجلالة ان الرسائل البريدية التي ذكرتم امر ارسالها بالبريد لم ترد حتى الساعة . صدرت جريدة من هنا باسم (الكوكب) عن خاصة بمصر ، بل

بالبلاد العربية وحتى الآن لم تتبين خطتها ومراميها وانما اقول انها الجريدة التي كان البعض يشتغل منذ بضعة شهور لاصدارها وقد صدرت تحت ادارة الدكتور شهبندر .

محمد شريف الفاروقي

برقية من مكة المكرمة في ٢ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مندوبنا بالمحروسة شريف بك الفاروقي

بلغني جلالة الملك المعظم الرسالة البرقية الآتية من سمو الامير فيصل « ان الاتراك قد ضاعفوا تعديهم وظلمهم في المدينة المنورة واخذوا في شنق وصلب الابرياء من النفوس مستعملين كافة ضروب الوحشة الطورانية بتشغيلهم جميع من بقي في ايديهم من اهالي العوالي في الاشغال الشاقة وقد شنقوا اخيراً ثلاث من اهالي المدينة وشرعوا في تجنيد الاهالي بالقوة وقد جاء بعض الاهالي و المجاورين اقبر جدكم يضمنون منكم ومن اهالي مكة المكرمة ومن جميع الاهالي الحجر المساعدة والاخذ بناصرهم فقبلت طلبهم باسمكم و مترجم عارضي التأكيد بذلك »

وان اهالي العجم الاسلامي كافة وعلى [illegible] لاشهد و [illegible] على فظائع متعالي العلورانية من الاعتداء و شبههم [illegible] الوحشة من معاملة النساء و لاطفال من هل اعوالي [illegible] الان عين ذلك العمل كما يعلم من برقية سمو الامير فيصل في نفس هي مدينة الطاهرة من شنق الابرياء والحكم على بعضهم بالاعمال الشاقة [illegible] في ايديهم من مظلومي العوالي السابق الذكر كما علم من الوفد [illegible]

على قائدمعسكرنا الغربي الذي شرعت مقدماته الى التماس بحاميات ذلك الجوار المشكل من طبقات الاهالي مستصرخين حكومتنا العربية وجميع اهاليها لانقاذهم من ذلك الجور والبغي وعليه رأينا ان نستلفت انظار العالم الانساني وفيما يأتوه متغلبة الطورانية وشيعهم لتكون حكومة البلاد العربية المحافظة بعناية الله تعالى على شعائر كمالات البشرية كما نعلم من معاملتها عندما سقطت بأيديهم (حامية الطائف) من واليها وقوما ندائها وضباطها وجنودها وسائر اركانها بعد حرقهم قصور الامراء وجملة من دور الاهالي وتهجمهم وسلبهم ما فيها برأة من كل اعتراض وانتقاد في اعمالها امام مخزي هذه الطائفة المتغلبة وقد ارسلنا هذا الاحتجاج الى جميع الدول فينبغي والحالة هذه ان تلفتوا انظار الجميع نحو هذه الفظائع التي ترتكبها الفئة الطورانية ظلماً وعدواناً .

عن نائب وكيل الخارجية العربية
مدير قلم التابعية
مساعد اليافي

عدد ٧٣ من القاهرة الى وكالة الخارجية بمكة المكرمة :

في ٨ صفر سنة ٣٣٥ هـ :

نشرنا احتجاجاً في صحف اليوم على ما ارتكبه المتغلبة من الفظائع في المدينة المنورة ولكن لم اتمكن من نشر الاحتجاج بصورة بلاغ رسمي من قبلي كما فعلت من قبل . والظاهر ان السبب هو عدم اعتراف الحلفاء الى الآن بنا بصورة رسمية .

لقد حملت الصحف على نشر مقالات تتعلق في الملك وشجعنا بها فلقد كتبت الصحف الاتيه عدة مقالات : وهي الاهرام ، المقطم، الاخبار ، وادي النيل ، الافكار، اللابورص ثه جيبسين ، والجورنال دوكير والصاعقة .

محمد شريف الفاروقي

برقية من القاهرة في ١٨ صفر سنة ١٣٣٥ ه :

الى الوكالة الخارجية العربية بمكة المكرمة :

١ — ارجوكم ان تعرضوا لاعتاب جلالة مليكنا المعظم ان المائتين جنيه التي كان قد تفضل بها منذ زمان لاجل المصاريف الجزئية قد نفذت ولقد زاد المصروف عنها بكثير . وانني مقدم بأول فرصة كشف المصاريف وانني التمس بيان اوامر مولاي الجليل بهذا الموضوع واراداته .

٢ — لقد طبع في مطبعة المقطم كتاب يسمى (ثورة العرب) تأليف اسعد داغر وهو كتاب مفيد ونفيس ومحبذ لحركتنا ولقد اعناه على قدر الامكان وشجعناه على اظهاره . واخذت منه عدة نسخ سأرسلها لطرفكم بأول فرصة .

٣ — طلبت دول المعادية الصلح على شرط ارجاع الحال على ما كانت عليه قبل الحرب سوى استقلال (بولندا) واذاعوا طلبهم هذا في كل مكان مع ماتقتضيه الحال من المظاهرات السياسية . وانما ليس من المظنون والمعقول ان الحلفاء يرضون بالمذاكرة اذ يكونوا هم المغلوبين . وان صحف بريطانيا بأجمعها رفضت الصلح وهذا مايدل على بعد نظرهم وعزمهم والى الآن مارأينا احد رجال سياسة الحلفاء من يتكلم بهذا الموضوع

ولا رأينا صحف فرانسة وبقية الحلفاء قراراتها بهذا الموضوع ولكن من المحقق انها تتبع صحف بريطانيا العظمى.

٤ — مكاتيبكم لم تصلنا الى الآن.

محمد شريف الفاروقي

رقم ٨٦ برقية من القاهرة في ١٩ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى الوكالة الخارجية العربية بمكة المكرمة :

صحف فرانسة اتبعت صحف بريطانيا في مسئلة الصلح وانها تهزأ بطلب الالمان للصلح وتعدها اثراً من آثار مغلوبيتها وتقول بأنها حيلة سياسية من مستشار المانيا يرمي بها الى التفريق بين الحلفاء ، لاسيما بعد ان عرض الصلح على البلجيك وقال رئيس وزارة فرانسة بان يجب على الشعب ان لاينخدع بأقوال المستشار الالماني وانه لايتجرع هذا السم. والغالب ان المقصود من طلب الصلح من قبل المانيا وحلفائها ان يبرروا اعمالهم ويتعرفون حالة شعوبهم ويرمون مواصلة الحرب على عاتق الحلفاء لكي تزداد شعوبهم نشاطاً . ولربما كان المقصود تبرير فظائعهم التي يرومون ارتكابها في المستقبل . ولكن الى هذا الآن دول الحلفاء لم يجاوبوا رسمياً على طلب المانيا . ولا انكر تأخر جوابهم يجعلنا نفتكر في مستقبلنا لاسيما الى الآن لم يعترفوا بملكنا حتى يستحيل ان يعقد صلح بدون ان يكون لنا فيه مندوب . ولا ارى شيء يضمن لنا مستقبلنا ازيد من هذه المادة . واذا زدنا على هذا ان وزارة فرانسة نالت تصديق مجلس النواب في (٣١٤) صوت ضد (١٦٥) ، وكان ذلك بعد خطبة رئيس الوزارة ؛ واتصل بي

ان الاشتراكين الفرلسويين احتجوا الى مجلس الاشتراكي العالي في (لاهاي) بأسم جميع الاشتراكيين في العالم اول البارحة ضد الحرب وسموا هذه الحرب باستعباد الامم . وقال رويتر بان دولة بريطانيا العظمى لاترد رداً رسمياً على اقتراح المانيا الا بعد مشاورتها لحلفائها ؛ فهذه الامور تجعلنا نفتكر كثيراً في مستقبلنا من الآن .

محمد شريف الفاروقي

برقية من مكة المكرمة في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مندوبنا شريف بك الفاروقي بالمحروسة :

ج — امر الصلح شاع عندنا . وامر استقلال بلادنا قد بلغتنا به بريطانيا وفرانسة في الاسبوع الماضي بصورة رسمية . ودولة روسية بلغتنا بأنها مصدقة على كل مابلغناه اياها ، حتى ان حكومة بريطانيا شرعت قبل ثلاثة ايام تخاطب سيدي ومولاي بعنوان ولقب (الجلالة) .

وكيل نائب وكالة الخارجية العربية

احمد فوزي البكري

برقية من القاهرة في ٢١ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى الوكالة الخارجية العربية بمكة المكرمة :

ح — ٢٠ منه هذا من فضل ر. ي .

محمد شريف الفاروقي

برقية من مكة المكرمة في ٢٦ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مندوبنا بالمحروسة شريف بك الفاروقي :

١ — وصلت الى السدة الهاشمية برقيات التهنئة من عبد الفتاح قتلان والسيد رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم ومختار الصلح والدكتور شهبندر وحماده ونصر الدين البغدادي وعبد المحسن الكاظمي وصالح رضا وجميل مردم بك واحمد حلمي الخيمي وتوفيق الحلبي . وقد امر صاحب الجلالة بان تبلغوا كل فرد منهم سروره العظيم ودعاءه للمولى المتعال بان يقر عينه بتحقيق آماله وآمال حضراتهم التي هي من اعظم نعم الباري عز وجل وان ينيله مشاهدتها التي هي منتهى فخره الدنيوي انشاء الله تعالى . ولاحظوا ان يكون هذا بدون مظاهرة .

نائب وكيل الخارجية العربية

احمد فوزي البكري

رقم ٧٩ برقية من القاهرة في ٢٨ صفر سنة ١٣٣٥ هـ :

الى الوكالة الخارجية العربية في مكة المكرمة :

ج — ٢٦ منه : جاوبت الذوات الذين ذكرتموهم كما امر مولانا الجليل اليوم تقدم الى السدة الملوكية برقيات من اصحاب المقطم ومن عشرين ذات من وجوه السوريين من مسلمين ومسيحيين ، وغداً سيقدم برقية من المصريين وما عدا هؤلاء كان قد تقدم البعض وارسلوا برقية . فاذا امر مولاي الملك الجليل كما امر ان ابلغ عن ذاته الملوكية فالمرجو ان تعرفوني .

كنت قد عرضت بان الحكومة البريطانية تريدان تعلن بانها وجمهورية فرانسة اعترفوا بان صاحب الجلالة ملك الحجاز وقلت حينئذ لم استحسن هذا الاعلان لانني على ثقة بان جميع المحبين لنا يتكدرون من هذا لانهم كانوا ينتظرون ازيد من هذا . واليوم بلغني بان الحكومة ستعلن هذا ؛ فاذا جرى هذا الاعلان، ارجوكم ان تعرفوني امر صاحب الجلالة بما يجب علي .

محمد شريف الفاروقي

رقم ٨٠ من القاهرة فى ٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ :

الى الوكالة الخارجية العربية بمكة المكرمة :

لنشر اليوم في الصحف الاعلان الآتي :

« اعترفت الحكومة البريطالية وحكومة جمهورية فرانسة رسمياً بشريف مكة الاعظم ملكا على الحجاز . »

واني اكرر الاستفسار عن اوامر صاحب الجلالة سيدي ومولاي بهذا الشأن .

محمد شريف الفاروقي

برقية من مكة المكرمة في ٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ :

الى مندوب الحكومة العربية في المحروسة شريف بك الفاروقي .

ج — لبرقيتكم : التصديق تبلغ الينا منذ ثلاث اسابيع . ولا لزوم لمثل هذه المساعي، لانها تخل بما نحتاج لباقي الاعمال وتحدث مواضيع دقيقة .

نائب وكيل الخارجية

احمد ووري البكري

رقم ٨١ برقية من القاهرة في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ هـ :

الى الوكالة الخارجية العربية بمكة المكرمة :

اتانا وفد من الافاضل والكتاب المصريين وبينهم محمد وحيد بك الايوبي وقالوا انهم يريدون ان يكتبوا برقية الى جريدة (الدايلي تلغراف) في لندن وهي من اكبر صحفها ، يشكرون فيها عن عقلاء المصريين بريطانيا العظمى وفرانسة لاعترافهم بجلالة سيدنا ومولانا الملك الهاشمي وهم يوكلون وحيد بك عنهم . وفعلا ابرق وحيد بك برقية مطولة الى هذه الجريدة فشكرتهم وابلغتهم بانني ساعرض هذا الامر على جلالة سيدنا ومولانا .

محمد شريف الفاروقي

ويفهم من المخابرات المندرجة اعلاه ان القضية العربية تقدمت تقدماً محسوساً مدة الستة اشهر التي تلت اعلان الثورة العربية في الحجاز اذ اعلن سيادة شريف مكة واميرها استقلال العرب وانفصالهم من الاتراك بمنشور خاص بعد اعلان الثورة باربعة اشهر حيث استولى في خلالها على اكبر مدن الحجاز كمكة المكرمة وجده والطائف وغيرها (ما عدا المدينة المنورة التي حوصرت اضطرارياً) ثم اعلن ملوكيته رسمياً في اول سنة ١٣٣٥ اي بعد الثورة بخمسة اشهر ولقد اعترفت ثلاثة دول من اكبر الدول المعظمة [وهم انكلترا وفرانسة وروسية] بملوكيته واستقلال الحجاز استقلالا تاماً وذلك كان بعد اعلانه الثورة بستة اشهر وبيف ففي خلال هذه المده القصيرة اصبحت الديار الحجازية مستقلة ولها موقع خاص في مصاف الدول المتمدنة

ولم يبق صاحب الجلالة الهاشمية غامضاً عينيه خلال هذه المدة عن قضية تشكيل جيشاً نظامياً ليدافع عن كيان حكومته وبلاده وعرف ان لافائدة من الجيش غير النظامي مهما كان عدده، فاهتم بمصلحة الجيش الحجازي فجلب لفيف من ضباط العرب وفي مقدمتهم نوري السعيد وعزيز بك علي المصري من اشهر ضباط اركان حرب العرب فاخذ ينظم جيشه تحت قيادة انجاله البواسل حتى اصبح الجيش الحجازي مما يحسب له الحساب.

واما من الجهة الاخرى، فانه الف وزارة حكومته وبادر بتشكيل الدواوين والدوائر العربية حسبما تقتضيه المصلحة الادارية والسياسية وارسل موظفيه ومأموريه الى انحاء الحجاز وهكذا كان قد اسس اركان الحكومة الحجازية على الاساسات اللازمة بمدة لاتتجاوز الستة اشهر.

ولما كانت الضالة المنشودة، ليست استقلال الحجاز فحسب، فقد اخذ شبان العرب وقادة رأيهم يفكرون بما يجب عمله لمعاضدة الحركة العربية وبث الدعوة لنموها في جميع الاقطار وكان مندوب الحكومة الحجازية بالقاهرة لاتفوته اية فرصة الا واغتنمها لتعزيز القضية العربية وكان قد استعمل كل ما عنده من المقدرة والنفوذ لهذه الغاية ولما سمع بذلك بعض الرجال من المصريين والسوريين شرعوا بالتقرب منه وبعرض بعض ما ارتاءته قرائحهم من المشروعات عليه لبث الدعوة العربية فى سائر الانحاء

وكان قد عرض المهندس محمود صبحي المصري على مندوب الحجاز المرحوم شريف بك العمري الاقتراح التالي :

سري

مرفوع لصاحب السعادة وكيل الحكومة العربية بمصر عن الخطة التي سأتبعها في سياحتي بالوجه القبلي وبيان المصاريف والنفقات اللازمة لذلك وتوضيحه ادناه : —

اولا : ستكون سياحتي فى البلدان الآتية : — مدينة اسوان عاصمة المديريه — مدينه ادفو بندر مركز بمديريه اسوان — مدينه اسنا بندر مركزها بمديريه قنا — بلدة المطاعنه واصفون والكيمان من اعمال مركزاسنا — بلدة أرمنت والضبعيه والمريس والربايئه والرزيقات من اعمال مركز الاقصى — بلدة نجع حمادي — بلدة البلينا قاعدة مركز بمديرية جرجا — بندر جرجا الشهيرة — مدينة سوهاج قاعدة مديرية جرجا — مدينة اضميم قاعدة مركزها — بني مزار قاعدة مركزها بمديرية المينا — البهنسا الغراء احدى مدن المركز السالف — مدينة مغاغة قاعدة مركزها ذلك بالوجه القبلي اما بالوجه البحري فسا كون مختصراً على دعوى قبيلة الهنادي التي يرأسها شيخ العرب حمد بن سلطان والمنتشرة بجهة أبو حماد والتل الكبير والقرين والاسدية

طريقة السير في نشر الدعوى

ثانياً : الالتقاء بمعارفي واصدقائي العديدين بهذه النواحي والبلدان وسيعقب ذلك بحكم الضرورة دعوتي الى حفلات خصوصية يقيمونها لي وفي اثناء ذلك اشرح لهم المسألة العربية شرحاً وافياً بان ابدأ الكلام في تاريخ الخلافة وما اتى عليها من التقلبات حتى آلت الى الاتراك الذين

باستبدادهم بالشعوب التي تحكمها دولتهم وعدم العناية بما يرقي من شؤونهم اطمعوا فيهم الدول الاوروبية الكبرى فنشأ عن ذلك (المسألة الشرقية) الا ان هذه الدول كانت تتحاشى الخوض في هذه المسألة بصفة صريحة خوفاً من ان يؤدي بهم ذالك الى حرب عامة وحيث ان هذه الحرب وقعت الآن وزجت تركيا بنفسها فيها بدون مسوغ رغم النصائح والضمانات التي عرضتها عليها الحكومة الانجليزية وحلفاءها لعدم دخولها هذه الحرب التي استهدفت فيها للدمار بأنقيادها لحكومة الاتحاديين المسيرة بالادارة الجرمانية فنشأ عن ذالك ماتحملته الشعوب العثمانية من المظالم والمغارم والاضطهاد خصوصاً الشعوب العربية وما اثقل كاهلهم من ضروب الاستبداد من قتل ونفي ومصادرة وافتأت على الدين الاسلامي واللغة العربية ماجعلتهم ينظرون في مستقبلهم وحفظ لغتهم فجهروا بالاستقلال وهنا نبين باسهاب مزايا هذا الاستقلال في الوقت الحاضر وفضل الحكومة الانجليزية فيه وجملة الفوائد التي تعود على الامة العربية والمسلمين عموماً من وراءه . وعليه فالواجب علينا ان نعضد هذه الحركة الشريفة وخصوصاً كون المعلن لها هو رأس الشجرة الشريفة النبوية والقائم بخدمة الحرمين الشريفين والعامل على ماسيجدد للامة العربية عظيم مجدها وقديم فخارها .

ثالثاً : علي عند انتقالي من بلد الى آخر ان احرر تقريراً لسعادة وكيل الحكومة العربية اوضح فيه اعمالي في البلد الذي غادرته وعلي كذالك ان احمل من التقيت بهم من ذوات واعيان وتجار وعلماء على مكاتبة سعادته بما يفيد تحبيذهم لهذا الاستقلال وتعضيدهم له وشكرهم للحكومة الانجليزية

على مساعدتهم للامـة العربية مادياً وادبياً بما يخلد لهم في نفوسنا اجل ذكرى .

رابعاً : يلزمني من النفقات عن كل شهر خمسة عشر جنيهاً اذا كنت احمل تذكرة مجانية للسكة الحديد وعشرون جنيهاً اذا لم اكن احملها وبيانها كالآتي :

جنية	
٦	اجرة لوكاندة نوم وما يلزم لذلك .
٦	ثمن لوازم المعيشة .
٣	مصروفات نثرية .
١٥	

تحرر هذا في يوم الاثنين ٢٨ ربيع الاول سنة ١٣٣٥ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ .

محمود صبحي

مهندس مساحة منزل المرحوم اسماعيل دانش باشا بالعباسية القبلية بمصر

ثم عرض احد رجال السوريين مشروعاً اخراً على مندوب الحجاز وذلك لارسال وفد الى امريكا لبث الدعوة هناك ولمعاضدة القضية العربية في البلاد الاميركية ولا سيما لاستمالة اللبنانيين الى جانب جـلالة ملك الحجاز وتعزيز فكرة الوحدة العربية . وهذا نص المشروع المذكور :

الوفد الاميركي

مهمة الوفد الاولى

توجيه افكار اللبنانيين عامة الى الاستقلال وابانة اضرار الحكم الاجنبي بالادلة العقلية والتاريخية وبالبراهين الحسية كالتي بيدي ثم استمالتهم الى الحركة العربية واقناعهم بالطرق والوسائل التي تجيزها ظروف الزمان والمكان بضرورة اقامة مملكة عربية كبرى على اساس اللامركزية يكون جبل لبنان احد اركانها .

المهمة الثانية

متى تم للوفد النجاح في هذا السعي حمل جمهور اللبنانيين على الاتفاق مع ملك العرب على ما يكون فيه خير لبنان ومصلحة المملكة الجديدة .

المهمة الثالثة

ان يستميل الوفد ما قدر واستطاع من رجال السياسة الاميركان الى الحركة العربية ويتخذهم لها نصيراً يدافع عنها في مؤتمر الصلح .

طرق السعي

على الوفد قبل كل شيء ان يدرس الحالة السياسية في اميركا ويطلع على مساعي وحركات الاجانب مع اللبنانيين وعلى المجرى الذي يسير فيه الرأي اللبناني هناك .

ومتى توفق الوفد الى الوقوف على كل هذا (ويجب لهذا الدرس عمل

اسبوعين على الاقل) يبتدىء بجس نبض كبار الصحافيين اللبنانيين كنعوم مكرزل صاحب الهدى ونجيب دياب صاحب المرآة ورؤساء الجمعيات اللبنانية كنعوم حاتم وضاهر لحود ومخابرتهم دفعة بعد دفعة على الطريقة التي تتفق مع مركز كل منهم وطبعه الى ان يتم اقناعهم واكتساب اقلامهم ونفوذهم .

وفي الوقت المناسب يتفق معهم على انشاء حزب عربي استقلالي . يتولى مخابرة الجمعيات اللبنانيه في نيويورك والمدن الاخرى ودعوة رجال الى النظام والاتفاق ، وعندئذ يمكن لاحد رجال الوفد او لاثنين من ان يظهروا مالهم من صفة رسمية وما هم عليه من الاتفاق مع حكومة العرب اوعلى الاقل ماهم عليه من معرفة برنامجها السياسي وحسن نيات رئيسها

ومتى وصل الوفد الى هذا الحد من النجاح في نيويورك فينتقل بعض رجاله الى المدن الاخرى للقيام بذات العمل ويسهل ان يصطحب اليها رجلا اوا كثر من المقيمين في نيويورك الذين يكون قد تم اتفاقهم معه ، وينشأ في كل مدينة من تلك المدن فرع للحزب العربي الاستقلالي .

وبعد ذلك يصرف النظر الى جمهوريات اميركا الجنوبية واهم مافيها جالية البرازيل وجالية الارجنتين

البرازيل

لي فيها صلة كبرى بنادي (رواق المعري) بسان باولو وهو نادي آداب العربية يسهل علي جداً الاتفاق معه على الخطة التي نريدها . وجالية سان باولو ارقى جاليات اللبنانيين على الاطلاق ولسان حالها جريدة الميزان من

ارقى صحف العرب ورئيس تحريرها اسطفان الغلبوني استقلالي منذ ايام المدرسة . ورجال (رواق المعري) سيكونون الحزب العربي في البرازيل ،

ثم يقصد (ريودي جانيرو) العاصمة ويبذل فيها ذات المساعي وينشئ فرعاً للحزب بمساعدة اثنين او ثلاثة يرافقونه اليه من سان باولو .

الارجنتين:

ويعمل ذات العمل في الارجنتين ويكفي منها العاصمة ، وبيني وبين صاحب اكبر جريدة فيها صلة صداقة قوية وقديمة وهو وديع شمعون صاحب السلام.

المؤتمر ونتيجة الاعمال

وبعد ثلاثة او اربعة اشهر اي بعد ان تكون مبادئ الحزب قد انتشرت في الاميركتين بواسطة الصحف والخطابة والجمعيات يدعى اللبنانيون الى عقد مؤتمر عام في واشنطون يقررون فيه كل الامور المعلومة والمتفق عليها وينشرون قرارهم على العالم ويبلغونه رسمياً بالتلغراف الى ملك العرب والى جميع حلفائه ويطلبون من الرئيس ويلسون ان يكون نصير النهضة العربية والمدافع في مؤتمر الصلح عن استقلال كل البلاد العربية

ويكون الوفد قبل عقد المؤتمر وسعي ذوي النفوذ هنالك من اللبنانيين ويكون قد استمال الى مبادئ بعض خطباء الاميركان من النواب والشيوخ والصحافيين فيخطبون في المؤتمر في تحبيذ النهضة العربية

وبعد هذا يعقد مؤتمر ان في سان باولو تحضره جاليات اميركا الجنوبية

مدة السفر:

لا يضمن الوصول الى اميركا في الظروف الحاضرة الا بالسفر عن طريق الشرق ومدة السفر تكون ٥٠ او ٥٥ يوماً

نفقات السفر :

في الباخرة الانكليزية من بورسعيد حتى يوكوهاما ٦٦، جنيه عن كل شخص ان النفقة من يوكوهاما الى اميركا فغير معلومة هنا .

النفقات في اميركا:

لا يمكن تحديدها منذ الآن انما يجب ان يعلم ان المعيشة في نيويورك اغلى منها في لوندرا   انتهى

ولما كان قد خصص جلالة ملك العرب الى مندوبه بالقاهرة مبلغاً قدره ١٠٠ جنيه شهرياً المصاريفات المخصوصة لااستبعد اجراء هذين المشروعين واخراجهما من القوه الى الفعل مع اني لم اعثر على وثيقة ما تدل على ان الوفد المذكور قد ارسل الى امريكا او ماذا كان قد ارسل المندس محمود صبحي الى انحاء مصر لبث الدعوة العربية .

ولقد درجت هنا هذين المشروعين على سبيل الاستطراد لاظهار ماكان يخالج ضمائر العرب في تلك الايام من التشبثات والاقتراحات في سبيل نجاح قضيتهم .

وكان من نتائج الحركة العربية وبث الدعوة لها ان الياس طعمة صاحب جريدة الحمراء في (البرازيل) ومن اشهر كتاب السوريين وكبار

احرارهم قد غير اسمه بأسم (ابي الفضل الوليد عبد الله طعمة) وكتب في جريدته —بهذه المناسبة— مخاطباً قومه : « فليقول كل منا انا عربي وليس اعرب مني واذا لم تكن العربية الا بالاسلام فأنني عربي مسلم اشهد ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله . » وكانت جريدته تفيض بأحسن المقالات في خدمة العرب واشدها حماسة .

وكان قد طبعت عدة منشورات وارسلت الى الاقطار العربية بانواع الوسائط ، حيث كان يرسل منها الى سوريا والعراق بواسطة سعات مخصوصة والبعض منها كانت ترميه طيارات الانكليز على البلاد العربية التي كانت تحت اشغال الاتراك . وهاك صورة من احدى المنشورات المذكورة :

منشــور شــريف

—ه﴿ من حضرة صاحب الجلالة الهاشمية الملك المعظم ﴾ه—

بسم الله الرحمن الرحيم

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً)

الحمد لله ولي الحق ونصيره ، ومبيد الباطل ومبيره . منزل السكينة على قلوب عباده المتقين ، والآخــذ بنواصي اعدائه المارقين . وصلى الله على سيدنا محمد مطلع شموس الهــداية ، ومزيل حنادس الغواية . وعلى آله واصحابه وسلم .

أما بعد فانا لانرتاب — والثناء للباري جل شأنه — بأن منشوراتنا السابقة قد أتت بمنه تعالى وتيسيره بالغاية المقصودة من نشرها ، فعلم من اوردنا اعلامه من البشر عموماً والمسلمين خصوصاً أسباب نهضتنا ومسوغاتها العقلية والنقلية . ومع هذا فتيمناً بمشيئته تعالى واتباعاً لحكمة ما أراده

بقوله عز من قائل (ليزداد الذين آمنوا ايماناً ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون -- الى قوله تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء - وقوله جل اسمه -- كلا والقمر والليل اذا أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر) هذا من جهة ومن جهة اخرى ليزداد الذين آمنوا ايماناً بما قلناه ويتيقنوا مانشره نورد لهم نبأ جنايه أعرار المتغلبة التورابيه في هذه المرة على الاموات والاحياء من افراد العالم الاسلامي وهو مما تكنه صدورهم للشريعه الاسلاميـه المطهره كما قلنا في السطر الخامس والعشرين من منشورنا الاول الا وهو نهبهم كل ماتحتويه حجرة نبيهم عليه الصلاة والسلام من هداياهم وتبركاتهم التي أرادوا بها تكريم ساحاته الطاهرة زادها الله تعظيماً وتكريماً . فان هذه الحادثه ليست احدى الكبر بل هي كل الكبر اجل كيف لانقول انها كل الكبر واعظمها وقد أمرنا الله تبارك وتعالى باحترام ذلك المقام الاقدس بما هو أقل من ذلك بقوله جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) وقوله عز وجل (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وأين هذه المرتبه من الاحترام التي أمرنا بها الله تبارك وتعالى لمقام النبوة الارفع مما فعله متغلبه التورابيين من سلب تلك الساحات الطاهرة . اننا نترك الحكم في هذا الى العالم الاسلامي كما تركنا لهم أمثال هذه الاحكام الصريحه في منشوراتنا السابقه . غير اننا نريد هنا ذكر قوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا) . ومع ايرادنا لهذه الآية الكريمة نقول انه صلوات الله عليه

وسلامه في غنى عن هذه الدنيا وما فيها . ولكننا نلفت انظار العالم الاسلامي الى التأمل في نهيه عز وجل عن رفع الصوت في تلك الحضرة الشريفة وثنائه على الذين يغضون أصواتهم هناك لينكشف لهم الامر عما في هذه الجناية الجديدة من الاستخفاف الصريح المعلوم حكمه في كتب مذاهب أئمة الدين عامة .

واذا كان احد من المسلمين في ريب من هذا النبأ العظيم فعليه أن يبعث من يأتمنه ليستعلم عن هذه الحقيقة من مئات الملتجئين الى(ينبع) و (رابغ) من جيرانه صلوات الله عليه وآله وسلامه . اما نحن فلا نستغرب هذا الحادث العظيم من تلك الفئة بعد وصفها لسيرته صلوات الله عليه وسلامه بانها شر السير (والعياذبالله تعالى) كما اشرنا الى ذلك في منشورنا الاول . ولكننا نسوق الحديث الى اخواننا المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ليروا رأيهم فى هذه الفضيحة التي غشيهم ذلها وعارها من فوقهم ومن تحتهم ومن بين أيديهم ومن خلفهم . والا فنحن على اقصى درجات اليقين بان الله تعالى عند ما اقتضت حكمته خزيهم والانتقام منهم خصنا وشرفنا باجرائه على أيدينا . فهذه اسيافنا تقطر من دمائهم وبيوتنا غاصة باسراهم .

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وابنا بالملوك مصفدينا

فمن تأمل فى وقاحة الفئة التورانية المغرورة يوم خلعهم للسلطان عبد الحميد من نهب داره وحلى ازواجه وبناته حتى اخرجوا الخرصان من آذانهن بالصورة التي يعلمها كل فرد من ساكني الاستانة وسلبهم كل ما فى تلك الدار التي لابد لهم ان يعترفوا بانها حسب دعواهم دار خليفة

ويفترض على المسلمين احترام دور خلفائهم ، وفيها اتوه ايضاً منذ ذلك من الجرأة على مايمس بالاحكام الاسلامية كما سبق بيانه في منشوراتنا مختصراً بمدى انهم كانوا يسبرون غور الحس الاسلامي . فلما علموا عدم اكتراثه حتى بمعاتبته لهم ولو على لسان احدى الصحف الاسلامية الصادرة في خارج المملكة التركية تجرأوا اليوم على هذه الجناية العظمى والجرم الفظيع والحادث المريع . فليحذر العالم الاسلامي من ان يفجعوه بما هو اعظم من هذا ، وليس وراء ذلك الشر ماهو ادهى وامر (اعاذنا الله تعالى من ذلك)

وعليه فاننا نعلن لمن بقي من مسلمي الممالك التركية خصوصاً جيشها وقواده بانهم اذا لم ينهضوا لاسقاط حكومة هؤلاء الاغرار التورانيين ويعلنوا براءتهم منهم فانا نقطع آخر امل لنا بعودة رونق الاسلام لتلك المملكة ورابطته باهلها ، وتكون فاتحة براءتنا منها طي سلطانها من خطب الجمعة التي ابقينا اسمه فيها حتى الآن حرمة لآثار اسلافه واملا بقيام من ينقذ بلاده من افراد الفئة التورانية المتغلبة عليها ولله الامر من قبل ومن بعد .

مكة المكرمة في ١٠ جمادي الاول سنة ١٣٣٥

الحسين بن علي

جريدة القبلة :

كان قد رأى صاحب الجلالة الهاشمية من الضروري اصدار جريدة في عاصمة الحجاز يستعين بها على بث الدعوة العربية ونشر آرائه السياسية واوامره الادارية ومايخالج ضمائر احرار العرب في سبيل استقلال البلاد

العربية فصدرت ارادته الملوكية بتأسيس جريدة عربية . سياسية ، اجتماعية دينية باسم (القبلة) تنشر في مكة المكرمة في المطبعة الاميرية بشعب (جياد) وتصدر في الاسبوع مرتين . فارسل المرحوم شريف افندي الفاروقي مندوب صاحب الجلالة في القاهرة ، الاديب الفاضل فؤاد بك الخطيب المعروف بحماسته العربية وبوطنيته الجديه الى مكة المكرمة مع الكليشات اللازمة ومع ما يقتضي من لوازم التحرير فشرع الموحى اليه باصدار جريدة (القبلة) في اواخر شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ .

ولا يخفى ما لهذه الجريدة من الخدمات المهمة في نشر الدعوة العربيه والدفاع عن حقوق العرب وقضيتهم وكانت تأتي احياناً بعض النسخ منها الى العراق ويقرأها البعض من احرار العرب سراً بكل فخر وسرور وكان (للقبله) موقع ممتاز بين الصحافه العربيه جمعاء لاسيما في القطر المصري وفي الديار الامريكيه .

وفي مدة وجيزة كثر مشتركين هذه الجريدة في جميع انحاء الحجاز ومصر والهند والعراق واميركا وبلاد الغرب

فكانت تنتشر بواسطتها الدعوة العربية في جميع اقطار العالم شرقاً وغرباً

وكان لها مواقف عديدة في الدفاع عن استقلال البلاد العربية لا سيما تجاه بعض المفسدين من اعداء القضية العربية . ولاجل ان نعرض على القراء الكرام مثلا من بعض دفاعها ، ندرج المقال التالي من عددها ٢١١ وهو .

نعم مالهم ولنا اي ورب الكعبة

او

ما اشبه اليوم بالامس

من التصادف الغريب اننا بينما كنا نتأمل المقالة التي افتتح بها المقطم الاغر عدده ٨٦٤٧ الصادر بتاريخ ٢ ذي القعدة سنة ١٣٣٥ هـ بعنوان (فرنسا الانتوخي الفتح) وعدده ٨٦٣٨ الصادر بتاريخ ٣ ذي القعدة اذ اتحفتنا الصدفة في هذه المرة بالاطلاع على مقالة بعنوان (خطر الجامعة العربية) بقلم المفضال الاريب (جورج سمنة) نشرتها احدى صحف اوربا. وقد رأت القبلة ان من اول واجبات بحثها في المقالة المذكورة التمني الصميمي لصاحبها الاريب بتوافر شأن موقعه في المجتمع البشرى. لاننا لا نشك باحاطة علم كمالاته — اما بالذات او بالواسطة — بالكتاب العالي الذي نشرته القبلة في عددها ١٠٩ ومنه يظهر له ان كل ما اراده بنا ورمانا ووصفنا به ليس بالنبأ العظيم الذي يريده ويتقصده. فان جلالة مولانا الملك المعظم وفقه الله قد اعترف به في كتابه الكريم — في السطر الحادي عشر من الصحيفة الاولى من عدد القبلة المذكور — بقوله السامي :

« وما عسى ان تكون حالة البلاد على ما فيها من الفقر والجهل »

وفي السطر التاسع عشر من الصفحة الاولى المذكورة بقوله :

« وليس لي والبلاد المعدومة الحول والقوة التي قامت عما قامت به لضمان حقوقها الا الاعتماد على الباري جل شانه، ثم على عهود معاهديها وهي الطريقة الوحيدة للعالم منذ نشأته لضمان حقوقه »

فان تصريح جلالة سيدنا الملك المعظم واعترافه الواقع اولا، ثم نشر

القبلة لذلك ، لمن ابسط الادلة على اننا معشر لا يعرفون الا الحقيقة ولا يؤمنون سواها . فاعترافنا واقرارنا بما رمانا به صديقنا المفضال المومى اليه — قبل ان يتكلف حضرته ويضيع نفيس اوقاته في تأليفه — يخول لنا ان نقول : ها هي البلاد والثناء لله قد انشأت في ظرف هذه المدة اليسيرة — رغماً عن انف كل حاسد — من المؤسسات النافعة لحاجة حالة البلاد الحاضرة ما هو معلوم لدى كل من زارها من اخواننا القادمين اليها ، وبها من الامن والسكينة ما لم يكن في كثير من اعصار المعمورة.

اما قوله « بل يجب ايضاً ان يخلد بعض رجال حاشية الشريف الى السكينة ، ويلزموا خطة الاعتدال ولا يعرضوا مسائل الشرق للتعقيد بعدم ترويهم » فلا يسعنا الا ان نتلقاه بكل حسيات الحقيقة بأنه نصيحة منبعثة عن اخلاص صميمي . ولكن يشكل علينا مع هذه الحالة قوله بعد ذلك « ... الاسباب التي وضعت في رؤوس بعض كبار اهل مكة حب العظمة والتوسع ... الخ » فقد القتنا هذه الجملة في حيرة لم نستطع معها الا ان نقول : ان من الضروري ان امثال حضرة محتشمنا الفاضل جورج — البعيد المناسبة والعلاقة خصوصاً في مثل هذه الحالة — يحتاج الى زمن غير قصير حتى يقف على الحقيقة التي يطمئن ضميره لها فيما قذفنا وحكم علينا به من العظمة التي هي من اقبح الصفات في نظر المسلمين

واننا على سلامة تامة من الاضطراب الوجداني باننا لم نقترف ما يستلزم غيظ ذاته الموقرة وغضبها وشدتها وحدتها ، اللهم الا ان يكون ذلك من اظهار ابناء بلادنا المقيمين فى الامصار التى ذكرها لسرورهم وفخرهم من نهظتنا نحن اخوانهم ومن شاركنا فى مساعي استقلال بلادهم

وأننا نترك الفصل في هذا لافاضل البشر ، ولا نقول لصاحبنا الا : انك في حل من تسرعك فيما رميتنا به ونسبتنا اليه . ولو صبرت لعلمت ان رؤوس اهل مكة ليست مملوءة الا بالشهامة العربية ، والحرص على الحقوق القومية وانهم لاجل الحصول على هذه الغاية المكرمة الشريفة لايفرقون بين سيادة السوري او غيره عليهم ، متى نالت البلاد حقوق استقلالها المشروع.

فاذا هذا علم ان باقي مباحثة يجدر بنا ان نقول عنها انها سيحلها المستقبل.

هذه نبذة من مندرجات جريدة (القبله) درجناها بطريق الاستطراد ولا شك في ان هذه الجريدة ونشرياتها هي التي حركت اعصاب كثير من ضباط العرب وجعلتهم يتطوعون في الجيش الحجازي افواجاً افواجاً ، فقد تطوع من بغداد — بعد سقوطها بيد الانكليز — كثير من الضباط العراقيين وسافروا الى الحجاز للاشتراك في ميادين القتال بجانب صنوف الحلفاء .

عزيز بك علي المصري — نوري باشا السعيد :

وقد رأينا من الضروري ان نعرض على القراء الكرام ما يلزم من ترجمة واعمال هذين الرجلين الصديقين نظراً لما لهما من الخدمة والتأثير العظيم في القضية العربية عامة وفي مقدرات العراق السياسية خاصة فنبتدء بالاول قائلين :

ولد عزيز بك في مصر من صلب رجل شريف ومثري يدعى علي بك

حوالي سنة ١٨٧٩ م . وبعد ان اتم تحصيله الابتدائي في القطر المصري ارسله ابوه الى المدارس العسكرية في الاستانة فدخل المدرسة الحربية ، ونظراً لنجاحه واستعداده فاز ودخل المدرسة الاركان الحربيـة وتخرج منها برتبة (يوزباشي اركان حرب) قبل اعلان الدستور العثماني بثلاث اربع سنوات (اي حوالي سنة ١٩٠٤ م .) فعين الى الجيش الثالث التركي في (ماكدونيا) وتقلد هناك مراراً قيادة عدة مفرزات لتنكيل العصابات البلغارية واليونانية والالبانية واوقع بهم الضرب الشديد حتى ان معظم العصابات كانت تهرب وتخاف عند سماعها اسم (عزيز بك !)

وقد انضم المشار اليه قبل اعلان الدستور الى (جمعية الاتحاد والترقي) وكان من اركانها الخطيري الشأن نظراً لما له من الخدمات العظيمة للجمعية المذكورة في ماكدونيا . ولما زحف جيش محمود شوكت باشا من الروم ايلي على الاستانة بعد حادثة (٣١ مارت سنة ١٣٢٤ رومية — ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩ م .) الارتجاعية لتأديب العصاة ضد الدستور كان عزيز بك علي يقود اذ ذاك فوجه فهاجم (طاس قشلة) وابلا بلاء حسناً بالثوار بعد ان استولى على جسر (غلطه) ثم ارسل عزيز سنة ١٩١٠ م مع مفرزة الى (ايوالق) جنوبي خليج (ادرميـد) على شواطئ الاناضول لطاردة عصابات الاروام فنكلهم اشد تنكيل .

وقد خدم المشار اليه الدولة العثمانية في اليمن بتوسطه لعقد الصلح بين الحكومة التركية والامام يحيى بعد ان كسرت جنود الترك في محاربة (جيزان) شر كرة سنة ١٩١١ م .

ثم تطوع عزيز بك علي الى الجهاد في طرابلس فسار اليهـا سنة ١٩١١ م

لما كانت الدولة العثمانية بحالة حرب مع ايطاليا واستلم قيادة (منطقة برقة) وتمكن من توقيف الايطاليين على سواحل بحر الابيض مدة طويلة مع قلة جنوده ووسائطه الحربية التي لم تكن شيئاً امام القوى الايطاليه .

وقد رأى عزيز بك علي من سوء نوايا الاتراك في طرابلس الغرب ما لم يراه من قبل ويروى انه حدث اختلاف بينه وبين انور باشا الذي كان اذ ذاك هو القائد العام في منطقة طرابلس الغرب كلها هذا من جهة واما من الجهة الاخرى فكان سليمان عسكري بك [الذي انتحر في محاربة الشعيبة] من اضداد عزيز بك الالداء فنمت تدريجاً النفرة بين اتباع انور وبين عزيز بك وضباط العرب الموجودين حينذاك هناك ، لاسباب لا محل لشرحها في هذا المقام .

وقد ترك عزيز بك ديار طرابلس الغرب في اواخر سنة ١٩١٣ م . ورجع الى الاستانة ورأى ما رأى من سوء سلوك الاتحاديين ومعاملتهم الامر الذي جعله يعتقد بقرب تدهور الدولة العثمانية وهذا الذي حمله على انشاء حزب عربي سياسي سري لانقاذ العرب من ذلك التدهور فألف (حزب العهد) السالف ذكره في الاستانه يوم ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣ م وخاض غمار القضية العربية اعتبارا من ذلك الزمن . ومع هذا يروى انه لم يدخل حزب الاتحاد والترقي سابقاً لما كان في ماكدونيا الا بعد ان قطع له الحزب الوعود القوية باعطاء حقوق العرب واحترام كيانهم القومي ؛ غير انه لما خدم جمعية الاتحاد والترقي خدمات مهمة وتقرب بذلك الى مركزها واطلع على مقاصدها ونواياها السيئه نحو

العرب لنصحهم والفت نظرهم الى وجوب التزام خطة ارضاء العرب ، ذلك العنصر الخطير الشأن في جسم الدولة العثمانية فلم يلتفتوا لنصائحه فوقعت النفرة في قلب عزيز من الاتحاديين واشتدت عند خصامه مع صناديد الاتحاد في طرابلس الغرب .

وفي سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ م تعارف المشار اليه عزيز بك علي مع نوري السعيد [وزير الدفاع الحالي للحكومة العراقية نوري باشا السعيد] في الاستانة وتوادا فاصبحا صديقان مخلصان واحد للآخر مشتركين بالسراء والضراء . واظن ان حياة نوري السعيد السياسية الفعالة تبداء منذ هذا التعارف .

كان عزيز بك حر الفكر والضمير ، جواد وكريم ، لا يعرف معنى للتزلف والتبصبص ، وقور ورزين وهو على جانب عظيم من الشهامة والغيرة والحمية. وكان يحسن اللغات التركية والعربية والفرنسية والالمانية ومشهور بثباته وعزمه وبالتمسك بمبادئه القومية والسياسية وهو من اقدر رجال العرب الجامعي بين السيف والقلم .

وكان عزيز بك متخصص بامور تنظيم الجمعيات السرية وتدبير شؤونها واعمالها وهو اكبر ضابط عربي عثماني فكر بمستقبل قومه وبلاد امته واول من عمل من الضباط على انقاذ العنصر العربي من التدهور التي فكر انه سيصيب الدولة العثمانية عن قريب واول من نبه افكار شبان العرب لهذا الامر ونفخ فيهم روح الغيرة القوميه وقد صدق الاتحاديون بوصفهم عزيزاً انه : « بيت الفكرة العربية في الجيش . »

ويروى ان عزيز بك علي بداء بتنبيه افكار شبان العرب وحثهم الى النزعة الجنسية والقومية منذ كان طالباً في المدرسة الحربية ، حيث كان يؤدب لابناء مدرسته من العرب المأدبات الفاخرة في اكبر فنادق (بك اوغلي) وذلك مما كان يرفع منزلة مقامه بين شبان العرب وغيرهم من التلاميذ . وقيل انه كان يفكر بانشاء ثورة عربية كبرى في شبه جزيرة العرب ترمي الى انشاء دولة عربية مستقلة تحت رياسة شريف مكة واميرها ولكن اظن ان عزيزاً قد اقتبس هذه الفكرة من البعض من رجال العرب السياسيين الذين كانوا يقيمون في مصر ، اذ كان كثير من هؤلاء الرجال يفكرون بذلك الامر قبل ان يبلغ عزيز بك سن الرشد . وعلى طريق الاستشهاد اقول اني كنت قد اطلعت على كتاب : « La crise des Arabes » ثورة العرب » لمؤلفه ومحرره باللغة الافرنسية نجيب عازوري [طبع هذا الكتاب في باريس حوالي سنة ١٩٠٤ م] احد رجال العرب من اهالي لبنان وقد اسهب المؤلف ابحاثاً مهمة عن احوال العرب وموقفهم السياسي والاجتماعي في تركيا وبين فكرة ايقاد الثورة العربيه واستقلال العرب تحت ظل صاحب الجلالة الهاشمية . ودرج في الكتاب منشور الامام يحي الى الامة العربية مبيناً فيه وجوب القيام ضد الحكومة التركية . فنظراً لمندرجات ذاك الكتاب يفهم ان فكرة استقلال العرب كانت مرتكزة في ادمغة مفكري العرب يوم كان عزيز بك في المدرسة .

ومهما كان من امر الثورة . فانه اول ضابط عربي نبه افكار ضباط العرب ونشط عزائمهم القومية ونستطيع ان نعد المشار اليه رجلاً قد خلق للسياسة والحزب منذ نعومة اظفاره .

ولنستطيع ان نجمل بدأ حياة عزيز بك السياسية دخوله بجمعية الاتحاد والترقي في الروم ايلي واشتراكه معها بحركاتها ضد السلطان عبد الحميد رغبة في انقاذ الدولة العثمانية من مخالب الاستبداد واحيائها على (عهد الدستور).

ولما اعلن الاتحاديون الدستور سنة ١٩٠٨ م — ١٣٢٤ ه اغتصبوا السلطة المطلقة من يد السلطان عبد الحميد وطشوا باعمالهم فاصبحت السلطة المذكورة قد انتقلت من يد السلطان الى ايديهم فجاهروا حينئذ بمبادئهم السياسية المؤسسة على تتريك العناصر غير التركية. فانفعل عزيز بك من ذلك ونصحهم فلم تجد نصائحه نفعاً فاخذ عزيز يبث الروح القومية العربية بين شبان العرب وهذا يعد مبدأ اشتغاله بالقضية العربية.

ولما تشكلت الاحزاب العربية السياسية في الاستانة ومصر وفي سائر الاقطار العربية كان عزيز بك له الاتصال باجمعهم واشتدت النفرة السالف ذكرها — بين الاتحاديين وعزيز بك علي — حتى انتهى الامر باستقالته من الجيش التركي الامر الذي ادى الى توتر العلاقات بينه وبين انور باشا واتباعه.

وكانت حكومة انور باشا الاتحادية قد صممت الفتك بزعماء الاحزاب العربية [التي سبق ذكرها] فبعدت في اوائل سنة ١٩١٤ م كثير من ضباط العرب وشبانهم الملكيين الى تراكيا وكليبولي والاناضول لاطفاء الحركة العربية وقمعها وفي صباح يوم الاثنين المصادف ٩ شباط سنة ١٩١٤ م اصدرت اوامرها بالقاء القبض على عزيز بك وهذا بعض ما كتبه محرر (ثوره العرب) عن قضية المشار اليه عزيز ندرجه بحروفه :

« فبينما كان عزيز بك خارجاً من فندق (توكتليان) بعد ظهر يوم ٩

شباط سنة ١٩١٤ م دنا منه احد رجال البوليس الملكي بكل احترام ودعاه الى دائرة البوليس في استانبول ولما ذاع الخبر في الاستانة قام له ابناء العرب وقعدوا وذهب كثيرون منهم الى مركز البوليس مستعلمين عن السبب فقابلهم مدير الامن العام بكل بشاشة وتلطف وقال لهم ان عزيز بك لم يوقف ولكنه يستجوب عن امور لادخل له فيها وسيطلق سراحه في المساء وقصد المرحوم الزهراوي منزل طلعت بك وزير الداخلية ليقف منه على حقيقة الحال فقيـــل له انه ليس في منزله . والحقيقة انه لم يرغب في مقابلته كما اتضح بعدئذ .

« ولما ازفت الساعة العاشرة مساء ولم يخرج عزيز بك من دائرة البوليس قصد احد ضباط العرب المرحوم عبد الحميد الزهراوي في فندق (كروكر) وطلب منه باسم الضباط العرب ان يبحث عن السبب ويخبره به في اليوم التالي وابلغه استياء العرب ملكيين وعسكريين من تلك المعاملة لان عزيز بك لادخل له في سياسة الاستانة وشؤون احزابها الى ان قال : ابلغ الحكومة ايها الاستاذ ان دماءنا نحن العرب يجب ان نحفظ للدفاع عن الوطن فلا تضطرنا الى اراقتها في سبيل الافراد .

« وفي ١٠ شباط عقد مندوبوا الاحزاب العربية اجتماعاً مهماً للوقوف على الاسباب التي ادت الى القبض على عزيز بك واجراء ماتقتضيه الحال . ثم قابلوا جمال باشا وطلعت بك وغيرهم فسمعوا منهم كلهم جواباً واحداً وهو ان عزيز بك اخوهم وحبيبهم وان وزارة الحربية تحقق معه في بعض الشؤون العسكرية التي تتعلق بامر الدفاع عن الدولة وان الحكومة قررت تعيينه والياً على البصرة

« ولكن العرب لم ينخدعوا بكذب الاتحاديين هذه المرة فقاموا بمظاهرات عديدة فى الاستانة وطلبوا من الحكومة ان تعجل فى محاكمة عزيز بك وان يضاف الى المجلس العسكري الذي يتولى امر هذه المحاكمة لجنة من اركان الحرب وكبار الامراء العسكريين الخبيرين بالشؤون الحربية فلم تفعل شيئاً من ذلك وتألف المجلس العسكري من بعض صنائع انور باشا وعبيده وبعض الذين لا يخلفون له امراً .

« وقد بدأت المحاكمة يوم الاربعاء فى اول نيسان سنة ١٩١٤ م بحضور الشهود سليمان بك العسكري ورمزي افندي المهداوي وضياء افندي والملازم نور الدين افندي ورشيد افندي والي القراء التهم التي وجهت الى عزيز بك وخلاصة اقوال الشهود كما وردت فى محضر الجلسة الرسمي :

« قال سليمان العسكري : [ان فكرة عزيز بك تناقض المصلحة العثمانية فقد سعى وهو فى طرابلس الغرب فى بث الفكرة العربية بين الاهلين وفى انشاء دولة عربية مستقلة يتولى هو ادارة شؤونها وكاد ينجح فى سعيه لولا معاكستي انا وبعض الضباط الاتراك له .]

« وقال رمزي افندي : [ان عزيز بك اجتمع بالايطاليين اثناء الحرب اجتماعاً مهماً ولكني لا اعرف ما دار بينهم من الكلام .]

« وقال ضياء افندي : [ان عزيز بك عدو للاتراك عموماً وعدو لانور باشا خصوصاً فهو خائن للدولة التركية .

« وقال نور الدين افندي : [ان عزيز بك اتفق مع الامام يحيى على نهج خطة واحدة الغرض منها ضم اليمن الى مصر وكان يسعى وهو في بنغازي

الى تنفيذ هذه الفكرة وجعل بنغازي واليمن دولة عربية واحدة [١] ...

« وقال رشيد افندي: [ان عزيز بك اعرب امامي عن سروره وارتياحه الى ما اصاب المسلمين في البلقان وانه ذبح بعض العرب في بنغازي ودفن عشرات منهم احياء [١] ...]

« وفي ٤ نيسان سنة ١٩١٤ عقدت جلسة ثانية لسماع شهادة العبد الماس : [سمعت في برقة ان عزيز بك استلم من الايطاليين مبلغاً من النقود لا تقل عن ١٥ الف ليرة مقابل تسليمهم البلاد [١] ...]

« وقال القهوجي قاسم : [ان سمو خديوي مصر اوفد الى عزيز بك رجلا اسمه حسن بك حماده لمفاوضته في تسليم البلاد الى الايطاليين] واستشهد على صحة ذلك بمقابلة عزيز بك على السمو الخديوي عباس باشا اثناء مروره بمصر . »

« وكانت بريطانيا العظمى قد اهتمت اهتماماً خاصاً بمسألة عزيز بك وفاوضت الحكومة العثمانية مراراً في شأنه واقنعتها ببراءته ووجوب اطلاق سراحه فلم يتمكن الاتحاديون الا اجابة هذا الطلب لاسيما بعد ما ادركوا ان اعدامه يؤدي الى هياج عظيم في البلاد العربية .

« وبديهي ان محاكمة عزيز بك لم تكن قانونية على الاطلاق لان التهم التي عزوها اليه تهم صبيانه مختلقة ولانها اما ان تكون قد وقعت قبل معاهدة لوزان وابرام الصلح مع ايطاليا او بعدها ، فان كانت قبلها كان الواجب على انور باشا القائد العام حينئذ ان يحاكمه عليها وان كانت بعدها فلاحق للحكومة العثمانية في التعرض له بسببها ، لان البلاد اصبحت

[١] يا للعجب ! انظروا الى اي درجة بلغت التزويرات !!

بعد الصلح اما عربية أو ايطالية وخرجت عن السلطة العثمانية . فان حسبها الاتحاديون عربية فان عزيز بك كان اميراً مستقلا فيها ولاصلة له بحكومة الاستانة وان حسبوها ايطالية فمن الواجب تسليمه الى حكومة ايطاليا التي يحق لها محاكمته دون سواها ... »

ولو فرضنا أن عزيز بك تشبث في طرابلس الغرب بتشكيل دولة عربية لانظن ان ذلك من غير علم انور باشا اذ قال جمال باشا في مذكراته :

« انه لما ابرمت معاهدة الصلح مع ايطاليا وعاد انور الى تركيا للاشتراك في الحرب البلقانية سلم القيادة الى عزيز بك واوصاه بتشكيل حكومة عربية . » فهذا دليل على ان الاتراك قد نفضوا يدهم من طرابلس الغرب فلم يبق معنى لمحاكمة عزيز بك من اجل ذلك .

وقال جمال باشا في مذكراته ايضاً عن عزيز بك : « انه واصل المومى اليه عند عودته من برقة الى الاستانة للحط من مقام انور باشا عند اصدقائه العرب والاتراك القدماء معاً ولاغراء العرب ببغض الترك ومعاداتهم واخذ يدس الدسائس الى ان عيل صبر انور فامر بالقاء القبض عليه وبمحاكمته امام مجلس عسكرى بتهمة اختلاسه ٣٠ الف ليرة من اموال الحكومة سلمها اليه انور باشا لتنفق فى سبيل الدفاع عن الوطن .

« وقال لي المسيو جورج ريموند مراسل جريدة (الايللوستراسيون) اثناء محادثته معي فى المأدبة التي اقيمت بدار السفارة الافرنسية مساء اليوم الذى رفع فيه حكم الاعدام على عزيز بك الى جلالة السلطان ليحوله برأفة به الى سجن مؤبد : [وقد بلغني ان التهمة الموجهة ضد عزيز بك هي اختلاس اموال عهد اليه بها للدفاع دون الوطن . لنسلم انه من ثوار

العرب وبان آراءه تخالف آراء انورباشا ولكنه على التحقيق ليس لصاً .]
ودار الحديث بين المدعوين بعد ذلك بشأن الحكم على عزيز بك ولما رأيت ذلك مما يؤدي الى غيظ الجميع كتبت رسالة الى انور اعلمته فيها سخط الرأي العام عليه بناء على اتهامه عزيز بك ومحاولته الفتك به وافهمته ان اتيان ذلك العمـــــل مضر بمصلحته . وبذلت كل جهدي لانقاذ عزيز بك لاعتقادي بانه اشجع ثوار العرب واكثرهم امانة . . . . الخ »

هذا ما كتبه جمال باشا في مذكراته عن عزيز بك غير انه يروى ان الحكومة الاتحادية كانت قد قررت اغتياله في السجن وقد استطلع المرحوم سليم بك الجزائري احد اركان حرب ضباط العرب القديرين ومن اخلص اصدقاء عزيز بك ، حقيقة الامر من مصدر موثوق فأخـبر سائر اخوانه من العرب فعلت ضجتهم وعرضوا المسألة على الصـدر [الاعظم والجنرال فون ساندرس باشا رئيس البعثة الالمانية وعلى سفراء الدول العظمى ، ولا سيما على سفير انكلترة ، طالبين منهم بأسم الانسانيـة ان يتداخلوا في الامر ويمنعوا الاتحاديين من اقتراف هذه الجريمة فاقامت السفارة الافرنسية المأدبة التي اشرنا اليها آنفاً ودعت اليها وزراء الدولة وجماعة من السفراء وقد ذكرنا ماجاء فى تلك المأدبة بما يختص بمسئلة عزيز بك .

وقد وقفت السفارة البريطانية موقفاً ممتازاً في الدفاع عن حياة عزيز بك لصلته بمصر فانتهى الامر باطلاق سراحه وسفره الى القاهرة حالا وعقبه رفيقه وصديقه الحميم نوري [باشا] السعيد الى الديار المصرية وبقي عزيز بك في مصر الى نشوب الحرب الكبرى .

ولما نهض صاحب الجلالة الهاشمية ونشبت الثورة في الحجاز كان قد

اقترح قاضي القضاة للحكومة الحجازية الشيخ عبد الله سراج على جلالة الملك حسين جلب عزيز بك من مصر ليقوم بتنظيم جيشاً عربياً نظامياً يذود عن البلاد فوافق صاحب الجلالة على ذلك وكتب قاضي القضاة كتاباً الى عزيز بك يدعوه للاشتراك بهذا المشروع الجليل .

ومع ذلك يروى ان جلالة الملك حسين كان محترزاً او مترددا في امر الموافقة على جلب هذا البطل الى الحجاز نظراً لما له من الحياة السياسية العجيبة ومن العزم والثبات بافكاره دون سواها .

وقد ساقت المقدرات الآلهية عزيز بك الى الحجاز فتحرك من مصر في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ قاصداً مكة المكرمة ، فعينه صاحب الجلالة الهاشمية وكيلا للوزارة الحربية ، ثم ذهب الى (رابغ) واخذ هناك يوضع الخطط اللازمة لتشكيل جيشاً نظامياً وكان قد سبقه صديقه نوري السعيد بهذه التشكيلات ، فشرع عزيز بك الى اتمامها واكمالها بمعاونة لفيف من الضباط العراقيين والسوريين . غير انه حدث نزاعاً واختلافاً بينه وبين الرئيس المدفعي رشيد [باشا حاكم منطقة عمان في شرقي الاردن] لاسباب تافهة قد يكن اهمها حب الجاه والمقام رغماً عن ان رشيداً لم يكن بمقدرة عزيز .

وقد روى كثير من الضباط العراقيين ان رشيداً كان قد اتفق مع الضباط السوريين وقاموا يحرضون جلالة ملك الحجاز وانجاله ضد عزيز بك ونوري السعيد ويقال ان هذا النزاع كان قد ادى الى مضاربة ومشائمة وانتهى بتحويل رشيد الى الجيش الشرقي وبقي عزيز بك يبذل مجهوده في تنظيم الجيش العربي الى ان تم على عهد قيادته تأليف ٣ افواج مشاة

و ٣ بطريات مدفعية مختلفة الجنس وفوج رشاش وفوج هجانة [٤٠٠ هجان] وسرية استحكام وذلك بعدة ثلاثة اشهر تقريباً .

ومما يوجب الاسف ان عزيزاً لم ينل ثقة جلالة الملك حسين لاسباب عديدة وبما كان اهمها عدم تعوده على الاطاعة العمياء واصراره على تنفيذ خطته التي يراها ؛ ومع ذلك روى البعض من الضباط ، انه اسند السوريون [مع رشيد المدفعي] عليه المخابرة مع الاتراك وتكليفه اياهم الالتحاق بهم اذا اعترفوا باستقلال البلاد العربية . فلما سمع جلالة الملك حسين بذلك غضب عليه وهو كان اذ ذاك مأذوناً في مصر فصدرت الارادة الملوكية بتنحيه عن الجيش وبوجوب عدم التحاقه الى الجيش الحجازي كما سترى تفصيل الخبر فى باقي المخابرات الرسمية في المجلد الثاني .

وهكذا كان عزيز بك قد انفصل من الجيش الحجازي بعد مدة وجيزة واعتزل الثورة العربية وبقى فى مصر ثم ذهب منها الى اوروبا وقضى فيها نحواً من ٦ سنين وسمح له اخيراً بالعودة الى مصر فعاد اليها بعد ان لعيش فى الديار الغربية بثمن املاكه التي باعها .

وكان ساعد عزيز بك الايمن في التشبثات السياسية المتعلقة بقضية العربية ، نوري السعيد اما ساعده الايسر فكان المرحوم سليم بك الجزائري الاركان حرب الذي لم يسلم من مشنقة جمال السفاح وهؤلاء الثلاث [مع بضعة اشخاص من زملاءهم من مفكري العرب الذين لا نود توضيح اسماءهم] كانوا ركن الحركة العربية في الاستانة ومحركها ، وكان فيهم من يخابر العراق ، وفيهم من يخابر سوريا وفيهم من يخابر مصر فيما يلزم لبث الدعوة العربية .

اما نوري باشا السعيد : فلا يخفى على العراقيين انه ولد سنة ١٣٠٤ رومية [اي عام ١٨٨٨ م .] من صلب سعيد افندي كاتب المحاسبة وبعد ان درس في المدارس الابتدائية والاعدادية في بغداد دخل المدرسة الحربية في الاستانة في شهر كانون الثاني سنة ١٣١٩ رومية [سنة ١٩٠٣ م .] ثم خرج منها برتبة ملازم ثاني سنة ١٣٢٢ رومية [اي سنة ١٩٠٦ م] واستخدم في الجيش السادس التركي في العراق الى ان فاز بالامتحان فدخل المدرسة الاركان حربية في الاستانة سنة ١٩١١ م وهناك تعارف بعزيز بك علي ثم اشترك نوري السعيد بحرب البلقان سنة ١٩١٢—١٣م في تراكيا بصفة اركان حرب في احدى الفيالق التركية وبعد انتهاء الحرب المذكورة اخذ يواصل دروسه في المدرسة الاركان حربية الى ان اضطر الى الهروب من الاستانة هو ورفيقه الدكتور عبدالله الدملوجي الموصلي والالتحاق بصديقهما عزيز بك فذهبا الى مصر ثم جاءا الى البصرة والتحقا بالسيد طالب رئيس جمعية الاصلاحات واخذا يوحدان مساعيهما مع الجمعية المذكورة لبث الدعوة العربية في العراق من غير ان يتمكن الترك من القاء القبض عليهما نظراً لنفوذ سيد طالب في البصره كما اشرنا على ذلك سابقاً .

ثم اعتزل الدكتور عبدالله الدملوجي منهم وذهب الى نجد وبقي هناك في خدمة الامير عبد العزيز السعود حتى الآن وبلغنا اخيراً ان الموما اليه تعين حاكماً على مقاطعة الحساء من قبل سلطان نجد .

اما نوري السعيد فانه بقي في البصره حتى نشوب الحرب الكبرى ولما سمع بانفجار الثورة العربية في الحجاز انضم حالا الى خدمة جلالة ملك

العرب حالا ولعين رئيساً لاركان حرب الجيش الحجازي ثم تقلد رئاسة اركان حرب الجيش الشمالي كما سيرى القارئ تفصيل ذلك فى المجلد الثاني من هذا الكتاب عندما نبحث في حركات الجيش الحجازي وفتوحاته منذ تشكله حتى دخوله سوريا وفتحه الشام وحلب وسنذكر ما قام به نوري السعيد من الاعمال العسكرية والسياسية فى الحجاز وسوريا واوروبا والعراق عندما نتناول البحث عن سلسلة الوقوعات التاريخية في فصلها الخاص .

هذا وقد نال نوري السعيد ثقة صاحب الجلالة الهاشمية فرفعت رتبته تدريجاً من رتبة (مــلازم اول) الى رتبة (امير اللواء — جنرال) في الجيش الحجازي والسوري وقد رافق المشار اليه سمو الامير فيصل [لما كان اميراً في سوريا] في رحلته الى اوروبا بعد الهدنة ورافقه بعد احتلال سوريا من قبل فرانسه ايضاً ثم رجع الى العراق سنة ١٩٢١ م . وتقلد رئاسة اركان الجيش العراقي عند تشكل الحكومة العراقية الموقتة ثم تنحى عن رتبة (جنرال) عندما جرت تصفية الرتب العسكرية فى السنه المذكورة وحافظ على رتبة (عقيد — قائمقام) فى الجيش العراقي ودخل اخيراً في الوزارة الجعفرية العراقية بصفة وزير للدفاع .

خاتمة المجلد الاول:

١ — اظن ان الفصل الاول قد لخص للقراء الكرام درجة اهميه العراق الجغرافيه والسياسية والاقتصادية في نظر دولة بريطانيا العظمى وغيرها من الدول الشرقية والغربية . وقد اظهر لنا تطور علاقات الدول الاجنبيــة في ديارنا . واذا اضفنا على ذلك ادخالات انكلترا وما تبلغ

تجارتها السنوية مع العراق — بعد مراجعة القيودات الرسمية — من الملايين لاتضح لنا خطورة العراق التجاريه في نظر انكلترا نفسها .وعدا عن ذلك لو فكر القارىء فى ان المعادن ولا سيما البترول اصبح من اهم المواد التي تطلبها الدول العظمى لتجلت له درجة علاقة انكلترا بهذه البلاد .

هذا وقد ثبت لدى الخبراء الفنيون بانه يمكن استخراج خمسة ملايين طن من البترول من منابع (الكيارة) و(النمرود) الزيتية [عدا عن المقدار الذى يستطاع استخراجه من المنابع الاخرى فى العراق] وذلك سنوياً . ولاريب فى ان انكلترا في حاجة عظيمة الى هذا السائل الحيوي بصفة كونها من اعظم الدول البحرية وتستهلك ما يتجاوز الخمسة ملايين طن من الزيت في كل عام . ولما كانت بريطانيا العظمى مضطرة الى ابتياع معظم هذه الكمية الجسيمة من البترول من امريكا والقسم الباقي تشتريه من رومانيا وروسية وايران فقد تصبح في غنى عن ابتياع تلك الكمية من الخارج [بقيمة قد لاترغب فيها] اذا كانت آبار زيت العراق تحت سيطرتها فلذلك ان مسألة زيت العراق ، هي من اهم المسائل الحيوية في نظر انكلترا .

وقد قالت جريدة (ايكودوبارى) الافرنسية : « كانت قد اضطرت بريطانيا العظمى الى مكافحة فرانسة وايطالية وامريكا سياسة واقتصاداً في مسئلة زيت العراق الخطير الشأن وكادت تعرض مناسباتها السياسية للخطر من جراء هذا السائل الذى اصبح مطمح الدول الكبرى .

ولما كانت سياسة انكلترا في العراق مستهدفة آبار الزيت منذ سنة ١٩١٤ قامت بريطانيا العظمى بتضحيات كبيرة لتطبيق منهج امتلاكها المنابع

المذكورة فاعطت لفرانسة ربع زيت ولاية الموصل وساعدتها فى تطبيق سياستها فى سوريا لقاء ترك الموصل الى منطقة النفوذ البريطاني فى العراق؛ ليخلو الانكلترا الجو فى آبار زيت العراق. وقد اسكتت بريطانيا العظمى امريكا التي تريد مزاحمتها فى مسئلة الزيت العراقي بخمس الاسهم لشركة البترول التركية واعطتها لشركة (استاندارت اويل) الامريكية وهكذا سدت انكلترا افواه مندوبي امريكا فى مؤتمر لوزان الذين كانوا يدعون لزوم اتباع سياسة الباب المفتوح فى ولاية الموصل..... الخ »

فهذه الاسطر تغنينا عن تبيان دلائل اخرى للعلاقات الجوهرية التي تربط انكلترا بالعراق.

وتلك هي العوامل التي دفعت انكلترا الى الاستيلاء على العراق عند نشوب الحرب العظمى فاستولت بمدة ثلاثة اشهر تقريباً على ولاية البصرة باجمعها كما اوضح لنا ذلك الفصل الثاني والثالث وهنا لاننسى اغلاط تركيا الادارية والسياسية والعسكرية التي مهدت سبل استيلاء الجيش البريطاني على العراق ومن اهم الاغلاط التي نود الفات نظر القراء اليها هو عدم اهتمام الدولة العثمانية في قضية استمالة العشائر والقبائل الى جانبها ابان الحرب الكونية وعدم اتخاذها وسائل الدفاع عن القطر فهذه حقيقة تاريخية لاريب فيها.

تصور ايها القارئ : ماتكون حالة الجيش البريطاني في العراق لو ان العشائر والقبائل العربية لم تكن قد التزمت جانب انكلترا فى الحرب العظمى ؟ وعلى الخصوص اذا استندت جموع هذه القبائل العظيمة الى مدافع الدولة العثمانية وجيوشها اما كان من البديهي ان لاتتجاوز (لفاو)

عين زرقاء ولا وجه أسود ؟ فاذاً ما كان السبب لعدم التزام القبائل جانب الحكومة العثمانية لاسيما بعد وقعة الشعيبة ؟

— لاشك ان السبب في ذلك ، سوء ادارة الاتراك التي استوجبت النفرة العامة فى كل الانحاء وعلى الاخص في البلاد العربية ولذلك اضطرت العرب الى النهضة والانضمام الى لواء جلالة ملك العرب حسين بن على كما شرحنا ذلك في الفصل الرابع .

٢ — وقد كشف هذا الفصل الستار عن كثير من اسرار القضية العربية وعن كنة الثورة الحجازية غير ان الذي بقي مكتوماً عن الامة العربية هو نص المعاهدة الشريفية — الانكليزية نفسها . لان هذه المعاهدة عقدت سراً وبقيت مكتومة حتى الآن ولم يطلع على نصها الا من كان ذا حظ عظيم . ولست ادري ما السبب الذي اوجب كتمها الى هذا اليوم والى هذه الدرجة .

وان هذا الكتمان ، هو الذي اوجب اعتقاد البعض بان لم تعقد جلالة ملك العرب مع انكلترة معاهدة دولية رسمية ماتسمى « معاهدة » وقد أكد لنا البعض بأنهم قرأوها بأم عينهم وربما كان الذي قرأوه احدى المخابرات الرسمية التي تبودلت بين صاحب الجلالة الهاشمية وبين السر هنري مكماهون . ومع ذلك يتبين من المخابرات الرسمية الجارية ومن الوثائق المندرجة ان مضمون المعاهدة الشريفية — الانكليزية لاتخرج عن الحدود التي ذكرناها في فصلها الخاص من هذا الكتاب . ولكن المرء حريص على ما منع منه ؛ فيود العربي ان تنشر تلك المعاهدة بحروفها ونصها مع المخابرات الرسمية الجارية بين الفريقين ليطلع عليها الجمهور

العربي فيطمئن باله . لان هذه المعاهدة هي التي رسمت مقدرات العرب عامة و « مقدرات العراق السياسية » خاصة .

نعم ! ان هذه المعاهدة هي التي رسمت مقدرات بلادنا في طي الخفاء وان طلقات المدافع التي خرقت امواج بحر القلزم هي التي اعلنت للملأ تصديق تلك المعاهدة فخططت مقدراتنا السياسية في صفحات القضاء والمستقبل كشاف .

اما معاهدة سايكس — بيكو و (وعدبلفور) اللذان يناقضان المعاهدة الشريفية — الانكليزية فقد ادرجنا منهما ما يلزم في فصله الخاص على اننا سننشر مايتعلق بهما من المخابرات الرسمية التي تبودلت بين فرانسة وانكلترا وباقي الوثائق السياسية المهمة — المستنبطة من مخفظات المرحوم شريف افندي العمري مندوب صاحب الجلالة الهاشمية بمصر سابقاً — في المجلد الثاني من تاريخنا هذا .

٣ — وقد اضطررنا الى ان نبتر البحث بهذه الخاتمة لانهاء المجلد الاول ، اما المجلد الثاني فيتناول البحث في سلسلة المخابرات الرسمية السياسية التي دارت بين صاحب الجلالة الهاشمية ومندوبه بمصر وبين السلطات الانكليزية وفيما يتعلق بالقضية العربية ثم يتناول البحث في تأليف الجيش الحجازي النظامي وحركاته العسكرية وسلسلة فتوحاته الى انعقاد الهدنة وفي تأليف الحكومة السورية وتطوراتها واستيلاء الفرنسيين عليها ويبحث في القضية العراقية مفصلا ومستنداً على وثائق رسمية وخاصة وسيجد القارئ في المجلدين الثاني والثالث الذي عزمنا على نشرهما عن قريب كثيراً من الحقائق والوثائق التي لابد من اقتنائها لدى كل عراقي يود تتبع سير القضية

العربية عامة والعراقية خاصة . هذا ورجوا غض النظر عن الاغلاط المطبعية والنحوية التي لابد منها نظراً لحداثة عهدنا بالتحرير العربي ، ولاسيما قد ادرجنا نفس الوثائق بحروفها مع علمنا باغلاطها النحوية حرصاً على صيانة نصوص الوثائق المذكورة . فعلى كل نرجو عفو القراء الكرام وارشادهم فيما يرونه مناسباً وصحيحاً لندرجه في المجلدات التالية مع كل فخر ومنة على ان يتفضلوا بارسال الوثائق الصحيحة اوصورة منها فيما يتعلق بما يرون تسجيله بتاريخ (مقدرات العراق السياسية) وذلك لاجتنابنا عن الشخصيات والتزامنا جانب الحياد فيما نكتبه ومن الله التوفيق .

تم طبع المجلد الاول في مطبعة « الفلاح »

ببغداد في يوم الاثنين المصادف ٧ تموز

سنة ١٩٢٤ م الموافق ٣ ذي الحجة

سنة ١٣٤٢ هـ



٤٢٨

كلمة الناشر

لقد انجزنا طبع هذا الكتاب « تاريخ مقدرات العراق السياسية » وجل غرضنا ان نؤدي واجب الخدمة التي آلينا على انفسنا القيام بها . ويلاحظ ان مؤلف الكتاب من ابناء الموصل وماحدا بنا الى نشر مؤلفه رغبتنا في عضد الكتاب والمؤلفين العراقيين على اختلاف ديارهم في اظهار آثارهم واذاعتها لتعميم فائدتها . والمكتبة العصرية لم تأل جهداً في خدمة القطر العراقي باسره فقد أسست شعبة لها في الموصـل غير شعبتها المركزية في بغداد وطبعت هذا الأثر لمؤلف موصلي ولانقصد من وراء ذلك الاتشميل خدمتها لمملكة العراق كلها . وكما اننا نشكر ابناء الموصل لما لقينا منهم من الاقبال على المكتبة العصرية فى شعبة الموصل فالأمل ان يتلقى الموصليون عملنا هذا بالارتياح كما نشعر من العراقيين كافة . ونحن نعد التقدير اكبر منشط يدفعنا الى مواصلة العمل والسعي في توسيعه واتقانه وعلى الله الاتكال ومنه نستمد العون فى كل الاحوال .

محمود حلمي

صاحب المكتبة العصرية

بغداد — الموصل



تصحيح بعض الاغلاط

المرجو من القراء الكرام تصحيح الاغلاط المحررة أدناه وهي:

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٥٣	١٠		يجب تشطيب كلمات: « اخرجنا من الظلمات الى النور »
١٦٥	١٢	سنة ٣٢٥	سنة ٣٢٤
١٧٧	٢٠	بعنون	بعنوان
١٨٤	١٢	بعد ثلاثة أشهر	قبل نصف شهر
١٨٤	٢٠	سايكس — بيكو	اخرى مع روسية وفرانسة
١٨٧	٢١	وقد التزم	وقد التزما كل من
١٨٨	١	وغيره	وغيرهما [تشطب كلمات من ساسة اليهود]
١٨٨	٢	من اليهود	من ملتزمي اليهود
٢٢٠	١	+	تكون اشارة ضرب
٢٢١	٧	اشترطها	اسرطتها
٢٢٥	٢٠	عنيكم	بيمنكم
٢٢٦	١	وطنتم	وطدتم
٢٢٦	٢	تقطرت دونه المؤثر	تقطرت دونه المرائر
٢٣١	٣	النجار	البحار
٢٣٢	١٦	محسوننا	محدنا

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٣٨	٢٢	وعلى وواية ... الخ	يشطب هذا السطر بتمامه
٢٥٧	٢٠	حصار	في حصار
٣٠٧	٥	بداء	بدأ
٣١١	٢٢	بمعنى امير او وازع	بمعنى امير او وازع مخففة ه كلمة بك التركية



الفهرس

صفحة

صحيفة [illegible]

